إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد الحزب الرابع والعشرين من القرآن الكريم من سورة هود الآية (84) إلى الآية (52) من سورة يوسف

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name:	اسم الطالب/ة: أحمد سليم لبد
Signature:	التوقيع: أحمد لبد
Date:	التاريخ: 2 أغسطس 2015

الجامعة الإسلامية- غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد الحزب الرابع والعشرين من القرآن الكريم

من سورة هود الآية (84) إلى الآية (52) من سورة يوسف

The analytical study of the purposes and objectives of the party and the twenty-fourth of the Koran of Surat HUD verse 84 to verse 52 of Surat Yusuf

إعداد الطالب:
أحمد سليم سليم لبد

إشراف الأستاذ الدكتور:
د. جمال محمود الهوبي

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

1436هـ – 2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم.....ج س غ/35/..... Ref

التاريخ..... 2015/06/20 Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ أحمد سليم سليم لبد لنيل درجة الماجستير في كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن وموضوعها:

الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد الحزب الرابع والعشرين من القرآن الكريم من سورة هود الآية "84" إلى الآية "52" من سورة يوسف

وبعد المناقشة التي تمت اليوم السبت 03 رمضان 1436هـ، الموافق 2015/06/20م الساعة التاسعة صباحاً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. جمال محمود الهوبي	مشرفاً ورئيساً	.....
د. زهدي محمد أبو نعمة	مناقشاً داخلياً	.....
د. فايز حسان أبو عمرة	مناقشاً خارجياً	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي و للدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine fax: +970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين هاتف
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

إهداء

إلى ينبوع الحنان... الذي يملأ مشاعري، ويفيض في كياني، حبًّا ورفعةً وإيمانًا، أمي الغالية.

الى والدي الحبيب، المعطاء الذي لم يبخل في عسر أو يسر.

إلى رفيقة دربي، وقرة عيني، زوجتي الغالية.

إلى ابنتي الحبيبة الغالية (سمية)، وابني (أنس) ثمرة فؤادي.

إلى إخوتي وأخواتي الأحد عشر كوكبًا.

إلى عمي -والد زوجتي-، وعمتي -والدة زوجتي-. أطال الله عمرهما في طاعته. وإلي أبنائهم جميعًا.

إلى كل مسلم غيور على دينه وعرضه ووطنه.

الباحث

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فأتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي المشرف على رسالتي **الأستاذ الدكتور جمال الهوبي** –حفظه الله– على توجيهاته السديدة، وسعة فؤاده، فجزاه الله خير الجزاء على ما قدم من أجل إخراج هذه الرسالة إلى النور.

كما أتقدم بالشكر والامتنان للأستاذين عضوي لجنة المناقشة:

الدكتور: زهدي محمد أبو نعمة.

الدكتور: فايز حسان أبو عمرة.

لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، لتقديم النصح والتوجيه، لرفع مستوى الرسالة.

وأتقدم بالشكر الجزيل لإدارة الجامعة الإسلامية والعاملين فيها، وأخص بالذكر كلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القرآن خاصة.

ولا أنسى أن أتوجه بالشكر إلى أخي أبي أسامة، على ما بذله من جهد ووقت في إخراج هذا البحث بصورة لائقة، وكذلك زوجتي الحبيبة أم أنس.

وأخص بالشكر كذلك الشيخ أشرف وادي أبو عبد الرحمن، والشيخ خالد شعبان أبو العبد.

وأشكر كل من ساندني خلال فترة الدراسة وإعداد الرسالة ولو بالدعاء.

أخيراً اللهَ أسأل أن يلهمنا التوفيق والسداد والصواب، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتنا، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المقـــــدمـة

الحمد لله الذي أرسل رسوله محمدًا بالحق **﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾** (التوبة:٣٣)، وأيده بالكتاب الحقِّ المبين؛ وأصحابه ذوي الفضل العظيم؛ وآله الطيبين الطاهرين.

أحمده كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه وأصلي وأسلم على نبيه الرحمة المهداة، وعلى آله وأصحابه الميامين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وعلى من اتّبع هداهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة أرجو بها النجاة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. وأشهد أن محمدًا عبده رسوله وخليله وصفيه شهادة أرجو بها من الله شفاعته يوم القيامة.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم كلام الله الذي أنزله على قلب نبيه محمد –ﷺ– ليكون للعالمين نذيراً، وهو هدى ونور وشفاء لما في الصدور، كما أنه المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي. لذا كان من مهمة الرسول –ﷺ– بيانه للناس، قال تعالى: **﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾** [النحل:٤٤].

وكان النبي –ﷺ– قد بيّن لأصحابه معاني القرآن الكريم، كما بيّن لهم ألفاظه. ثم إن الصحابة –رضوان الله عليهم أجمعين–إذا أشكل عليهم فهم شيء من القرآن، سألوه، فيفسره لهم.

وإن علم التفسير يعد من أشرف العلوم، لشرف موضوعه، وهو القرآن الكريم، ذلك الكتاب الذي أنزله رب العالمين–سبحانه وتعالى– على أشرف الخلق وحبيب الحق محمد –ﷺ– وعلى خير أمة أخرجت للناس، ففيه النور المبين لمن تمسك به، والشفاء لما في الصدور، قال–عز شأنه–: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمْ بُرْهَانٌ مّن رَّبكُمْ وَأَنْزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مَّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً ﴾** [النساء: ١٧٥:١٧٦].

وقال سبحانه: **﴿يأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءتكم مَّوْعِظَةٌ مّن رَّبكُمْ وَشِفَآءٌ لمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ* قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مّمَّا يَجْمَعُونَ﴾** [يونس:٥٧/٥٨].

ومن هذا المنطلق اعتنى به العلماء فحفظوه في الصدور، وكتبوه في السطور واتخذت هذه العناية أشكالا مختلفة، كلٌ على حسب ما يراه صاحبه أن ما يقوم به هو خدمة لكتاب الله–ﷻ–. وإن دراسة مقاصد القرآن الكريم ومقاصد سوره يفيد كثيراً في ربط معاني القرآن، ويظهر ضرورة

الاهتمام أكثر في شأن تفسير القرآن بالقرآن لذلك كانت رسالتي والتي هي بعنوان **(الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الرابع والعشرين من القرآن الكريم من سورة هود الآية (٨٤) إلى الآية (٥٢) من سورة يوسف).**

أولا: أهمية الموضوع:

١ – تعلق الدراسة بأشرف الكتب وأجلها وهو القرآن الكريم.

٢–سيبرز هذا الموضوع جمال القرآن الكريم، وبلاغته، وكمال نظمه.

٣–يقدم الحلول المناسبة للمشاكل التي تعاني منها الأمة الإسلامية اليوم، وذلك عن طريق إبراز الأهداف والمقاصد التي تحتويها الآيات القرآنية.

٤–إن بيان المقاصد والأهداف للآيات يبعث على رسوخ الإيمان في النفس والعناية بالقرآن، والإقبال عليه.

٥–إن الدراسة التحليلية تصقل الإنسان المسلم، وتنمي قدراته في فهم آيات الله تعالى فهما دقيقا يؤهله للتأصيل والاستنباط.

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع:

١– الرغبة في التفكر والتدبر في القرآن الكريم تطبيقا لقوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [سورة محمد –٢٤].

٢– خدمة كتاب الله في البحث والتنقيب عن مقاصد السور، وربطها بموضوع واحد وبالواقع.

٣– إبراز ما تناولته سورتي هود ويوسف من موضوعات متنوعة في التربية الإيمانية والتوجيهات التشريعية.

٤– تشجيع أساتذتي الكرام في قسم التفسير وعلوم القرآن على بحث هذا الموضوع.

٥– الرغبة في مشاركة زملائي الطلاب في السلسلة التي تتناول مقاصد القران الكريم وأهدافه في إطار الدراسة التحليلية.

ثالثاً: الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث في المكتبة المركزية وعلى شبكة الإنترنت وسؤال الإخوة المختصين، لم يعثر الباحث على رسالة ماجستير أو دكتوراه تتعلق بموضوع الدراسة، ولذا سأكون بذلك ضمن الطلبة الذين يكتبون في السلسلة التي أقرها قسم التفسير وعلوم القران بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، والتي تتناول الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف آيات القران الكريم، ونصيبي من هذه الدراسة " **الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الرابع والعشرين من القرآن الكريم من سورة هود الآية (٨٤) إلى الآية (٥٢) من سورة يوسف** "

رابعاً: منهج الباحث:

١- اعتمد الباحث المنهج التحليلي والموضوعي في التفسير، وذلك بوضع مقدمة وتمهيد لسورتي هود ويوسف يبين فيها اسم السورة، وزمن نزولها، وفضلها، ومحورها الرئيس.

٢- عمل الباحث على تقسيم آيات الحزب الرابع والعشرين إلى مباحث مختلفة في أربعة فصول جاعلا لكل مبحث عدة مطالب ويحتوي كل مطلب عدة آيات.

٣- قام الباحث بتحديد واستنباط ما تحتويه آيات كل مبحث من مقاصد وأهداف، وتحليلها.

٤- قام الباحث بربط هذه المقاصد والأهداف بواقع الأمة وبما يساهم في حل مشاكلها.

٥- عزا الباحث الآيات القرآنية إلى سورها، وذكر اسم السورة ورقم الآية، وكتابتها بالرسم العثماني، وذلك كله في متن الدراسة، بهدف تخفيف الحواشي.

٦- تخريج الأحاديث المستشهد بها في البحث، وعزوها إلى مصادرها الأصلية، وذلك حسب ضوابط وأصول التخريج، ونقل أقوال العلماء في الحكم عليها.

٧- بيان معاني المفردات الغريبة الواردة في البحث وذلك في حواشي الصفحات.

٨- الترجمة للشخصيات والأعلام المغمورة الواردة في البحث.

٩- الاكتفاء في التوثيق بذكر اسم الكتاب، ومؤلفه، ورقم الجزء والصفحة، وترك مواصفات المرجع لقائمة المراجع، تخفيفا عن الحاشية.

١٠- عمل الفهارس اللازمة للوصول إلى المعلومة بأقرب وأسهل طريق.

خامسا: خطة البحث:

لما سبق وضع الباحث هذه الخطة والتي هي على النحو التالي: مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

المقدمة وتشتمل على التالي:

أولا: أهمية الموضوع.

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع.

ثالثا: الدراسات السابقة.

رابعا: منهج الباحث.

خامسا: خطة البحث.

التمهيد: ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف بالدراسة التحليلية القرآنية ومتطلباتها.

ويشتمل على:

أولاً: المقصود بالدراسة التحليلية القرآنية.

ثانياً: متطلبات الدراسة التحليلية القرآنية.

المطلب الثاني: تعريف بالمقاصد والأهداف وأهميتها.

ويشتمل على:

أولاً: تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات.

ثانياً: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات.

ثالثاً: الفرق بين الأهداف والمقاصد.

رابعاً: طرق معرفة مقاصد السور والآيات.

خامساً: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات.

سادساً: أنواع المقاصد.

المبحث الثاني: التعريف العام بسورتي هود ويوسف ومناسباتهما.

ويشتمل ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بين يدي سورة هود.

ويشتمل على:

أولا: أسماء السورة وسبب التسمية.

ثانيا: ترتيب السورة وعدد آياتها.

ثالثا: فضائل السورة وجو نزولها.

رابعا: المحور الأساسي للسورة.

خامسا: الأهداف العامة للسورة.

المطلب الثاني: بين يدي سورة يوسف.

ويشتمل على:

أولا: أسماء السورة وسبب التسمية.

ثانيا: ترتيب السورة وعدد آياتها.

ثالثا: فضائل السورة وجو نزولها.

رابعا: المحور الأساسي للسورة.

خامسا: الأهداف العامة للسورة.

المطلب الثالث: المناسبات في السور.

ويشتمل على:

أولا: تعريف المناسبة لغة واصطلاحا.

ثانيا: أهمية علم المناسبة.

ثالثا: مناسبة سورة هود لما قبلها وما بعدها وأولها بآخرها.

رابعا: مناسبة سورة يوسف لما بعدها وأولها بآخرها.

الفصل الأول

التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف الربع الأول من الحزب الرابع والعشرين من سورة هود (٨٤-١٠٨)

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات من (٨٤-٨٦)

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: دعوة شعيب -عليه السلام- لإصلاح العقائد.

المطلب الثاني: دعوة شعيب -عليه السلام- للإصلاح الاجتماعي.

المطلب الثالث: الرضا بالحلال وإن قل، وسخط الحرام وإن كثر.

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات من (٨٧-٩١)

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: الإصلاح الاجتماعي من خلال أداء العبادات.

المطلب الثاني: السنن الإلهية في إهلاك الأمم.

المطلب الثالث: الاستغفار سبيل المؤمنين.

المطلب الرابع: التهديد والوعيد لغة أصحاب الحجة الباطلة.

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات من (٩٢-٩٥)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الله أحق بالخشية من غيره.

المطلب الثاني: صدق وعد الله لرسله وعدم تخلفه أبدًا.

المطلب الثالث: النجاة والحفظ جزاء المتقين.

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات من (٩٦-٩٩)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تأييد الله لرسوله موسى -عليه السلام- بالمعجزات الباهرة.

المطلب الثاني: التحذير من اتباع رؤوس السوء وأئمة الفساد والضلال.

المطلب الثالث: اتباع أهل الباطل لعنة في الدنيا والآخرة.

المبحث الخامس: المقاصد والأهداف سورة هود الآيات من (١٠٠-١٠٨)

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: إثبات صدق دعوة النبي -ﷺ- وتسليته.

المطلب الثاني: سنة الله في الظلمة بأن مصيرهم الهلاك.

المطلب الثالث: إثبات الإيمان باليوم الآخر.

المطلب الرابع: حتمية البعث وبيان مآل الناس فيه.

الفصل الثاني

التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف الربع الثاني من الحزب الرابع والعشرين من الآية (١٠٩) من سورة هود إلى نهاية السورة

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات (١٠٩-١١٣)

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: ذم التقليد.

المطلب الثاني: الجزاء الأخروي لا مفر منه.

المطلب الثالث: وجوب الاستقامة علمًا وعملًا.

المطلب الرابع: حرمة تولي الظالمين، والرضا بالكفر.

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات (١١٤-١١٧)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحسنات يذهبن السيئات.

المطلب الثاني: وجوب الصبر والإحسان.

المطلب الثالث: سنة الله في هلاك الأمم.

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات (١١٨-١٢٣)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاختلاف سنة كونية ودفعه فريضة شرعية.

المطلب الثاني: قصص الأنبياء وأهميتها.

المطلب الثالث: وجوب العبادة لله مع التوكل عليه في جميع الأمور.

الفصل الثالث

التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف الربع الثالث من الحزب الرابع والعشرين من سورة يوسف الآيات (١ -٢٩)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة يوسف الآيات (١-٦)

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: اللغة العربية لغة القرآن.

المطلب الثاني: تقرير نبوة محمد -ﷺ- وإثباتها بأحسن القصص.

المطلب الثالث: رؤيا الأنبياء وحي من الله.

المطلب الرابع: النبوة اصطفاء لا اختيار.

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة يوسف الآيات (٧-١٤).

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحذر من الحسد.

المطلب الثاني: المؤامرة على قتل يوسف -عليه السلام-.

المطلب الثالث: حيل أخوة يوسف للتخلص منه.

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة يوسف الآيات (١٥-٢٤).

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حجج الكاذبين ناقصة ومتناقضة.

المطلب الثاني: خلاص يوسف -عليه السلام- من محنة الجب.

المطلب الثالث: مراودة امرأة العزيز ليوسف -عليه السلام- وقضية الهم.

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة يوسف الآيات (٢٥-٢٩).

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: فرار يوسف -عليه السلام- من المعصية وإثبات براءته.

المطلب الثاني: كيد النساء عظيم.

الفصل الرابع

التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف الربع الرابع من الحزب الرابع والعشرين من سورة يوسف الآيات (٣٠ -٥٢)

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة يوسف من الآية (٣٠-٣٥)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مكر النسوة بامرأة العزيز.

المطلب الثاني: امرأة العزيز تقابل مكر النسوة بمكر أشد وأعظم.

المطلب الثالث: فرار يوسف -عليه السلام- إلى الله تعالى ودخوله السجن.

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة يوسف من الآية (٣٦-٤٢)

ويشتمل على مطالب:

المطلب الأول: يوسف -عليه السلام- ورؤيا صاحبي السجن.

المطلب الثاني: دعوة يوسف -عليه السلام- إلى التوحيد داخل السجن.

المطلب الثالث: تعبير يوسف -عليه السلام- رؤيا صاحبي السجن.

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة يوسف من الآية (٤٣-٤٦)

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: رؤيا الملك وعجزهم عن تعبيرها

المطلب الثاني: تذكر الفتى الناجي يوسف الصديق -عليه السلام-.

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة يوسف من الآية (٤٧-٥٢)

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعبير يوسف -عليه السلام- لرؤيا الملك.

المطلب الثاني: الملك يتولى بنفسه القضية وإظهار الحقيقة.

الخاتمة وفيها: أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس.

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام .
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

الفصل التمهيدي

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف.

المبحث الثاني: التعريف العام بسورتي هود ويوسف ومناسباتهما.

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف بالدراسة التحليلية القرآنية ومتطلباتها.

المطلب الثاني: تعريف بالمقاصد والأهداف وأهميتها.

المطلب الأول
تعريف بالدراسة التحليلية القرآنية ومتطلباتها

إن الإنسان ليقرأ النص القرآني مئات المرات، ثم يقف الموقف أو يواجه الحادث؛ فإذا النص القرآني جديد يوحي إليه بما لم يوح من قبل قط، وإذا لم يمكن العيش مع معاني القرآن، وما عاناه المسلمون مدة نزول القرآن، وما فيها من جهاد ودعوة، وبذل وتضحية، وصبر ومصابرة، فلا أقل أن يتصور حال الدعوة عند نزول الآيات وما لابسها من أحداث. ومما يعين على هذا التصور: الإحاطة بمقاصد القران الكريم.

أولاً: المقصود بالدراسة التحليلية القرآنية:

التحليلي لغة: نسبة إلى التحليل فهو مأخوذ من الحل بمعنى: الفتح، ونقض المنعقد. قال ابن منظور: "وحلّ العقدة يحلها حلا، فتحها ونقضها، فانحلت"[1].

اصطلاحاً: تفكيك الكلام على الآية لفظة لفظة، والكلام على ما فيها من معانٍ وإعراب وأحكام وغيرها، ثم الانتقال إلى ما بعدها.

ثانياً: متطلبات الدراسة التحليلية القرآنية:

الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد القرآن الكريم هو الترجمة عن الله تعالى لبيان مراده –ﷻ– من كلامه، لذلك لا يجوز لأي أحد اقتحام هذا المجال إلا بعد أن تتوافر فيه متطلبات هذه الدراسة لخدمة كتاب الله –ﷻ– وأجملها على النحو الآتي:

١) متطلبات مطلوبة من صاحب الدراسة نفسه "ذاتية":

أ– صحة العقيدة؛ لأن صحة العقيدة لها أثر كبير في نفس صاحبها.

ب– التجرد من الهوى، فالأهواء تدفع أصحابها إلى نصرة مذاهبهم ولو كانت على غير حق.

ت– أن يكون متواضعاً لين الجانب، فالصلف والتكبر يحولان بين العالم والانتفاع بعلمه.

ث– أن يتحلى بالتأني والروية في حديثه، فلا يسرد كلامه سردًا سريعًا حتى لا يفهمه القارئ.

٢) متطلبات مطلوبة من صاحب الدراسة "علمية":

وهو يتمثل في جملة العلوم المساعدة والضرورية للكشف عن الحقيقة، والتي بدونها تذهب الجهود هدرًا ودون جدوى، لأنها لم تتهيأ لها الأسباب الكفيلة بإيصالنا إلى الكشف الحقيقة التي نطمح إلى تجليتها وبيانها.

---

[1]– لسان العرب، لابن منظور (١٦٣/٣).

أ- **العلم باللغة العربية وفنونها:**

قال أبو حيان الأندلسي في معرض ذكره لما ينبغي أن يحيط به المفسر: "ومع ذلك فاعلم أنه لا يرتقي من علم التفسير ذروته، ولا يمتطي منه صهوته، إلا من كان متبحراً في علم اللسان، مترقياً منه إلى رتبة الإحسان"[1].

ب- معرفة علوم القرآن:

وعلوم القرآن تشمل: أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن، وهي من أهم العلوم التي ينبغي أن يعرفها المفسر، بل إن علوم القرآن بالنسبة للمفسر مفتاح له، مثله مثل علوم الحديث بالنسبة لمن أراد أن يدرس الحديث دراسة حقة .

ت- **العلم بالأحاديث النبوية** المفسرة للآيات القرآنية وأقوال الصحابة في تفسير القرآن الكريم.

ث- **دقة الفهم التي تمكن المفسر** من ترجيح معنى على آخر، أو استنباط معنى يتفق مع نصوص الشريعة.

ج- **العلم بأصول العلوم المتصلة بالقرآن،** كعلم القراءات؛ لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن ويترجح بعض وجوه الاحتمال على بعض، وعلم التوحيد، حتى لا يؤول آيات الكتاب التي في حق الله وصفاته تأويلًا يتجاوز به الحق، وعلم الأصول.

ح- **علم الفقه لمعرفة الأحكام الشرعية العملية** فيه وبيانها في محالها، وآراء المجتهدين فيها والأخذ بما هو الأقوى دليلاً[2].

---

[1]- تفسير البحر المحيط أبي حيان الأندلسي (١٠٩/١).

[2]- انظر: البرهان في علوم القرآن، للإمام الزركشي (٢٩٢/١).

المطلب الثاني

تعريف بالمقاصد والأهداف وأهميتها [1]

أولاً: تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات:

المقاصد لغةً: جمع مقصد، يقال: قَصَدَ يَقْصِدُ قَصْداً ومَقْصَداً، وقد استعملت كلمة القصد في لغة العرب لمعان عديدة منها:

١) **استقامة الطريق**[2].

٢) **العدل والوسط بين الطرفين:** ومن قوله -ﷺ- **(القصد القصد تبلغوا)**[3].

٣) **الاعتماد والأَمُّ:** والقصد الاعتماد والأم، يقال قصده يقصده قصداً، إذا أمه واتجه إليه[4].

٤) **إتيان الشيء**[5].

٥) **الاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء:** قال ابن جني[6]: "ق ص د ومواقعها في كلام العرب للاعتزام والتوجه النهوض نحو الشيء على اعتدال كان ذلك أو جو"[7].

٦) **الكسر.**

المقاصد اصطلاحاً: للمقاصد عدة تعريفات اصطلاحية منها:

- تعريف الشاطبي[8]: لم يقف العلماء على تعريف للمقاصد عند الشاطبي، ولكن بعض الباحثين المعاصرين من خلال دراسته لكتاب الموافقات استطاع أن يستنبط تعريفاً على النحو الآتي:

---

[1]- للاستزادة انظر: موقع الجامعة الإسلامية لعدة رسائل في نفس الموضوع ضمن سلسلة المقاصد والأهداف من القرآن الكريم.

[2]- لسان العرب لابن منظور(٥ /٣٦٤٢).

[3]- صحيح البخاري، للإمام البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمدارية على العمل، (ص١٦٣٠) (ح٦٤٦٣).

[4]- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس(٥/ ٩٥).

[5]- نفس المرجع السابق (٥/ ٩٥).

[6]- عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح، من أئمة الأدب والنحو وله شعره، ولد بالموصل وتوفي ببغداد عن نحو ٦٥ عامًا (الأعلام للزركلي ٤/ ٢٠٤).

[7]- لسان العرب لابن منظور (٥/ ٣٦٤٢).

[8]- الشاطبي، إبراهيم ابن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، من كتبه الموافقات والاعتصام في أصول الفقه، ت ٧٩٠ هـ -١٣٨٨م (الأعلام للزركلي ١ /٧٥).

"إنها كل المعاني المصلحية المقصودة من شرع الأحكام والمعاني الدلالية المقصودة من الخطاب التي تترتب عن تحقيق امتثال المكلف لأوامر الشريعة"[١].

ثانياً: تعريف أهداف السور والآيات:

- **الأهداف لغة:** "هدف من أهدفت ودنوت منك والاستقبال والانتصاب من انتصب الأمر، أي استوى واعتدل، وأهدف على التل أي أشرق وأسرع وأهدف إليه لجأ"[٢]، "والجمع أهداف"[٣].
- **الهدف اصطلاحاً:** "هي الأهداف التي شرعت الأحكام لتحقيقها وأهداف الشارع هي المصالح التي تعود إلى العباد في دنياهم وآخرتهم سواء كان تحصيلها عن طريق جلب المصالح أو درء المفاسد"[٤].

ثالثاً: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات:

١) أن علم مقاصد السور راجعٌ إلى تخفيف المقصد من إنزال هذا القرآن كله وهو التدبر والهداية كما قال تعالى: **﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾** {ص /٢٩}، قال الشاطبي: "فإن كل عاقل يعلم أن مقصود الخطاب ليس هو التفقه في العبارة، وإنما التفقه في المعرفة والمراد به"[٥].

٢) أن مقصد السورة هو أصل معانيها التي ترجع إليه فهو أصل في فهم معاني كلام الله تعالى.

٣) أن يعين على فهم كتاب الله فهماً صحيحاً ويوصل إلى معرفة في تفسير كلام الله تعالى، والتبحر في دلالته وهوايته، قال البقاعي في كلامه على مقاصد السور: "وغايته: معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السور ومنفعته: التبحر في علم التفسير ومعاني السور"[٦].

٤) أن معرفة مقصد السورة الذي تنتظم به معانيها وآياتها سبيل للسلامة من الخطأ وتفسير كلام الله تعالى على غير مراده.

٥) أن تفسير القرآن باعتبار مقاصد السور يجعل كلام الله تعالى مؤتلفاً منتظماً على نحو كمال نظمه ومعانيه ومعناه وتكون السورة معه كالبناء المرصوص وكالعقد المتناسق[١].

١- نظرية المقاصد عند ابن عاشور، اسماعيل الحسيني ص ١١٥.

٢- لسان العرب، لابن منظور، (٩ / ٣٤٥).

٣- تاج العروس، للزبيدي، (١ / ٦١٧٤).

٤- المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د. يوسف حامد العلم (٧٩)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي. الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.

٥- الموافقات، للإمام الشاطبي، ٢٦٢/٤.

٦- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، الامام البقاعي (١٥٥/١).

٦) بمعرفة مقصد السورة "تنتظم آيات السورة وتظهر المناسبات من آياتها فتكون لحمة واحدة يجمعها معنىً واحدًا.

٧) أن علم مقاصد السور من أعظم ما يتحقق بها ربط الآيات بالواقع، وذلك أن المتدبر في مقصد السورة معاينته تبعثه على التفاعل والتطبيق.

٨) أن هذا العلم يبعث على رسوخ الإيمان وزيادة نور القلب وقرار العين يما يتضح من روائع هذا العلم العظيم.

٩) إدراك المقاصد يساعد الدعاة على تحقيق أهدافهم وترشيد مسيرتهم، فلا ينشغلون بالمظاهر الجوفاء"[٢].

١٠) يساعد الباحثين في العصر الحديث على الفهم الصحيح الذي يحفظ من الزلل، ويصون من الاعوجاج والعلل[٣].

رابعاً: الفرق بين الأهداف والمقاصد:

١) أن الأهداف تكون قبل أي نتاج علمي، لأنها قد تتحقق وقد لا تتحقق.

٢) يختلف تعريف الهدف تبعاً لنوعية ومستوى عموميته.

٣) الهدف الواحد ينقسم إلى عدة أهداف سلوكية تطبيقية.

٤) الأهداف العامة والخاصة لابد من ربطها بالواقع التطبيقي للحياة قدر الإمكان.

٥) الأهداف الكبرى والعامة تهتم وتعنى في صياغة القيم والاتجاهات والتراث والآمال[٤].

خامساً: طرق معرفة مقاصد السور والآيات:

إن الكشف عن مقصد السورة والوصول إليه مبني على الاجتهاد ودقة الاستنباط، وإدراكه وتختلف فيه العقول[٥]، قال ابن القيم: "وهذا من أدق الفهم وألطفه، ولا يدركه كل أحد، فإنه سبحانه لم يعلق الاستغفار بعمله بل علقه بما يحدثه هو سبحانه من نعمة فتحه على رسوله ﷺ ودخول الناس في دينه وهذا ليس بسبب الاستغفار"[٦].

---

[١]- النبأ العظيم، د. عبد الله دراز (ص١٥٥).

[٢]- موقع الراية http://www.rayah.info/browse.php?comp=viewArticles&file=article&sid=2613

[٣]- المرجع السابق.

[٤]- انظر: رسالة ماجستير بعنوان أهداف ومقاصد موضوعات سورة التوبة "دراسة تحليلية"، إعداد الطالب: حسن عبد الله طه الخطيب، اشراف الدكتور الفاضل عبد الكريم الدهشان (٥٧/ ٥٩).

٥- علم مقاصد السور،(ص ٤٧).

٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية ،(١/٣٥١-٣٥٣).

طريقة الكشف عن مقصد السورة والوصول إليه واستنباطه يحتاج إلى أمور:

١) الاستعانة بالله تعالى وإخلاص العمل لله وحده:

إن تحقيق المقصد من الخلق وهو العبادة لا يتم بدون استعانة بالله، لذلك قال تعالى: **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾** {الفاتحة:٥}.

ويقول ابن تيمية: "إن النظر المجرد في الدليل دون توافر أسباب الهداية، من ذكر الله واللجوء إليه ودون انتفاء الموانع المعوقة، من وسوسة الشيطان، لا يحصل الفقه الصحيح"[١]. وكذلك يكون البحث مع التمحيص للوصول إلى حقيقة المقاصد.

٢) الفهم الصحيح للمقصد وحده وخطابه:

٣) الالتزام بضوابط التفسير: ومن ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، لأن القرآن يبين بعضه بعضاً.

٤) معرفة مقدمات السورة من أحوال نزولها، وفضائلها وخصائصها: قال ابن عاشور مؤكداً أهمية أسباب النزول بمعناها العام في معرفة المقصد ومنها "أي أسباب النزول ما ينبه المفسر إلى إدراك خصوصيات بلاغية تتبع مقتضى المقامات، فإن من أسباب النزول ما يعين على تصوير مقام الكلام"[٢].

٥) الرجوع إلى كتب والآراء الواردة عند السلف في بيان ما أنزلت فيه السور وما يكون منطلقاً لتحديد مقاصدها.

٦) الاستعانة ببعض الكتب والتفاسير التي تعتني بمقاصد السور.

٧) مراعاة السياق والقرائن: إن فهم جزء من الكلام دون فهم بقيته يعد نقصاً، فكيف بكلام الله سبحانه وتعالى إذ لا بد من فهم الكلام ضمن السياق الذي جيء فيه.

٨) المعايشة الروحية الحية للسورة: قال سيد قطب: "إن هذا القرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يقبل عليه بهذه الروح، روح المعرفة المنشئة للعمل"[٣].

سادسًا: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات:

يعتبر البقاعي هو العمدة في علم مقاصد السور، فهو الذي أرسى قواعده وخط منهجه، وألف فيه تأليفاً مستقلاً، ويبين البقاعي معالم هذا العلم والتعريف به فيقول في كتابه مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: "هو علم يعرف منه مقاصد السور، وموضوعاته: آيات السور، كل سورة على حالها.

١- نقض المنطق، لابن تيمية ،(٣٥).

٢- التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور(١/ ٤٧).

٣- معالم في الطريق لسيد قطب (ص١٨).

وغايته: معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السورة ومنفعته، التبحر في علم التفسير"[1].

ويمكن لنا أن نقسم المفسرين في العناية بهذا العلم إلى أصناف:

الصنف الأول: المفسرون الذين أشاروا لمقاصد السورة من غير تصريح، ومن هؤلاء:

١) ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان في تأويل القرآن.
٢) ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.
٣) ابن كثير في تفسيره تفسير القرآن العظيم.
٤) الإمام القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن.

الصنف الثاني: المفسرون والعلماء الذين صرحوا بمقصد السورة، ومن هؤلاء:

١) الزمخشري في تفسيره الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.
٢) الفخر الرازي في تفسيره التفسير الكبير.
٣) الشاطبي في كتابه الموافقات.

الصنف الثالث: المفسرون والعلماء الذين عنوا بعلم مقاصد السورة وسلكوا فيه منهجاً في تفاسيرهم ومن هؤلاء:

١) الفيروز أبادي في كتابه بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز.
٢) البقاعي في كتابيه مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور.
٣) سيد قطب في كتابه في ظلال القرآن.
٤) الطاهر ابن عاشور في كتابه التحرير والتنوير.
٥) الشيخ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره: تفسير المراغي.
٦) محمد على الصابوني في كتابيه قبس من نور القرآن وصفوة التفاسير.
٧) وهبة الزحيلي في كتابه التفسير المنير.

سابعًا: أنواع المقاصد:

لقد تكلم الكثير من العلماء وأجاد في ذكر تفسيرات وأنواع المقاصد، سواء أكانت تتعلق بالشريعة أم كانت تتعلق بكتاب الله تعالى، ولكني في هذا البحث سوف أقتصر على ذكر ثلاث آراء من أقوال العلماء في أنواع المقاصد:

١- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (١/ ١٥٥).

أولاً: مقاصد القرآن الكريم عند الإمام محمد رشيد رضا:

المقصد الأول: بيان حقيقة أركان الدين الثلاثة التي دعا إليها الرسل وضل فيها أتباعهم وهذا المقصد يتكون من ثلاثة أركان:

الركن الأول: الإيمان بالله تعالى.

الركن الثاني: عقيدة البعث والجزاء.

الركن الثالث: العمل الصالح.

المقصد الثاني: بيان ما جهل البشر من أمر النبوة والرسالة ووظائف الرسل.

المقصد الثالث: إكمال نفس الإنسان من الأفراد والجماعات والأقوام.

المقصد الرابع: الإصلاح الإنساني الاجتماعي السياسي الوطني بالوحدات الثماني[1].

المقصد الخامس:" تقرير مزايا الإسلام العامة في التكاليف الشخصية من الواجبات والمحظورات.

المقصد السادس: بيان حكم الإسلام السياسي الدولي.

المقصد السابع: الإرشاد إلى الإصلاح المالي.

المقصد الثامن: إصلاح نظام الحرب ودفع مفاسدها وقصرها على ما فيه الخير للبشر نظرة عامة في فلسفة العرب والسلم والمعاهدات.

المقصد التاسع: إعطاء النساء جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية.

المقصد العاشر: تحرير الرقبة"[2].

ثانياً: مقاصد القرآن الكريم عند محمود شلتوت:

قام العلامة محمود شلتوت في كتابه "إلى القرآن الكريم" بتقسيم مقاصد القرآن الكريم إلى ثلاثة مقاصد فقال: "إن مقاصد القرآن تدور حول نواحٍ ثلاث:

المقصد الأول: ناحية العقيدة: فالعقائد تطهر القلب من بذور الشرك والوثنية.

المقصد الثاني: ناحية الأخلاق: فالأخلاق تهذب النفس وتزكيها وترفع من شأن الفرد والجماعة.

المقصد الثالث: ناحية الأحكام: وهي ما بينه الله في كتابه أو بين أصوله من النظم التي يجب اتباعها في تنظيم علاقة الإنسان بربه وعلاقته بأخيه الإنسان"[3].

١- الوحدات الثماني هي (وحدة الأمة، وحدة الجنس البشري، وحدة الدين، وحدة التشريع بالمساواة في العدل، وحدة الأخوة الروحية والمساواة في التعبد، وحدة الجنينة السياسية الدولية، وحدة القضاء، وحدة اللغة) مجلة المنار (١٠٠/٣٣).

٢- الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا (ص١٢١ – ١٩٠).

٣- إلى القرآن الكريم ، محمود شلتوت (ص٦) .

ثالثاً: مقاصد القرآن عند محمد الطاهر بن عاشور:

تحدث محمد الطاهر بن عاشور في مقدمة تفسيره التحرير والتنوير عن مقاصد القرآن الكريم وجعلها ثمانية:

المقصد الأول: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق، لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، ويطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك والدهرية وما بينها.

المقصد الثاني: الأخلاق.

المقصد الثالث: الأحكام، فقد جمع القرآن الكريم جميع الأحكام جمعاً كلياً في الغالب، وجزئياً في المهم.

المقصد الرابع: سياسة الأمة، وهو باب عظيم في القرآن، القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها.

المقصد الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم.

المقصد السادس: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها .

المقصد السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وهذا يجمع آيات الوعد والوعيد.

المقصد الثامن: الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول ﷺ إذ التصديق يتوقف على صدق المعجزة بعد التحدي.

رابعاً: مقاصد القرآن الكريم عند عبد الكريم حامدي:

انطلق الدكتور عبد الكريم حامدي إلى مزج تقسيمات المقاصد عند ابن عاشور المقاصد العامة والمقاصد الخاصة، فتوصل إلى أن "مقاصد القرآن العامة ثلاثة، "وهي:

المقصد الأول: مقصد تحقيق الصلاح الفردي، ويشمل مقصد إصلاح العقل، ومقصد إصلاح النفس، ومقصد إصلاح الجسم.

المقصد الثاني: مقصد تحقيق الصلاح الاجتماعي ويشمل مقصد الإصلاح العائلي، ومقصد الإصلاح المالي، ومقصد الإصلاح العقابي.

المقصد الثالث: مقصد تحقيق الصلاح العالمي، ويشمل مقصد الإصلاح التشريعي ومقصد الإصلاح السياسي"[١].

---

[١]- مقاصد القرآن الكريم، الدكتور عبد الكريم الحامدي، (٤٧).

ولكن الناظر في تقسيمات عبد الكريم الحامدي عن المقاصد، يجد أنه اعتمد على مقاصد الشريعة والتشريع فهو لا يخرج عن الدائرة الفقهية.

الرأي المختار من هذه التقسيمات السابقة:

بعد النظر والبحث في التقسيمات للمقاصد نجد أن أفضلها تقسيمات ابن عاشور؛ لأنها تضمنت المقاصد الأساسية للقرآن الكريم، فتقسيماته اشتملت على جميع الأنواع من حيث الاعتقاد وما يتعلق بالأحكام الشرعية وإصلاح النفس البشرية.

المبحث الثاني

التعريف العام بسورتي هود ويوسف ومناسباتهما.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بين يدي سورة هود.

المطلب الثاني: بين يدي سورة يوسف.

المطلب الثالث: المناسبات بين السور.

المطلب الأول

بين يدي سورة هود

أولًا: أسماء السورة وسبب التسمية:

سميت سورة هود بهذا الاسم في جميع المصاحف وكتب التفسير، وكذلك السنة النبوية المطهرة، ولا يعرف لها اسم غير ذلك، ولقد سماها النبي -ﷺ- بسورة هود، فقد روى الإمام الترمذي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ-رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ-رضي الله عنه- يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شِبْتَ، **قَالَ: (شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)**[1].

وسبب التسمية كما ذكر ابن عاشور: "وسميت باسم هود لتكرر اسمه فيها خمس مرات، ولأن ما حكي عنه فيها أطولُ مما حكي عنه في غيرها، ولأن عاداً وُصفوا فيها بأنهم قومُ هود في قوله **﴿أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾** [هود:٦٠][2]، وذكر الإمام الصابوني في تفسيره: "سميت السورة الكريمة باسمه، تخليدا لجهوده الكريمة في الدعوة إلى الله، فقد أرسل الله تعالى إلى قوم عاد العتاة المتجبرين، الذين اغتروا بقوة أجسامهم وقالوا: من أشد منا قوة؟، فأهلكهم اللّٰه بالريح الصرصر العاتية، وقد أسهبت الآيات في الحديث عنهم، بقصد العظة والعبرة للمتكبرين المتجبرين"[3].

ثانيًا: ترتيب السورة وعدد آياتها:

١) تعتبر سورة هود -عليه السلام- هي السورة الحادية عشرة في ترتيب المصحف، وقد سبقها في الترتيب سورة يونس، والسورة التي تليها هي سورة يوسف، فهي وقعت بين سورتين لاسمي نبيين هما يونس ويوسف.

وإن ترتيب سورة هود -عليه السلام- في النزول فقد نزلت بعد سورة يونس وقبل سورة يوسف، "وقد عدّت الثانية والخمسين في ترتيب نزول السور، ونزلت قبل سورة يونس لأن التحدي فيها وقع بعشْر سور وفي سورة يونس وقع التحدي بسورة "[4]، وكان نزولها "بعد سورة يونس"[5]، "وقبل سورة

---

[1]- سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب سورة الواقعة، حديث(٣٢٩٧)، (ص٤٠٢)، وصححه الألباني.

[2]- التحرير والتنوير(٣١١/١١).

[3]- صفوة التفاسير، الصابوني(٢٣/٢).

[4]- التحرير والتنوير (٣١٢/١١).

[5]- تفسير الجلالين ص٢٨٣، تفسير الفخر الرازي ٢٤١٥/١، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في =وجوه التأويل٣٥٨/٢، التفسير الحديث ٤٧١/٣، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار ٣/١٢)، التفسير المنير ٦/١٢، تفسير الشيخ المراغي ١١/ ١٦٧.

يوسف"[1]، أي في أحرج الفترات في حياة النبي محمد -ﷺ-، وكذلك في تاريخ الدعوة الإسلامية في مكة.

٢) إن عدد آياتها فلقد "عُدت آياتها مائة وإحدى وعشرين في العدد المدني الأخير، وكانت آياتها معدودة في المدني الأول مائة واثنتين وعشرين، وهي كذلك في عدد أهل الشام، وفي عدد أهل البصرة وأهل الكوفة مائة وثلاثٌ وعشرون"[2].

ثالثًا: فضائل السورة وجو نزولها:

١) فضائل السورة:

فقد روى الإمام الترمذي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ- ﷺ-: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شِبْتَ، قَالَ:(**شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ**)[3].

وقال الإمام القرطبي: "ففي تلاوة هذه السور ما يكشف لقلوب العارفين سلطانه وبطشه، فتذهل منه النفوس ، وتشيب منه الرؤوس"[4].

٢) **أما جو نزولها:** فقد نزلت السورة بجملتها بعد سورة يونس أي مكية، وبعد ذلك نزلت سورة الإسراء، وبهذا يتحدد معالم الفترة التي نزلت فيها، وهي أحرج الفترات وأشدها على رسول الله -ﷺ- ، "فقد أصيب بفقد زوجه خديجة -رضي الله عنها-، تلك الزوجة الصالحة التي كانت ملاذه في شدته، وكانت بإيمانها ومواساتها ملجأه، يجد في جوارها راحة نفسه، كما أصيب بموت عمه أبي طالب الذي كان بمثابة الستار الذي يحول بين محمد-ﷺ- وبين مواجهة خصومه وجهًا لوجه، وبفقد زوجته فقد التأييد المعنوي النفسي القريب، كما فقد بموت عمه التأييد الأدبي والمادي، وكان فقدهما لذلك عظيم الوقع في نفسه حتى سمي عام موتهما بعام الحزن"[5].

وقال الإمام المقريزي[6]: "فعظمت المصيبة على رسول الله -ﷺ- بموتهما وسمّاه «عام

---

[1]- التحرير والتنوير ٣١٢/١١.

[2]- نفس المرجع السابق.

[3]-سبق تخريجه ص١٤.

[4]- الجامع لأحكام القرآن ٢/٩.

[5]- مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول -ﷺ- ص٢٢٨.

[6] أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي: مؤرخ الديار المصرية. أصله من بعلبك، ونسبته إلى حارة المقارزة (من حارات بعلبك في أيامه) ولد ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها

الحزن» وقال : ما نالت قريش مني شيئًا أكرهه حتى مات أبو طالب؛ لأنه لم يكن في عشيرته وأعمامه حاميًا له ولا ذابًا عنه غير أبي طالب"[1].

رابعًا: المحور الأساسي للسورة:

يدور محور السورة كباقي السورة المكية من حيث المضمون، فلقد ابتدأت بحروف مقطعة كما هي العادة في بعض السورة المكية فبدأت "بـ(ألر)، واختتامها بوصف الإسلام والقرآن والنبي الذي جاء بالحق من اللّه، والدعوة إلى الإيمان بما جاء به الرسول -ﷺ-، وتفصيلها ما أجمل في سورة يونس من أمور الاعتقاد من إثبات الوحي، والتوحيد، والبعث، والمعاد والثواب والعقاب والحساب، وإعجاز القرآن وإحكام آياته، ومحاجّة المشركين في ذلك وتحديهم بالقرآن، وذكر قصص بعض الأنبياء كنوح، وإبراهيم، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب -عليهم السلام-.

وتمتاز هذه السورة بما فيها من القوارع والزواجر التي اشتملت عليها قصص هؤلاء الأنبياء، والدعوة الشديدة إلى الاستقامة، مبتدأة بالنبي -ﷺ-"[2].

وأكد على هذا المحور الإمام الصابوني فقال: "وهي تعنى بأصول العقيدة الإسلامية (التوحيد، الرسالة، البعث والجزاء) وقد عرضت لقصص الأنبياء بالتفصيل تسلية للنبي-ﷺ-على ما يلقاه من أذى المشركين، لاسيما بعد تلك الفترة العصيبة التي مرت عليه بعد وفاة عمه أبي طالب، وزوجه خديجة، فكانت الآيات تتنزل عليه، وهي تقص عليه ما حدث لإخوانه الرسل أنواع الابتلاء، ليتأسى بهم في الصبر والثبات"[3].

وقال سيد قطب -رحمه الله-: "أما سورة هود فالقصص فيها هو جسم السورة، وهو إن جاء شاهدًا ومثالًا لتصديق الحقائق الاعتقادية التي تستهدفها، إلا أنه يبدو فيه أن استعراض حركة العقيدة الربانية في التاريخ البشري هو الهدف الواضح البارز؛ لذلك نجد تركيب السورة يحتوي على ثلاثة قطاعات متميزة:

- **القطاع الأول:** يتضمن حقائق العقيدة في مقدمة السورة ويشغل حيزًا محدودًا.
- **القطاع الثاني:** يتضمن حركة هذه الحقيقة في التاريخ ويشغل معظم سياق السورة.

=الحسبة والخطابة والامامة مرات، واتصل بالملك الظاهر برقوق، فدخل دمشق مع ولده الناصر سنة ٨١٠ هـ وعرض عليه قضاؤها فأبى. وعاد إلى مصر(الأعلام للزركلي ١/١٧٧).

[1]- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ١/٤٥.

[2]- التفسير المنير ١٢/٦.

[3] -صفوة التفاسير، للصابوني ٢/٢٣.

- **القطاع الثالث:** يتضمن التعقيب على هذه الحركة في حيز كذلك محدودًا[1].

وملخص ما تدور عليه السورة ما ذكره الفيروز آبادي:

١) "بيان حقيقة القرآن، واطِّلاع الحقِّ سبحانه على سرائر الخلق وضمائرهم.

٢) ضمانُ الحق تعالى لأَرزاق الإنس والجن والحيوانات.

٣) قصص الأمم السابقة مع أنبيائهم ومنهم (قصّة نوح، وبشارة الملائكة لإبراهيم وسارة بإسحاق، وحديث لوط، وإهلاك قومه، وذكر شُعَيْب، ومناظرة قومه إيَّاه، والإشارة إلى قصّة موسى وفرعون)

٤) تفصيل الفريقين والطريقين الجنة والنار.

٥) أَمر الرّسول -ﷺ- بالاستقامة.

٦) تَّجنُّب أَهل الظُّلم والضَّلال.

٧) المحافظة على الصّلوات الخمس، والطَّهارة.

٨) ذكر الرّحمة في اختلاف الأُمّة.

٩) بيان الحكمة من قصص الأنبياء السابقين، لتثبيت قلب النبي -ﷺ-.

١٠) والأَمر بالتَّوكُّل على الله في كلِّ حال"[2].

خامسًا: الأهداف العامة للسورة:

إن مما لاشك فيه أن السورة القرآنية التي يتمركز محورها على العقيدة والجزاء والبعث والعقاب والنعيم، أن يكون أهدافها العامة تتبلور حول هذه المحاور والتي منها إجمالًا:

١) "إثبات كون القرآن من عند اللّه، من طريق إحكام آياته وإتقانها بنظمها نظمًا رصينًا محكمًا لا نقص فيه ولا خلل، كالبناء المحكم.

٢) توحيد اللّه: وهو ثلاثة أنواعٍ: أ-توحيد الربوبية ب-توحيد الألوهية ج-توحيد الأسماء والصفات.

٣) إثبات البعث والجزاء.

٤) اختبار البشر لمعرفة إحسان أعمالهم.

٥) طبائع البشر مختلفة حتى في قبول الدين إلا من رحم ربك.

---

[1]- في ظلال القران لسيد قطب ٤/ ١٨٤٤.

[2]- انظر بصائر الفيروزأبادي(١/١٧٦).

٦) إيراد قصص الأنبياء بالتفصيل تسلية للنبي -ﷺ- على ما يتعرض له من أذى قريش وصدودهم عن دعوته.

٧) أخذ العبر والعظات، بإهلاك الظالمين.

٨) الأمر بالاستقامة في الدين.

٩) "الطغيان سبيل الدمار، والركون إلى الظلم موجب عذاب النار.

١٠) الأمر بإقامة الصلاة في أوقاتها ليلًا ونهارًا لأن الحسنات يذهبن السيئات.

١١) محاربة الفساد في الأرض من أجل حفظ الأمة والأفراد من الهلاك.

١٢) لا إهلاك ولا عذاب للأمم في حال الإصلاح.

١٣) تهديد المعرضين عن دعوة الحق بالعذاب، وجعل العاقبة للمتقين"[١].

١٤)وقال الصابوني: "إن فيها تثبيت قلب النبي -ﷺ- أمام تلك الشدائد والأهوال، قال تعالى: **﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾** [هود: ١٢٠]"[٢].

---

[١]- انظر: التفسير المنير (٦/١٢-٩).

[٢]- صفوة التفاسير للصابوني ٢٣/٢.

المطلب الثاني

بين يدي سورة يوسف

أولاً: أسماء السورة وسبب التسمية:

١) الاسم الوحيد لهذه السورة هو اسم يوسف–عليه السلام–، فقد ذكر ابن حجر في ترجمة الصحابي الجليل رافع بن مالك[١] أن **(رافع بن مالك أول من قدم المدينة بسورة يوسف)**[٢]، وذلك بعد أن بايع النبي –ﷺ– في بيعة العقبة الأولى.

٢) أما سبب التسمية فهو ظاهر، وذلك أن قصة سيدنا يوسف –عليه السلام– ذكرت كلها، ولم تذكر قصته في غيرها من السور[٣]، كما قال الفيروز آبادي: "وما لها اسم سوى سورة يوسف؛ لاشتمالها على قصّته"[٤].

ثانياً: ترتيب السورة وعدد آياتها:

١) تعتبر سورة يوسف كلها مكية[٥]، وهو القول المعتمد[٦]، ونقل الإجماع على مكيتها الخازن في تفسيره[٧]، وابن الجوزي[٨].

وقيل كلها مكية إلا ثلاث آيات من أولها[١]، واستثنى البعض أربعة[٢]، وذكر الإمام السيوطي معقبًا

١– رَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ عَجْلَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرِ بْنِ زُرَيْقِ بْنِ عَبْدِ حَارِثَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ غَضَبِ بْنِ جُشْمِ بْنِ الْخَزْرَجِ عَقَبِيٌّ، نَقِيبٌ، أَحَدُ السِّتَّةِ، وَأَحَدُ الِاثْنَيْ عَشَرَ، وَأَحَدُ السَّبْعِينَ، شَهِدَا الْمَشَاهِدَ الثَّلَاثَةَ مِنَ " الْعَقَبَةِ "، وَبَايَعَ بِهَا، كَانَ هُوَ وَمُعَاذُ ابْنُ عَفْرَاءَ أَوَّلَ أَنْصَارِيَّيْنِ أَسْلَمَا مِنَ الْخَزْرَجِ، وَيُقَالُ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ قَدِمَ بِسُورَةِ يُوسُفَ.(معرفة الصحابة لأبي نعيم (١٠١٤/٢).

٢– الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٤٤٤)، البرهان في علوم القرآن (٢٠٣/١).

٣– وقد ذكر في سورة غافر اسمه ولم تذكر قصته، قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾** (غافر:٢٤).

٤– بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز(١٨١/١)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣/٤)، التحرير والتنوير (١٢/ ١٩٧).

٥– تفسير القرآن (٥/٣)، تفسير البحر المحيط ٥/ ٢٧٦، معالم التنزيل(٢٠٩/٤)، تفسير ابن أبى زمنين (٣٠٠/١)، تفسير القرآن العظيم (٣٦٥/٤).

٦– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي (١٧٠/١٢).

٧– تفسير الخازن (٣/ ٢١٦).

٨– زاد المسير في علم التفسير (١٧٦/٤).

على من قال: "أن سورة يوسف فيها ثلاث أو أربع آيات مدنية ، استثني منها ثلاث آيات من أولها حكاه أبو حيان وهو واهٍ جداً لا يلتفت إليه"[٣].

وقد نزلت سورة يوسف "بعد سورة هود وقبل سورة الحجر، وهي السورة الثالثة والخمسون في ترتيب نزول السّور على قول الجمهور"[٤].

٢) وإن عدد آيات سورة يوسف كما ذكر ابن عاشور الاتفاق على ذلك فقال: "وعدد آياتها مائة وإحدى عشرة آية باتّفاق أصحاب العدد في الأمصار"[٥]، ونقل الإمام الالوسي الإجماع على ذلك[٦].

ثالثاً: سبب نزول السورة وجو نزولها:

١)سبب نزول سورة يوسف:

روي في أسباب نزول سورة يوسف روايات متعددة، منها:

– ما روي عن سعد بن أبي وقاص ﷺ فيما: أنزل القرآن على رسول اللّه –ﷺ–، فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: لو قصصت علينا فنزل: **﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾** [يوسف ١٢/ ٣]، فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: لو حدثتنا فنزل: **﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾** [الزمر ٣٩/ ٢٣][٧].

– وروي أن اليهود سألوا رسول اللّه ﷺ عن قصة يوسف فنزلت السورة، ومنها ما روي في سبب نزولها أن كفار مكة لقي بعضهم اليهود وتباحثوا في شأن محمد –ﷺ–، فقال لهم اليهود: سلوه، لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر، وعن قصة يوسف، فنزلت[٨].

٢) جو نزول السورة:

يبدو أن سورة يوسف – أيضًا – كان نزولها في هذه الفترة، التي تعتبر من أشق الفترات في

---

[١]– إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٤/ ٢٥٠).

[٢]– تفسير الماوردى النكت والعيون٣/٥، و تفسير الجلالين (٣٠٢/١).

[٣]– الإتقان في علوم القران (٨٩/١).

[٤]– التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩٧/١٢).

[٥]– التحرير والتنوير (١٩٨/١٢).

[٦]– روح المعاني (١٧٠/١٢).

[٧]– صحيح ابن حبان كتاب التاريخ، باب ذكر السبب الذي من أجله أنزل الله جل وعلا: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ (٩٢/١٤)، المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، باب تَفْسِيرُ سُورَةِ يُوسُفَ، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ (٢/ ٣٧٦).

٨– التفسير المنير، للزحيلي (١٨٨/١٢).

حياة النبي -ﷺ- إذ تعرض خلالها للكثير من أذى المشركين، بعد أن فقد -ﷺ- في هذه الفترة عمه أبا طالب، وزوجه السيدة خديجة - رضي اللّه عنها- ونزول سورة يوسف في هذه الفترة، كان من أعظم المسليات التي واسى اللّه - تعالى - بها نبيهﷺ فقد أخبره عما دار بين يوسف وإخوته، وعما تعرض له هذا النبي الكريم من مصائب وأذى.

ولا شك أن في قصة يوسف وما يشبهها، تسلية للرسول -ﷺ- عما أصابه من قومه[1]، فهذا يدل نزول هذه السورة من أعظم المسليات لرسول الله -ﷺ-، والتي فيها المواساة والصبر والثبات للحبيب عليه الصلاة وأتم التسليم.

رابعًا: المحور الأساسي للسورة:

بيان قصة يوسف عليه السلام مع إخوته، وما لقيه في حياته، وما في ذلك من العبر من نواح مختلفة. وتسلية للنبي -ﷺ- بما لقيه يعقوب ويوسف -عليهما السلام- من الأذى. وقد لقي النبي -ﷺ- من أقاربه أشد ما لقيه من قومه، مثل عمه أبي لهب، والنضر بن الحارث، وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وإن كان هذا قد أسلم بعد وحسن إسلامه، فإن وقع أذى الأقارب في النفوس أشد من وقع أذى البعداء، كما قال طرفة[2]:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند[3]

وقد تكررت قصة كل نبي في أكثر من سورة في القرآن، بأسلوب مختلف، ولمقاصد وأهداف متنوعة، بقصد العظة والاعتبار، إلا قصة يوسف -عليه السلام-، فلم تذكر قصته في غير هذه السورة، "وإنما ذكرت جميع فصولها بنحو متتابع شامل، للإشارة إلى ما في القرآن من إعجاز، سواء في القصة الكاملة أو في فصل منها، وسواء في حالة الإجمال أو حالة التفصيل والبيان، قال العلماء: ذكر اللّه أقاصيص الأنبياء في القرآن، وكرّرها بمعنى واحد في وجوه مختلفة، بألفاظ متباينة على درجات البلاغة، وذكر قصة يوسف ولم يكررها، فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرّر، ولا على معارضة غير المتكرر، والإعجاز لمن تأمل"[4].

والمقصود بهذه السورة التسرية عن النبي -عليه الصلاة والسلام- بعدما مرّ به من أذى

١- التفسير الوسيط (٣٠٠/٧).

٢- طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، البكري الوائلي، أبو عمرو: شاعر، جاهلي، من الطبقة الاولى. ولد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد. الأعلام، الزركلي (ص٣٢٥/٣). وقال أبو زيدٍ النحويّ : لَو تمنَّيت أنْ أقولَ الشِّعر ما قلتُ إلا شعرَ عديِّ بن زَيد (كتاب المفصل في تاريخ العرب ٢٤٨/١٨).

٣- ديوان طرفة بن العبد طرفة بن العبد، (ص٨) .

٤- التفسير المنير للزحيلي (١٨٩/١٢).

ومن محن في عام الحزن، وما لاقاه من أذى القريب والبعيد، فأراد الله تعالى أن يقص عليه قصة أخيه يوسف، وما لاقاه هو في حياته وكيف أن الله تعالى فرّج عنه في النهاية؛ لأنه وثق بتدبير الله تعالى ولم ييأس هو ولا أبوه يعقوب، وقد جاء ذكره كنبي في سورة غافر لذا فقصته في سورة يوسف لها ملامح إنسانية تنطبق على يوسف، وقد نتطبق على أي من البشر، وقصة يوسف تمثل قصة نجاح في الدنيا(أصبح عزيز مصر)، وقصة نجاح في الآخرة أيضاً في وقوفه أمام إغراءات امرأة العزيز رغم كل الظروف المحيطة به خوفاً من الله -ﷻ-.

خامساً: الأهداف العامة للسورة:

دلت السورة على إثبات نبوة محمد -ﷺ-، وتسليته، وبشائر الفرج بعد الضيق، والأنس بعد الوحشة، فإن يوسف عليه السلام انتقل من السجن إلى القصر، وجُعل عزيزاً في أرض مصر، وكل من صبر على البلاء فلا بد من أن يأتيه الفرج والنصر، وتحذير المشركين من نزول العذاب بهم كما حدث لمن قبلهم، والدروس والأخلاق المستفادة من قصة يوسف -عليه السلام- ، وأهمها نصر الرسل بعد الاستيئاس.

ملخص لأهداف السورة:

١) "قد تؤدي النقمة إلى النعمة، فقد بدأت قصة يوسف بالأحزان والمفاجآت المدهشة، من الإلقاء به في البئر، ثم بيعه عبدا لرئيس شرطة مصر، ثم كانت محنته الشديدة مع النساء، فزجّ به في غياهب السجون، ثم آل الأمر به إلى أن يصبح حاكم مصر الفعلي.

٢) قد توجد ضغائن وأحقاد بين الإخوة ربما تدفع إلى الموت أو الهلاك.

٣) إن العفة والأمانة والاستقامة مصدر الخير كله، للرجال والنساء، على حدّ سواء، وإن الاستمساك بالدين والفضيلة مصدر الاحترام وحسن السمعة، وإن الحق وإن استتر زمنًا لا بدّ من أن يظهر ولو بعد حين.

٤) إن مثار الفتنة هو خلوة الرجل بالمرأة، لذا حرمها الإسلام.

٥) الإيمان بالمبدأ، وصلابة الاعتقاد سبيل لتخطي الصعاب.

٦) الاعتصام باللّه عند الشدة، واللجوء إليه عند الضيق.

٧) المحنة لا تثني المؤمن عن واجبه في الدعوة إلى اللّه تعالى.

٨) الفطنة لاستغلال الأحداث والاتصاف بالإباء والشمم.

٩) إظهار فضيلة الصبر.

١٠) لا دافع لقضاء اللّه تعالى، ولا مانع من قدر اللّه تعالى، وأنه تعالى إذا قضى للإنسان بخير ومكرمة، لم يمنعه عنه أحد ولو اجتمع العالم عليه.

١١) الحسد سبب للخذلان والخسران.

١٢) الصبر مفتاح الفرج، فإن يعقوب -عليه السلام- لما صبر فاز بمقصوده، وكذلك يوسف -عليه السلام- لما صبر فاز"[١].

[١]- انظر التفسير المنير للزحيلي (١٢/١٩٦-١٩٩).

المطلب الثالث

المناسبات بين السور

أولا: تعريف المناسبة لغةً واصطلاحاً:

- **المناسبة لغةً:** "النون والسين والباء كلمةٌ واحدة قياسُها اتِّصال شيءٍ بشيء. منه النّسَب، سمِّي لاتِّصاله وللاتِّصالِ به"[١]،"المُناسَبةُ: المُشَاكَلَةُ[٢]"، يقالُ: "بين الشَّيْئَين مُنَاسَبَةٌ وتَنَاسُبٌ : أَي مُشَاكَلَةٌ وتَشَاكُلٌ"[٣]، وقيل: "وبينهما مُنَاسَبَةٌ أي مُشاركة"[٤].
- **المناسبة اصطلاحاً: لها عدة تعريفات منها:**

١- تعريف القاضي أبي بكر ابن العربي: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني"[٥].

٢- وعرفها الإمام البقاعي بقوله: "علم تعرف منه علل الترتيب"[٦].

٣- وعرفها الدكتور مصطفى مسلم بقوله: "هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه وفي كتاب الله تعنى ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها"[٧].

ويري الباحث أن تعريف الدكتور مصطفي مسلم أنسب التعاريف لعلم المناسبات، لأنه مشتمل على المناسبات بين الآيات في السورة الواحدة والمناسبة بين السورة والتي قبلها، والسورة والتي بعدها، وكذلك يتكلم عن وجه الارتباط بين كل آية وآية، فهو تعريف جامع مانع.

ثانيًا: أهمية علم المناسبات:

١- يعتبر علم المناسبات من أشرف العلوم العظيمة، لأنه متعلق بكتاب الله ﷻ، فهو علم دقيق، ويحتاج لفهم واضح لمقاصد القران الكريم، وذلك لتذوق نظمه، ولبيانه المعجز فيه، ولقد اعتبره الزركشي "واعلم أن المناسبة علم شريف تحزر به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول"[١].

---

[١]- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٥/ ٤٢٣).

[٢]- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ص١٧٦).

[٣]- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، (٤/ ٢٦٥).

[٤]- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، (ص٦٨٨).

[٥]- البرهان في علوم القرآن (٣٦/١).

[٦]- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للإمام برهان الدين بن عمر البقاعي(٥/١).

[٧]- مباحث في التفسير الموضوعي: الدكتور مصطفى مسلم، (ص ٥٨).

٢- يبين مدي ارتباط الكلام بعضه ببعض، وتلاحمه وتلازمه في النسق والترتيب، "وبعلم المناسبة يكون جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[٢].

٣- يفيد في معرفة أسرار القران التشريع والحكمة من هذا التشريع، وقد نبه إلى أهميته عدد من العلماء من أبرزهم الفخر الرازي حيث قال "فما أحسن هذا الترتيب لأن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[٣].

٤- يعين على فهم الآيات القرآنية فهمًا دقيقًا، وتحديد المراد، وإظهار الكلام كسبيكة واحدة، فإن هذا العلم يعين على إدراك اتساق المعاني بين الآيات، ويظهر ترابط أفكارها، وتلاؤم ألفاظها لهذا قيل: "المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول"[٤].

٥- "يزيل الشك الحاصل في القلب، بسبب عدم التأمل والتدبر في دقة النظم، وإحكام الترتيب، ولبيان ما بين آيات وفصول السور من ترابط، وعطف الجمل القرآنية على بعضها: سياقاً، وموضوعاً -كلما كان ذلك مفهوم الدلالة -، لتجلية النظم والترابط الموضوعي فيه، لأن هناك من يتوهم أن آيات السور وفصولها مجموعة إلى بعضها بدون ارتباط وانسجام، في حين أن إمعاننا فيها جعلنا على يقين تام بأن أكثرها مترابط منسجم"[٥].

٦- "يعتبر من أهم قواعد التفسير التي اعتمد عليها المفسرون في اختياراتهم"[٦]، قال السيوطي: "علم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته"[٧].

٧- توجيه الإنسان للتدبر والتفكر في كتاب الله -ﷻ- لترسيخ الإيمان وزيادته، فإن القارئ لكتاب الله كلما تأمل في هذه المناسبات سيظهر له من الأسرار ما يزيد إيمانه، وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللب.

ثالثاً: مناسبة السورة لما قبلها، سورة يونس عليه السلام:

ذكر عدد من المفسرين وجوه عديدة لمناسبة سورة هود بسورة يونس وكلها وجوه معتبرة، لها

---

[١]- البرهان في علوم القران، للزركشي(٣٥/١).

[٢]- البرهان في علوم القران، للزركشي(٣٥/١).

[٣]- مفاتيح الغيب، للرازي(١١٣/١٠).

[٤] البرهان في علوم القرآن، للزركشي(٣٥/١).

[٥]- التفسير الحديث محمد عزت دروزة (١/ ٥٢).

[٦]- قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين الحربي (١٢٥/١).

[٧]- الاتقان، للسيوطي(٢/ ٢٨٨).

مدلولها، ولها مكانتها والتي منها:

١) ما ذكره الإمام الزحيلي "وقد نزلت بعد سورة يونس-سورة هود-، وهي متفقة معها في معناها وموضوعها وافتتاحها ب "الر" واختتامها بوصف الإسلام والقرآن والنبي الذي جاء بالحق من اللّه، والدعوة إلى الإيمان بما جاء به الرسول -ﷺ-، وتفصيلها ما أجمل في سورة يونس من أمور الاعتقاد من إثبات الوحي والتوحيد والبعث والمعاد والثواب والعقاب والحساب ، وإعجاز القرآن وإحكام آياته، ومحاجّة المشركين في ذلك وتحديهم بالقرآن، وذكر قصص بعض الأنبياء كنوح وإبراهيم وهود وصالح ولوط وشعيب -عليهم السلام-"[١].

٢) قال الألوسى – رحمه اللّه -: "ووجه اتصالها بسورة يونس، أنه ذكر في سورة يونس قصة نوح عليه السلام مختصرة جداً ومجملة، فشرحت في هذه السورة وبسطت فيها ما لم تبسط في غيرها من السور... ثم إن مطلعها شديد الارتباط بمطلع تلك، فإن قوله – تعالى – هنا: ﴿**ألر* كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ**﴾... نظير قوله – سبحانه – هناك: ﴿**ألر* تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ**﴾ ... بل بين مطلع هذه وختام تلك شدة ارتباط -أيضاً-، حيث ختمت بنفي الشرك، واتباع الوحي، وافتتحت هذه ببيان الوحى والتحذير من الشرك"[٢].

٣) قال الإمام السيوطي: "وجه وضعها بعد سورة يونس، أن سورة يونس ذكر فيها قصة نوح مختصرة جدا مجملة فشرحت في هذه السورة وبسطت بما لم يبسطه في غيرها من السور ولا في سورة الأعراف على طولها ولا في سورة ﴿**إنا أرسلنا نوحا**﴾ التي أفردت لقصته، فكانت هذه السورة شارحة لما أجمل في سورة يونس فإن قوله تعالى: ﴿**وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ**﴾ {يونس:١٠٩}، هو عين قوله هنا ﴿**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾ {هود:١} فكان أول هود تفصيلا لخاتمة يونس"[٣].

٤) قال تعالى في آخر يونس: ﴿**وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىَ يَحْكُمَ اللّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**﴾ {يونس: ١٠٩} وفي أول هود ﴿**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾{هود:١} واتبع ما يوحى إليك – كتاب أحكمت آياته، وكأن ما يوحى إليه والمأمور باتّباعه الكتاب الذي أحكمت آياته، ومن أحكمهم؟ خير الحاكمين.

٥) قال تعالى في آخر يونس: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ**﴾ {يونس /١٠٨} وفي أوائل

---

[١]- التفسير المنير للزحيلي (٦/١٢).

[٢]- انظر: روح المعاني، للألوسي (١١/ ٢٠٢).

[٣]- اسرار ترتيب القرآن، للسيوطي(ص١٠٨).

هود ﴿أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ *وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ {هود:٢-٣}، نذير وبشير مقابل من اهتدى ومن ضلّ، يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا هذا لمن اهتدى، ثم يقول ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هذا مقابل ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ إذن فسر وشرح ما قاله في يونس﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أنه من اهتدى يمتعه متاعاً حسناً ومن ضل فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير.

رابعاً: مناسبة سورة هود لما بعدها -سورة يوسف -عليه السلام-:

ذكر عدد من المفسرين وجوه عديدة لمناسبة سورة هود لما بعدها -سورة يوسف-، وكلها وجوه معتبرة، لها مدلولها، ولها مكانتها، فقد نزلت سورة يوسف -عليه السلام- بعد سورة هود، وهي مناسبة لها، ومن وجوه مناسبتها:

١) قال الزحيلي: "لما في كلّ من قصص الأنبياء، وإثبات الوحي على النبي ﷺ، وقد تكررت قصة كل نبي في أكثر من سورة في القرآن، بأسلوب مختلف، ولمقاصد وأهداف متنوعة، بقصد العظة والاعتبار، إلا قصة يوسف -عليه السلام-، فلم تذكر في غير هذه السورة، وإنما ذكرت جميع فصولها بنحو متتابع شامل، للإشارة إلى ما في القرآن من إعجاز، سواء في القصة الكاملة أو في فصل منها ، وسواء في حالة الإجمال أو حالة التفصيل والبيان"[١].

قال القرطبي: "قال العلماء: ذكر اللّه أقاصيص الأنبياء في القرآن، وكرّرها بمعنى واحد في وجوه مختلفة، بألفاظ متباينة على درجات البلاغة، وذكر قصة يوسف ولم يكررها، فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرّر، ولا على معارضة غير المتكرر، والإعجاز لمن تأمل"[٢].

٢) ونزل في خواتيم سورة هود قوله تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ {هود/١٢٠}، وقال تعالى: في أوائل يوسف ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ {يوسف:٣}، أثبت أن الله تعالى يقصّ في سورة هود لكنه أثبت صفة أنه أحسن القصص في يوسف. قال تعالى: ﴿وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وقال

---

[١]- التفسير المنير ، للزحيلي (١٢/١٨٩).

[٢]- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٩/ ١١٨).

تعالى في يوسف: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾، قال في خاتمة هود ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فربنا ليس غافلاً عما فعله إخوة يوسف بيوسف.

٣) وقال السيوطي: "وجه وضعها بعد سورة هود:

أ- أن قوله في مطلعها ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ {يوسف:٣} مناسب لقوله في مقطع تلك ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود:١٢٠].

ب-فلما وقع في سورة هود ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]، وقوله: ﴿رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]، ذكر هنا حال يعقوب مع أولاده وحال ولده الذي هو من أهل البيت مع أخوته فكان كالشرح لإجمال ذلك.

ت- قال هنا ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [يوسف: ٦]، فكان ذلك كالمقترن بقوله في هود:﴿ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣].

ث- وقد روي عن ابن عباس وجابر بن زيد -رضي الله عنهم- في ترتيب النزول أن يونس نزلت ثم هود ثم يوسف وهذا وجه آخر من وجوه المناسبة في ترتيب هذه السور الثلاث لترتيبها في النزول هكذا"[١].

خامساً: مناسبة سورة هود أولها بآخرها:

تبدأ سورة هود بقوله ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ*أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ وفي الآخر قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ أولها وآخرها عبادة، ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هذا من الكتاب الذي أحكمت آياته، ألا تعبدوا إلا الله (عام) ثم التفت فقال ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ذكر له الكتاب وأنباء الرسل ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾ فاعبده وتوكل عليه إذن هناك ارتباط بالأول وارتباط بالآية قبلها.

سادساً: مناسبة يوسف لما بعدها:

ذكر عدد من المفسرين وجوه عديدة لمناسبة سورة يوسف لما بعدها – سورة الرعد – وكلها وجوه معتبرة، لها مدلولها، ولها مكانتها، فقد نزلت سورة الرعد بعد سورة يوسف-عليه السلام-، وهي مناسبة لها، ومن وجوه مناسبتها:

---

[١]- أسرار ترتيب القرآن السيوطي (ص ١٠٩).

١) هناك تناسب بين سورة الرّعد وسورة يوسف في الموضوع والمقاصد ووصف القرآن، أما الموضوع فكلاهما تضمّنتا الحديث عن قصص الأنبياء مع أقوامهم، وكيف نجّى اللّه المؤمنين المتّقين وأهلك الكافرين، وأما المقاصد فكلّ من السّورتين لإثبات توحيد الإله ووجوده، ففي سورة يوسف قال تعالى: **﴿ءَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ﴾** وفي سورة الرّعد قال تعالى **﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها﴾** وقال تعالى: **﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾**، وفيهما من الأدلّة على وجود الصّانع الحكيم وكمال قدرته وعلمه ووحدانيته الشيء الكثير، ففي سورة يوسف: **﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْها وَهُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ﴾**، وفي سورة الرّعد آيات دالّة على قدرة اللّه تعالى وألوهيّته كثيرة جدًا منها قوله تعالى: **﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾** [سورة الرعد:٢-٤].

وأما وصف القرآن فختمت به سورة يوسف كما قال تعالى: **﴿ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** {سورة يوسف:١١١}[1].

٢) قال السيوطي: "أقول وجه وضعها بعد سورة يوسف زيادة على ما تقدم بعد ما فكرت فيه طائفة من الزمان أنه سبحانه قال في آخر تلك وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون فذكر الآيات السمائية والأرضية مجملة ثم فصل في مطلع هذه السورة فقوله: **﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ**

[1] – التفسير المنير، للزحيلي (١٣ /٩٧).

يَعْقِلُونَ﴾ {الرعد:٢-٤}، تفصيل الآيات الأرضية هذا مع اختتام سورة يوسف بوصف الكتاب ووصفه بالحق وافتتاح هذه بمثل ذلك وهو من تشابه الأطراف"[١].

سابعاً: مناسبة سورة يوسف أولها بآخرها:

إن مناسبة سورة يوسف أولها بآخرها من عدة وجوه منها:

١) ما ذكره الإمام الرازي أنه ذكر في أول السورة **﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾** {يوسف: ٣} ثم ذكر في آخرها: **﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأوْلِى الالْبَابِ﴾** "تنبيهاً على أن حسن هذه القصة إنما كان بسبب أنه يحصل منها العبرة ومعرفة الحكمة والقدرة"[٢].

٢) وقال ابن عاشور: "وهذه الآية ناظرة إلى قوله تعالى في أول السورة نحن نقص عليك أحسن القصص فكما سماه الله أحسن القصص في أول السورة نفى عنه الافتراء في هذه الآية تعريضاً بالنضر بن الحارث وأضرابه"[٣].

٣) في سورة يوسف قال في أولها: **﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ*إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ*نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾** (يوسف:١-٣)، وقال تعالى في الخاتمة: **﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** (يوسف:١١١)، إذن هذا أحسن القصص، وقال في سورة يوسف: **﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** (يوسف:١١١)، إذن هذا الترابط الواضح دليل على ترابط السورة وتماسكها.

---

[١]- أسرار تريب القران، للسيوطي (ص١٠٩-١١٠).

[٢]- تفسير الرازي (١٨ / ٥٢٢).

[٣]- التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٣/ ٧٢).

الفصل الأول

التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف الربع الأول من الحزب الرابع والعشرين من سورة هود (٨٤-١٠٨)

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات من (٨٤-٨٦)

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات من (٨٧-٩١)

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات من (٩٢-٩٥)

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات من (٩٦-٩٩)

المبحث الخامس: المقاصد والأهداف سورة هود الآيات من (١٠٠-١٠٨)

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات من (٨٤-٨٦)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دعوة شعيب -عليه السلام- للإصلاح العقائدي.

المطلب الثاني: دعوة شعيب -عليه السلام- للإصلاح الاجتماعي.

المطلب الثالث: الرضا بالحلال وإن قل، وسخط الحرام وإن كثر.

المطلب الأول

دعوة شعيب -عليه السلام- للإصلاح العقائدي

قال تعالى: **﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾** {هود/٨٤}.

أولاً: المعاني اللغوية:

١) قوله تعالى: **﴿مَدْيَنَ﴾**: قيل في مدين: "اسم بلد وقطر. وقيل: اسم قبيلة كما يقال: بكر وتميم. وقيل: هم من ولد مدين بن إبراهيم الخليل -عليه السلام-"[١].

٢) قوله تعالى: **﴿أَخَاهُمْ﴾**: المقصود منها: "أن هذه الأخوة كانت في النسب لا في الدين"[٢].

٣) قوله تعالى: **﴿مُّحِيطٍ﴾**: الإحاطة بالشيء علما هي: "أن تعلم وجوده وجنسه وكيفيته وغرضه المقصود به وبإيجاده وما يكون به ومنه ، وذلك ليس إلا لله تعالى"[٣].

ثانياً: الجوانب البلاغية:

١) قوله تعالى: **﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ﴾** {هود/٨٤}، لا يمكن أن نقول "لا لكم من إله غيره" فإذن (ما) تكون أوسع في نفي الجنس، إذاً هنالك أمران: أن (لا) جواب عن سؤال وإخبار وإعلام و(ما) رد على قول، و(ما) أوسع استعمالاً لنفي الجنس من (لا)، إذاً هنالك لا النافية للجنس، و(ما من) ما تُعرب نافية لأن الجنس يأتي من (من) ولا يأتي من (ما)"[٤].

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

لقد أرسل الله الرسل إلى جميع الأمم، ليكونوا رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، ولقد سبق في بداية السورة الحديث عن الأمم السابقة، والرسل الذين جاؤوا إلى أقوامهم، وأقاموا برسالاتهم عليهم الحجة والبرهان، فمنهم من آمن، وكثير منهم فاسقون، فهذه

١- جامع البيان في تأويل القرآن (٥٥٤/١٢)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/ ٢٤٧)، المحرر الوجيز (٤٩٣/٢)، زاد المسير في علم التفسير(٢٢٨/٣).

٢- تفسير الفخر الرازي (١٤ /٣١٢).

٣- المفردات في غريب القرآن ص١٣٧).

٤-موقع ستار تايمز، مقال بعنوان: لمسات بيانية من سورة البقرة، للدكتور فضل السامرائي http://www.startimes.com/f.aspx?t=33170354

سنة الله في خلقه، ومن الأنبياء الذين جاء ذكرهم في مطلع السورة نوح وهود وصالح وغيرهم عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، ثم جاءت قصة مدين الذي أرسل الله لهم نبيه شعيباً عليه السلام، وهي القصة السادسة في هذه السورة. وهذا بداية قصة شعيب- عليه السلام- مع قومه أهل مدين قال تعالى: **﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾** أي: وأرسلنا إلى قبيلة مدين أخاهم في النسب شعيباً، **﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾** أي وحّدوا الله تعالى ليس لكم إله تعبدونه بحق إلا هو إذ هو ربكم الذي خلقكم ورزقكم ويدبر أمركم"[1].

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) إن أعظم وظيفة على الإطلاق وظيفة الدعوة إلى الله، كيف لا وقوله تعالى: **﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾** {فصلت/٣٣}، وكذلك هي وظيفة الرسل عليهم أزكى الصلاة والسلام، وأعظم ما في الدعوة إلى الله، الدعوة إلى توحيد الله ﷻ ، فلقد كانت دعوة جميع الأنبياء، وحالهم يقول: **﴿اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ﴾**، إذاً دعواهم كان أول ذي بدء إلى توحيد الله تعالى، " اعلم أن الأنبياء -عليهم السلام- يشرعون في أول الأمر بالدعوة إلى التوحيد ، فلهذا قال شعيب -عليه السلام-: **﴿ مَالَكُمْ مّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾** ثم إنهم بعد الدعوة إلى التوحيد يشرعون في الأهم ثم الأهم"[2].

٢) إن أول ما بدأ به الأنبياء، وبدأ به نبي الله شعيب هو التوحيد، والدعوة إلى الله الواحد الأحد **﴿قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾** يعني وحِّدوا الله ولا تعبدوا معه غيره، كانت عادة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يبدؤون بالأهم فالأهم ولما كانت الدعوة إلى توحيد الله وعبادته أهم الأشياء قال شعيب اعبدوا الله ما لكم من إله غيره"[3].

٣) قد كان قوم شعيب -عليه السلام- عبدة أوثان، فدعاهم إلى عبادة الله وحده. وبالكفر استوجبوا العذاب، ولم يعذب الله أمة عذاب استئصال إلا بالكفر، وإن انضافت إلى ذلك معصية كانت

---

[1]- أيسر التفاسير (ص١٨٥).

[2]- مفاتح الغيب (٣٨٤/١٨).

[3]- تفسير الخازن (٣/ ٢٤٧).

تابعة"[1]،"ولما كان ملاك الأمر قدمه على النهي عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعارض وإيصال الحقوق لأصحابها بقوله: ولا تنقصوا المكيال والميزان"[2].

٤) التوحيد وصية الله لجميع رسله وبالدعوة إليه قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ**﴾ {النحل/٣٦}.

٥) التوحيد وصية الأنبياء الذين سبقوه في الدعوة فقال الله مخبراً عن نوح ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ *أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ**﴾ {هود:٢٥-٢٦}، وكذلك هود-عليه السلام- ﴿**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ**﴾ {هود:٥٠}، وكذلك نبي الله صالح: ﴿**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ {هود:٦١}، وكذلك سار شعيب -عليه السلام- على دربهم واهتدى بهديهم، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

٦) التوحيد مفتاح الطريق إلى الله، وبه تكون الاستقامة نحو الجنان.

٧) التوحيد رأس الأمر، وهو الوظيفة التي من أجلها خلق الله الخلق، وإقامته مطلوب بين الناس ففيه العدل، وبه يوحد بين الناس على كلمة واحدة.

٨) بالتوحيد ترسخ عقيدة الولاء والبراء وتتحقق.

٩) التوحيد يكفر الذنوب لحديث الإمام احمد عَنْ أَبِى بَكْرِ بْنِ أَبِى مُوسَى عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (**أَبْشِرُوا وَبَشِّرُوا النَّاسَ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ صَادِقاً بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**)[3].

١٠) التوحيد أول ما يدخل المرء الإسلام، وآخر ما يخرج منه، فالتوحيد أول واجب وآخر واجب قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن **(فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله)**[4]**، وفي رواية:(أن يوحدوا الله)**[1].

---

[1]- البحر المحيط (٥/ ٢٠٨).

[2]- تفسير الالوسي (١١٤/١٢).

[3]- مسند الإمام احمد (٤١١/٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (ح٧١٢).

[4]- متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة (ح١٤٥٨)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (ح١٩).

المطلب الثاني

دعوة شعيب -عليه السلام- للإصلاح الاجتماعي

قال تعالى: **﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ* وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾** {هود/٨٤-٨٥}.

أولاً-المعاني اللغوية:

١) **(وَلَا تَنْقُصُوا)**: "النَّقْصُ الخُسْران في الحظِّ والنقصانُ يكون مصدراً ويكون قدر الشيء الذاهب من المنقوص نَقَصَ الشيءُ يَنْقُصُ نَقْصاً ونُقْصاناً ونَقِيصةً ونَقَصَه هو يتعدى ولا يتعدى"[٢].

٢) **(الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ)**:

أ- المكيال في اللغة: "الكَيْلُ المِكْيال غيره الكَيْل كَيْل البُرِّ ونحوه وهو مصدر كالَ الطعامَ ونحوه يَكِيلُ كَيْلاً ومَكالاً ومَكِيلاً"[٣].

المكيال في الاصطلاح:" ما يُكالُ به حديداً كان أَو خشباً"[٤].

ب- الميزان في اللغة: الوَزْنُ: التَّقْدِير: وقوله تعالى: **﴿ وَأَقِيمُواْ الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾** [الرحمن: ٩]، قال أَبو الدّرداءِ وعَطاءٌ[٥]: أَقِيمُوا لِسَانَ المِيزانِ بالعَدْل، وقال ابنُ عُيَيْنَةَ[٦]: الإِقامةُ باليَدِ، والقِسْطُ بالقَلْبِ، والمِيزانُ: القَبّان، والقِسْطاسُ"[٧].

والمقصود من الآية: "آلة الوزن والكيل وكان لهم مكيالان وميزانان أحدهما أكبر من الآخر

---

[١]- صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب: باب ما جاء في دعاء النبي -ﷺ- أمته إلى توحيد الله وتعالى (ح٧٣٧٢).

[٢]- لسان العرب (١٠٠/٧).

[٣]- لسان العرب (١١/ ٦٠٤).

[٤]- نفس المرجع السابق (١١/ ٦٠٤).

[٥]- عطاء بن أبي رباح بن أسلم بن صفوان، وُلد سنة ٢٧هـ باليمن، ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها، ومحدثهم، توفي بمكة سنة ١١٤هـ (انظر: تهذيب التهذيب ١٧٩/٧-١٨٠).

[٦]- سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ثم المكي ثقة حافظ فقيه إمام حجة مات في رجب سنة ثمان وتسعين وله إحدى وتسعون سنة (تقريب التهذيب ص٣٩٥).

[٧]- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١٥٣٦/١).

فإذا اكتالوا على الناس يستوفون بالأكبر، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون بالأصغر، والمراد لا تنقصوا حجم المكيال عن المعهود"[1].

والفرق بين المكيال والميزان:

الْفَرْقُ بَيْنَ الْكَيْل وَالْوَزْنِ "أَنَّ الْكَيْل يُعْرَفُ بِهِ مِقْدَارُ الشَّيْءِ مِنْ حَيْثُ الْحَجْمِ، وَالْوَزْنُ يُعْرَفُ بِهِ مِقْدَارُ الشَّيْءِ مِنْ حَيْثُ الثِّقَل"[2].

٣) **(بِالْقِسْطِ)**: أي "بالعدل"[3].

٤) **(وَلَا تَبْخَسُوا)**: "البَخْسُ النَّقْصُ بَخَسَه حَقَّه يَبْخَسُه بَخْساً إذا نقصه"[4]، والبَخْسُ الظلم تَبْخَس أخاك حقه فتنقصه كما ينقص الكيال مكياله فينقصه[5].

أي "النقص في كل الأشياء، يقال بخسه ماله وبخسه علمه وفضله، أي لا تظلموا الناس أشياءهم، وذلك يشمل ما للأفراد وما للجماعات من مكيال وموزون ومعدود ومحدود بحدود حسية وحقوق مادية أو معنوية"[6].

وهو نقص الشيء على سبيل الظلم. والبَخْس، والباخِس: الشيء الطفيف النَّاقص. وقوله – تعالى– ﴿**وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ**﴾ قيل: معناه: باخس، أي ناقص. وقيل: مبخوس أَي منقوص. وتباخسوا أي تغابنوا فَبَخس بعضُهم بعضاً"[7].

٥) **(وَلَا تَعْثَوْا)**: "العين والثاء والحرف المعتلّ كلمةٌ تدلُّ على فَساد"[8]، و" العَيْث: مصدر عاث يعيث عَيْثاً، إذا أفسد"[9].

ثانياً: الجوانب البلاغية:

١) وقع التكرار في هذه الآية من ثلاثة أوجه:

أ- ﴿**وَلاَ تَنقُصُواْ المكيال والميزان**﴾

---

[1]– روح البيان (١٧١/٤).

[2]– الموسوعة الكويتية(١٧٧/٣٥).

[3]– بحر العلوم (٢/ ١٦٦).

[4]– لسان العرب (٦/ ٢٤).

[5]– كتاب العين (٢٠٣/٤).

[6]– تفسير المراغي (٧٠/١٢).

[7]– بصائر ذوي في لطائف الكتاب العزيز (٥١٠/١).

[8]– مقاييس اللغة (٤/ ١٨٨).

[9]– جمهرة اللغة (١/ ٤٢٧)، لسان العرب (٢/ ١٧٠).

ب- ﴿**أَوْفُواْ المكيال والميزان**﴾ وهذا عين الأول.

ت- ﴿**وَلاَ تَبْخَسُواْ الناس أَشْيَاءهُمْ**﴾ وهذا عين ما تقدم **فما الفائدة في هذا التكرار؟**

إن فيه وجوهاً:

- الوجه الأول: أن القوم كانوا مصرين على ذلك العمل، فاحتاج في المنع منه إلى المبالغة والتأكيد، والتكرار يفيد التأكيد وشدة العناية والاهتمام.
- والوجه الثاني: أن قوله: ﴿**وَلاَ تَنقُصُواْ المكيال والميزان**﴾ نهي عن التنقيص وقوله: ﴿**أَوْفُواْ المكيال والميزان**﴾ أمر بإيفاء العدل، والنهي عن ضد الشيء مغاير للأمر به.

وأما قوله ثالثاً: ﴿**وَلاَ تَبْخَسُواْ الناس أَشْيَاءهُم**﴾ فليس بتكرير لأنه تعالى خص المنع في الآية السابقة بالنقصان في المكيال والميزان.

ثم إنه تعالى عم الحكم في جميع الأشياء فظهر بهذا البيان أنها غير مكررة، بل في كل واحد منها فائدة زائدة.

١) والوجه الثالث: أنه تعالى قال في الآية الأولى: ﴿**وَلاَ تَنقُصُواْ المكيال والميزان**﴾ وفي الثانية قال: ﴿**أَوْفُواْ المكيال والميزان**﴾ والإيفاء عبارة عن الإتيان به على سبيل الكمال والتمام، لا يحصل ذلك إلا إذا أعطى قدراً زائداً على الحق"[١].

وعقب الإمام ابن عاشور على هذه الآيات بأروع البيان، وبيان المؤكدات على جرم الإنقاص في الميزان وعدم الإيفاء فيه، فقال: "وقد حصل النهي عن الأعم بعد النهي عن العامّ، وبه حصلت خمسة مؤكدات:

- بالأمر بعد النهي عن الفساد الخاص.
- ثم بالتّعميم بعد التخصيص.
- ثم بزيادة التعميم.
- ثم بتأكيد التعميم الأعم بتعميم المكان.
- ثمّ بتأكيده بالمؤكد اللفظي.

وهذا من أساليب الحكمة في تهيئة النفوس بقبول الإرشاد والكمال" [٢].

إن القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح، "وهو تطفيف الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم احتاج في المنع إلى المبالغة في التأكيد والتكرير، وهذا يفيد شدة الاهتمام والعناية بالتأكيد

---

[١]- انظر: مفاتيح الغيب (٣٨٦/١٨).

[٢]- التحرير والتنوير (١٢/ ١٣٨).

فلهذا كرر ذلك ليقوي الزجر والمنع من ذلك الفعل لأن قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهى عن التنقيص فظهر بهذا البيان فائدة التكرار والله أعلم"[1].

٢) **(يوم محيط):** أصله من إحاطة العدو، وهو العذاب الذي حل بهم في آخره، و"وصف اليوم بالإحاطة أبلغ من وصف العذاب به، لأن اليوم زمان يشتمل على الحوادث، فإذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه، كما إذا أحاط بنعيمه"[2].

فكما أن المحيط لا يفوته شيء من أجزاء المحاط لا يفوت العذاب شيئاً من أجزاء المعذب، وهذه الاستعارة تفيد أن العذاب لكل المعذب؛ وتلك الكناية تفيد أن كل العذاب له، ولا يخفى ما بينهما من التفاوت في الأبلغية"[3].

وذكر الزحيلي أن فيها "مجازاً عقلياً، أسند الإحاطة للزمان الذي هو اليوم، مع أنه ليس بجسم والعذاب فيه"[4].

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

لقد حرص الأنبياء كل الحرص على دعوة أقوامهم بشتى الطرق وشتى الوسائل الممكنة في توحيد الله تعالى، ثم بعد ذلك يباشروا بإكمال دعوتهم للإصلاح الاجتماعي، الذي من خلاله يسود العدل، ويرفع الظلم، فدعوة الأنبياء دعوة إلى النظام والسلوك والحضارة.

فجاء القرآن ليصحح لهم تلك التصورات الفاسدة، وجاء لتحقيق العدل في الوزن والكيل، ففيه المصلحة للناس جميعاً، "وهي قضية أمانة وعدالة جاءت بإقرارها الشريعة، ودعت الناس إليها قال تعالى: **﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط *ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾** [هود: ٨٥-٨٧].

من يتأمل هذه الآيات يجد عناصر الصيانة للحركة في المجتمع كله، والمجتمع إن لم تُصَنْ حركته يفسد؛ لأن حركة المجتمع أرادها الحق سبحانه حركة تكاملية"[5].

---

[1]- تفسير الخازن (٢٤٨/٣)، الجدول في إعراب القرآن الكريم(٣٣٣/١٢).

[2]- تفسير البحر المحيط (٥/ ٢٥٣)، الكشاف (٢/ ٣٩٤)، روح المعاني(١١٥/١٢).

[3]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٢/ ١١٥).

[4]- التفسير المنير (١٢/ ١٢٣).

[5]- تفسير الشعراوي (٤٢٦٨/١).

رابعاً: تحقيق المقاصد والاهداف:

١) **الفرق بين البخس والتطفيف:** يتمثّل الفرق بينهما في أنّ "البخس نقص الشّيء على الظّلم قليلاً أو كثيرا، أمّا التّطفيف[١] فهو النّقص القليل أو النّزر الّذي لا يعتدّ به، وأيضا فإنّ التّطفيف يكون بالاستيفاء إذا كان المطفّف آخذا وبالنّقصان إذا كان معطياً، أمّا البخس فلا يكون إلّا نقصاناً، يقول الكفويّ: "كلّ ما في القرآن من بخس فهو النّقص إلّا في قوله تعالى: **﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾** {يوسف: ٢٠}"[٢]. ولقد عد الإمام الذهبي عدم إيفاء الكيل وإنقاصه أو التطفيف فيه من الكبائر التي يستحق صاحبها العذاب والحساب ثم ذكر حادثة عن رجل ختم له بسوء الختام[٣].

٢) **من الآثار المترتبة على عدم إيفاء الكيل والتطفيف أنه:**

أ- يشيع الظلم في نفوس الناس وتسود مشاعر السوء، وتفشو الألم والحقد بين الناس.

ب- إفساد جو الحياة والتعاملات والروابط الاجتماعية والنفوس والضمائر.

ت- ولا تبقى على شيء صالح في الحياة[٤].

ث- تفكك روابط الإخاء والمحبة بين أفراد المجتمع.

ج- انتشار الجرائم بكل صورها وأشكالها، وتصبح ملازمة له ما داموا يعيشون في ظلم الكيل والمكيال.

ح-تكثر الخيانة داخل المجتمع، لأن البائع مؤتمن على سلعته، وبيعها في ضمن إيفاء الامانة وإلا تكن عكسها لقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** {الأنفال/٢٧ }.

---

[١]- قال الرّاغب: طفّف الكيل: قلّل نصيب المكيل له في إيفائه، واستيفائه ومن ثمّ يكون التّطفيف: تقليل نصيب المكيل له في الإيفاء والاستيفاء، ويستنبط ممّا جاء به القرآن الكريم أنّ التّطفيف: هو الاستيفاء من النّاس عند الكيل أو الوزن، والإنقاص والإخسار عند الكيل أو الوزن لهم. ويلحق بالوزن والكيل ما أشبههما من المقاييس والمعايير الّتي يتعامل بها النّاس (نضرة النعيم ٩/٤١٨٤).

[٢]- الكليات (ص٢٢٥).

[٣]- "وقال بعضهم دخلت على مريض وقد نزل به الموت فجعلت ألقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها فلما أفاق قلت له يا أخي مالي ألقنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها قال يا أخي لسان الميزان على لساني يمنعني من النطق بها فقلت له بالله أكنت تزن ناقصا قال لا والله ولكن ما كنت أقف مدة لأختبر صحة ميزاني فهذا حال من لا يعتبر صحة ميزانه فكيف حال من يزن ناقصا" الكبائر للذهبي (ص٢٢٦).

[٤]- في ظلال القران (٤/ ١٩١٨).

خ- سوء الخاتمة.

د-العذاب في الدنيا: عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- قال: أقبل علينا رسول الله -ﷺ- فقال: **(يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خِصَالٌ خَمْسٌ إِنِ ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَنَزَلْنَ بِكُمْ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ -وذكر منها- وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ)**[1].

ذ-استحقاق العذاب في الآخرة قال تعالى: **﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾** {هود/٨٤} والخوف هنا قيل: هو عذاب النار في الآخرة.

٣)طرق العلاج والوقاية من الغش في الكيل والميزان:

أ- نشر الوازع الديني بين أفراد المجتمع، وتكون التقوى هي الأساس بين البائع والمشتري، فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: **(رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى سَمْحًا إِذَا قَضَى)**[2].

ب- الحرص واليقظة من المستهلك، والحرص واليقظة والتبصر في الشراء.

ت- توعية المستهلك بخطورة هذه الجريمة وأن عليه واجب الحرص واليقظة لأن الأمر يتهدده في صحته وصحة أطفاله، يقول المصطفى -ﷺ-: **(كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته)**[3].

ث- تطوير الجهة المختصة بمكافحة الغش التجاري وتزويدها بالكوادر البشرية والفنية، وإعادة صياغة نظام مكافحة الغش التجاري الحالي؛ ليتناسب مع حجم المشكلة التي تنذر بالخطر.

ج- تعاون المواطن بالتبليغ عن المخالفين وهو واجب ديني لإزالة المنكر ودرء المفسدة عن المجتمع بأسره، قال تعالى: **﴿وَلْتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** {آل عمران/١٠٤}.

ح- استخدام أحدث الأجهزة على الإطلاق في سبيل إنجاح هذه العمليات الاحتيالية لإيقاع المستهلكين في مصيدتهم.

خ- إنشاء هيئة وطنية لحماية المستهلك تتعاون مع الجهات الحكومية الأخرى ذات العلاقة في مكافحة الغش التجاري.

د- تفعيل القانون وإيقاع أشد العقوبات التعزيرية، والغرامات المالية على المطففين في الكيل والميزان.

١- سنن ابن ماجه (ح٤٠١٩). وصححه الألباني السلسلة الصحيحة (ح٤٠٠٩).

[2]- صحيح الترغيب والترهيب (١٧٤٢).

٣- صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الطيب للجمعة (ح٨٩٣).

المطلب الثالث

الرضا بالحلال وإن قل وسخط الحرام وإن كثر

قال تعالى: ﴿**بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ**﴾ {هود: ٨٦}.

أولاً: المعاني اللغوية:

(بقيت): كلمة جامعة لمعان في كلام العرب، "منها:

أ- قال ابن عباس: ما أبقى الله لكم من الحلال بعد الإيفاء.

ب- وقال مجاهد والزجاج: طاعة الله.

ت- قال قتادة[١]: حظكم من الله.

ث- قال الربيع[٢]: وصية الله.

ج- قال الحسن[٣]: فرائض الله"[٤].

قال ابن عطية: وهذا كله لا يعطيه لفظ الآية، وإنما المعنى عندي إبقاء الله عليكم إن أطعتم، وخلاصة هذه الأقوال " ما أبقاه لكم من الحلال بعد التنزه عن تعاطي الحرام"[٥].

وما يراه الباحث من هذه الأقوال: أن المعاني كلها صالحة للفظة.

ثانياً: الجوانب البلاغية:

(بقية الله): إضافة (بقية) إلى اسم الجلالة على المعاني كلها جمعا وتفريقاً "إضافةُ تشريف وتيمّن، وهي إضافة على معنى اللاّم لأن البقية من فضله أو ممّا أمر به"[٦].

١- قَتَادةُ بْن دِعَامة بن قَتَادةُ بْن عزيز، وقِيلَ غير ذَلِكَ فِي نَسَبه، أَبُو الْخَطَّاب السَّدُوسي الْبَصْرِيّ الأعمى الحافظ أحد الأئمّة الأعلام (تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، الذهبي (٣٠١/٣)

٢- الربيع بن أنس البكري، ويقال الحنفي البصري، ثم الخراساني. رَوَى عَنْهُ: سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ وَالأَعْمَشُ وَهُمَا مِنْ أَقْرَانِهِ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَأَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ، وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ: لَقِيَ ابْنَ عُمَرَ، وَجَابِرًا ،بقي الربيع إلى سنة ثلاثين وَمِائَةٍ، وَرَوَى كَثِيرًا مِنَ التَّفْسِيرِ وَالْمَقَاطِيعِ. (تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام)، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (٦٤٦/٣).

٣- الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه.وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وشب في كنف علي بن أبي طالب، توفي بالبصرة.(الأعلام، الزركلي الدمشقي) (ج٢/٢٢٦)

٤- التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٢/ ١٣٩.

٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، (٢١٤/٣).

٦- التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٤٠/١٢).

ثالثاً: المعنى الاجمالي:

إن تطفيف الميزان من أشد الظلم وأكبر الكبائر، والرضا بنعم الله ﷻ والقناعة برزق الله تعالى من أعظم العدل، واستكمالاً لقصة شعيب عليه السلام جاءت للتأكيد على المؤكدات السابقة " أي ما يبقى لكم بعد توفية الناس حقوقهم خير لكم مما تأخذونه بالنقص ووعده ووعيده"[1]، وحرك دافع الإيمان داخل قلوبهم، مع بقاء النصح لكم والحرص على إيمانكم ببقائه والحفاظ عليه ، **(وما أنا عليكم بحفيظ)**، أي "واعظ لكم وناصح ليس غير"[2]، أو أي: افعلوا ذلك باختياركم لأنه لصلاحكم ولست مكرهكم على فعله[3].

وهنا فائدة جميلة يقولها الشيخ الشعراوي: "وهذا أمر يختلف عن القانون الوضعي؛ لأن عين القانون الوضعي قاصرة عما يخفى من أمور الناس فكأنها تحميهم من الوقوع تحت طائلته"[4].

رابعاً: تحقيق المقاصد والاهداف:

١) إن طلب الحلال واجب على كل إنسان حنيف، يرفض بفطرته الظلم والهوان، وبطبيعته الفطرية يرفض الحرام وان كثر، لكن هناك من الناس من تميل فطرته عن أصلها فيلجأ إلى الالتواء بطرقٍ شتى ليصل إلى هواه وأطماعه النفسية حتى ولو كان على حساب غيره، سواء أكان مع قريب أو بعيد. ولقد حث الإسلام على الكسب الحلال، وشجع عليه، والقرآن الكريم مليء بالآيات والشواهد الدالة على مشروعية الكسب الحلال، والسعي في طلب الرزق، ولكن بطرق مشروعة فقال تعالى: **﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾** {المائدة: ٤} .

٢) الكسب منه ما هو حلال ومنه ما هو حرام، فالآيات تحث على أن يكون الكسب حلالاً ولا شبهة للحرام فيه، فقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾** {البقرة: ١٦٨}.

٣) كلمة الطيبات وردت في ستة عشر موضعاً في كتاب الله تعالى، فالرزق الطيب والكسب الطيب كل ذلك توجيه من الله –ﷻ– لكي يكون كسبنا حلالًا ولا شائبة فيه للحرام.

١– أيسر التفاسير، لأبي بكر الجزائري (١٨٥/٢).

٢– المرجع السابق (١٨٥/٢).

٣– التحرير والتنوير (١٤١/١٢).

٤– تفسير الشعراوي (٤٢٦٧/١).

٤) جاءت السنة كذلك فيها الحض على الكسب الحلال، فعن المقدام –رضي الله عنه– عن رسول الله –ﷺ– قال: **(مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِه ، وَإِنَّ نَبيَّ الله دَاوُدَ –عليه السلام– كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ)**[1].

٥) المسلم مطالبٌ بهذا الأصل أكثر من أي إنسان آخر، لأن الإسلام أوجب هذا الطلب للحلال، وحذر من الاقتراب من الحرام أشد حرمة، ورغب في طلب الحلال وحذر من طلب الحرام والسعي خلفه بشتى الصور، فقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾** {البقرة: ١٦٨}، وقال تعالى: **﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾** {طه:٨١}، وقد قال –ﷺ–: **(إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَالْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ فِيهِ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَاقَعَهَا وَاقَعَ الْحَرَامَ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَا حَرَّمَ أَلَا وَإِنَّ فِي الْإِنْسَانِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)**[2].

٦) يتميز المسلم الحق عن المنافق والكافر، بأن حياته محكومة ومضبوطة بالضوابط الشرعية في الكسب الحلال واجتناب الحرام، فالحلال ما أحله الله –عز وجل– ورسوله –ﷺ–، والحرام ما حرمه الله –عز وجل– ورسوله –ﷺ– ، فقد قال تعالى: **﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾** {الأعراف/١٥٧}، قال ابن كثير:" أي: يحل لهم ما كانوا حرموه على أنفسهم من البحائر، والسوائب، والوصائل، والحام، ونحو ذلك، مما كانوا ضيقوا به على أنفسهم، ويحرم عليهم الخبائث"[3]، لحديث النبي –ﷺ–: **(إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا)**[4].

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسولُ اللهِ –ﷺ–: **(أيُّهَا النَّاسُ، إنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إلاَّ**

---

[1]– صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب كسب الرجل وعمله بيده، ح٢٠٧٢.

٢– صحيح البخاري، كتاب الإيمان فضل من استبرأ لدينه(ح٥٢). صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (ح ٤١٧٨).

[3]– تفسير ابن كثير، (٤٨٨/٣).

[4]– صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، (ح١٠١٥).

طَيِّباً، وإِنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ) فقالَ تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾** {المؤمنون: ٥١ }، وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾** {البقرة : ١٧٢}، ثُمَّ ذَكَرَ **(الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، ومَلبسُهُ حرامٌ، وَغُذِّيَ بالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ)**[1]، فهذا الحديث يستدعى على الانسان أن يعمل ويتقي الله –ﷻ– في كسبه، فلا يظلم الناس لا في الميزان ولا في غيره.

٧) **من صور الكسب الحرام:**

أ– التطفيف بالميزان والمكيال، كما قال تعالى: **﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾** {المطففين:١}، وهذا يفعله ضعاف النفوس حتى يحصلوا على شيء يسير في المال.

ب– الربا وهي المعاملات المنتشرة في البنوك الربوية، ويتعامل بها كثير من التجار – إلا من رحم الله – فقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** {البقرة: ٢٧٨}.

ت– الغش والخداع، وهذا موجود في مجتمعنا خاصة عند عدم وجود الرقابة سواء الدينية أو القانونية.

ث– القمار والميسر، وغرض هذا الكسب الربح السريع، وقد قرنها الله تعالى بالخمر والأزلام فقال –ﷻ–: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾** {البقرة:٢١٩}.

ج– الاحتكار، أي احتكار السلع عند احتياج الناس إليها، فعَنْ مَعْمَرِ بْنِ أَبِى مَعْمَرٍ أَحَدِ بَنِى عَدِىِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ–: **(لاَ يَحْتَكِرُ إِلاَّ خَاطِئٌ)**[2].

٨) **أثار الكسب الحرام:**

الكثير من الناس لا يتورعون في هذا الزمان عن أكل الحرام، بمختلف الطرق وشتى الوسائل، ولكنهم في نفس الوقت يغفلون عن أثار الكسب الحرام ومدى عقوبته في الدنيا قبل الآخرة ومن أهم هذه الآثار:

أ– قسوة القلب.

---

[1]– سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، (ح٢٩٨٩)، قال عنه الألباني: حسن.

[2]– سنن أبي داود، كتاب الإجارة، باب في النَّهْيِ عَنِ الْحُكْرَةِ، (ح٣٤٤٩)، قال عنه الألباني: صحيح.

ب- سلب البركة من المال والعمر والصحة، فعن أَبَي هُرَيْرَةَ -ﷺ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ: **(الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ)**[1].

ت- عدم استجابة الدعاء: عن أبي هريرة -ﷺ- قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **(أيُّهَا النَّاسُ، إنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّباً، وإنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ)**، فقالَ تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾** {المؤمنون: ٥١ }، وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾** { البقرة: ١٧٢}، **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ : يَا رَبِّ يَا رَبِّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، ومَلبسُهُ حرامٌ ، وَغُذِّيَ بالْحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ)**[2].

ث- غضب الجبار واستحقاق العذاب: **﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾** {طه: ٨١}، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -ﷺ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ: يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ[3] **(أُعِيذُكَ بِاللَّهِ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ قَالَ وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أُمَرَاءُ سَيَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِحَدِيثِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسُوا مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَمْ يَرِدُوا عَلَيَّ الْحَوْضَ وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِحَدِيثِهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ وَأُولَئِكَ يَرِدُونَ عَلَيَّ الْحَوْضَ يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ الصَّلَاةُ قُرْبَانٌ وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ النَّارُ أَوْلَى بِهِ يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ النَّاسُ غَادِيَانِ فَغَادٍ بَائِعٌ نَفْسَهُ وَمُوبِقٌ رَقَبَتَهُ وَغَادٍ مُبْتَاعٌ نَفْسَهُ وَمُعْتِقٌ رَقَبَتَهُ)**[4].

---

[1]- سنن أبي داود، كتاب البيوع، باب في كَرَاهِيَةِ الْيَمِينِ في الْبَيْعِ، (ح٣٣٣٧)، قال عنه الألباني: صحيح.

[2]- سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة البقرة، (ح٢٩٨٩)، قال عنه الألباني: حسن.

[3]- كعب بن عجرة الأنصاري، المدني، أبو محمد، صحابي مشهور، مات بعد الخمسين وله نيف وسبعون(تقريب التهذيب ٤٣/٢).

[4]- مسند أحمد بن حنبل (ح ١٥٢٨٤).

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات من (٨٧-٩١)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الإصلاح الاجتماعي من خلال أداء العبادات.

المطلب الثاني: السنن الإلهية في هلاك الأمم.

المطلب الثالث: الاستغفار سبيل المؤمنين.

المطلب الرابع: التهديد والوعيد لغة أصحاب الحجة الباطلة.

المطلب الأول

الاصلاح الاجتماعي من خلال أداء العبادات

قال تعالى: **﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ *قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾** {هود/٨٧-٨٨}.

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿بَيِّنَةٍ﴾: أي بينة واضحة[١]. وقال القشيري "البينة: نور تستبصر به ما خفي عليك تحت غطاء الغفلة"[٢].

ثانياً: الجوانب البلاغية:

١) **﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ.....﴾:**

قال قوم شعيب -عليه السلام-: **{يا شعيب}** "سموه باسمه استخفافاً وغلظة حيث أنكروا عليه مستهزئين به **{أصلاتك تأمرك}**، أي: تفعل معك فعل من يأمر دائماً بتكليفنا"[٣]، وقال الإمام النيسابوري[٤]" فقصدوا بقولهم: **(أصلاتك تأمرك)** السخرية والهزء فكأن الصلاة التي يداوم عليها ليلاً ونهاراً هي من باب الجنون والوساوس"[٥].

٢) **﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾:**

قال الإمام الفخر الرازي أن في هذه الآية وجوهاً ومعان متعددة:

- **الوجه الأول:** أن يكون المعنى إنك لأنت السفيه الجاهل إلا أنهم عكسوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية به.

---

[١]- القاموس المحيط، (٤٤٩/١).

[٢]- لطائف الإشارات (٢/ ١٥٢).

[٣]- تفسير السراج المنير(٦٠/٢).

[٤]- حسن بن محمد الشهير بابن القمي النيسابوري، العالم الفاضل العلامة الشيخ نظام الدين وكان يعرف بنظام الأعرج، صنف غرائب القرآن ورغائب الفرقان في التفسير وهو مؤلف جليل القدر والشأن (طبقات المفسرين للأدنروي ص٤٢٠).

[٥]- غرائب القرآن ورغائب الفرقان(٤٥/٤).

- **الوجه الثاني:** أن يكون المراد إنك موصوف عند نفسك وعند قومك بالحلم والرشد.
- **الوجه الثالث:** أنه –عليه السلام– كان مشهوراً عندهم بأنه حليم رشيد، فلما أمرهم بمفارقة طريقتهم قالوا له: إنك لأنت الحليم الرشيد المعروف الطريقة في هذا الباب، فكيف تنهانا عن دين ألفيناه من آبائنا وأسلافنا"[1].

والوجه الأول عليه أكثر المفسرون كما قال الشنقيطي أنهم قصدوا: "السفيه الضال، فعرضوا له بالسب بكلام ظاهره المدح"[2].

ثالثاً: القراءات القرآنية:

قرأ الجمهور **(أصلواتك)** بصيغة جمع صلاة[3]. وقرأه حمزة ، والكسائي، وحفص، وخلف **(أصلاتك)** بصيغة المفرد[4]، وفخم ورش لامه[5].

توجيه القراءتين:

قراءة الجمهور بالجمع أرادوا بذلك الدعاء. أي "أدعواتك"[6].

أما القراءة بالإفراد فإنه أراد الصلاة المفردة، ولأن شعيباً –عليه السلام– كان كثير الصلاة، "إذ كانت "الصلوات"، هي جمع لما بين الثلاث إلى العشر من العدد، دون ما هو أكثر من ذلك"[7].

رابعاً: المعنى الاجمالي:

استمر قوم شعيب –عليه السلام– بالعناد والمماطلة في الاستجابة لدعوة نبيهم –عليه السلام–، وردوا عليه بحجج واهية، بل هي أوهن من بيت العنكبوت، ولما كانت الصلاة شعار أهل الإيمان، رفض قوم شعيب الاتباع والانصياع لهذه العبادة السامية، قال الإمام بن عاشور: "كانت الصلاة من عماد الأديان كلّها، وكان المكذبون الملحدون قد تمالؤوا في كل أمة على إنكارها والاستهزاء بفاعلها، فلما كانت الصلاة أخص أعماله المخالفة لمعتادهم جعلوها المشيرة عليه بما بلّغه إليهم

---

[1]– مفاتيح الغيب (٣٨٧/١٨).

[2]– أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن(٤٣٦/٥).

[3]– انظر: المبسوط (ص١٤١)، النشر(٢٩٠/٢)، البدور الزاهرة(ص١٥٨).

[4]– إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، (٣٢٥/١).

[5]– البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، لعبد الفتاح القاضي، (١٧٥/١).

[6]– الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي (٥/ ٣٤٥٢).

[7]– جامع البيان، الطبري (١٤/ ٤٥٨).

من أمور مخالفة، والمعنى أنّ صلاته تأمره بأنهم يتركون ما كان من عبادتهم"[1]، وهنا كان الجواب من شعيب –عليه السلام–، "أجابهم شعيب بما يحسم أطماعهم بقوله: أخبروني يا قوم إن كنت على بصيرة من ربي فيما أدعو إليه، ورزقني منه رزقا حسنا، وهو النّبوة والحكمة، ولا أنهاكم عن الشيء وأقع في المنهي عنه، ولا أريد إلا إصلاحكم بمقدار استطاعتي، وليس توفيقي في إصابة الحق فيما أريده إلا بالله وهدايته وعونه، وعليه توكلت في جميع أموري، ومنها تبليغ رسالتي، وإليه أنيب وأرجع"[2].

خامساً: تحقيق المقاصد والاهداف من الآية:

١) إن الصلاح هو عماد المجتمعات وبه تسير الأمم، وإن الأمم التي سادت قديمًا وحديثًا كان سببه الرئيس، الإصلاح والصلاح الاجتماعي، لذلك عني الإسلام أشد الاعتناء بهذا الأمر، وإيراد بعض الآيات، بالجواب عن الحكمة من التشريع فيه الجواب الشافي عن الإصلاح الاجتماعي بشتى صوره، وهذا من خلال أداء العبادات، فقال تعالى: **﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾** {العنكبوت/٤٥}، لذلك اعترض قوم شعيب عليه من خلال العبادة التي فيها الإصلاح والصلاح الاجتماعي، والصلاة هي أهم العبادات التي فيها الصلاح الاجتماعي، لأنها هي عمود الإسلام، وهي أهم الأسباب التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي صلةٌ وثيقةٌ بين العبد وبين ربِّه، وقد عني بها النبي –ﷺ– كل عنايتها كما هو معلوم إلى الحد الذي جعلها الفارق والفيصل بين الإسلام والكفر في قوله –ﷺ–: **(الْعَهْدُ الَّذِى بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاَةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ)**[3]، وقال الإمام ابن باز: " فالصلاة أعظم الواجبات وأهم الفرائض بعد التوحيد، وهي عمود الإسلام وهي أعظم ركن وأعظم فريضة بعد الشهادتين"[4]، فإذا حافظ الإنسانُ على أدائها في المساجد جماعة مع المسلمين فإنَّه تقوى صلته بالله –عز وجل–، لأنَّه يكون على صلة بالله دائماً وأبداً في اليوم والليلة، لأنَّه إذا همَّ بمعصية وهمَّ بأمر منكر، تذكَّر لماذا يصلي، إنَّه يفعل ذلك رغبة فيما عند الله من الثواب وخوفاً مما عنده من العقاب، فإنَّ صلاته تنهاه عن الفحشاء والمنكر، فيكون بعيداً عن

---

[1]– التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٢/١٤١).

[2]– التفسير الوسيط (٢/١٠٦٦).

٣– سنن الترمذي كتاب الإيمان، بَاب مَا جَاءَ فِي تَرْكِ الصَّلَاةِ (٢٦٢١) (٤/ ٣٦٥). وقال الألباني صحيح.

[4]– مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله(٢٤/١٢٥).

الفحشاء وبعيداً عن المنكر، قال الله -ﷻ-: **﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِن الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾** [العنكبوت:٤٥].

٢) للصلاة أثرٌ كبير في حياة الناس، ويظهر ذلك من خلال ادائها والعمل بمقتضاها قلبًا وقالبًا، ظاهرًا وباطنًا، قال الشيخ الشعراوي: "فالصلاة هي الركن الذي لا يسقط أبداً، ويُكرَّر في اليوم خمس مرات، وقد أعطاها الحق سبحانه في التشريع ما يناسبها من الأهمية"[١]، ومن خلال القرآن نجد أن **للصلاة آثارًا جلية من أهمها:**

أ- الصلاة سياج من كل منكر فجمعت طرفي المقصد شرعا وهما العون على الخير والحفاظ من الشر أي جلب المصالح ودرء المفاسد، لقوله تعالى**﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾** {العنكبوت:٤٥}.

ب- الصلاة أَكْبَرُ عَوْنٌ لِلْعَبْدِ عَلَى مَصَالِحِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ قَالَ اللهُ تَعَالى: **﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾** {البقرة/ ٤٥}.

ت- الصلاة تعوِّد المؤمن مراقبة الله وخشيته، إذ يقف العبد فيها فارغا من الشواغل موجهًا قلبه إلى مولاه يناجيه ويثني عليه بما هو أهله خائفًا عقابه طامعًا في رحمته طالبًا منه العون والهداية فيؤثر ذلك في نفسه، ويعوده مراقبة الله وخشيته فيجتنب ما يغضب مولاه عما حرم الله. قال تعالى: **﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾** {العنكبوت: ٤٥}.

ث- الصلاة تمد المؤمن بقوة روحية تعينه على مواجهة المشقات والمكاره في الحياة الدنيا **﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** {البقرة: ١٥٣}، فقد روي الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان أن النبي -ﷺ- كان **(إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة)**[٢].

ج- الصلاة غذاء روحي للمؤمن، يعينه على مقاومة الجزع والهلع عند مسه الضر، والمنع عند الخير والتغلب على جوانب الضعف الإنساني، قال تعالى: **﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ**

---

[١]- تفسير الشعراوي (٢٦٩/١).

[٢]- سنن أبو داوود كتاب التطوع باب وقت قيام النبي في الليل (١٣٢١) (٥٠٧/١) وصححه الألباني.

جَزُوعاً*وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً*إِلا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ١٩-٢٢].

ح-صلاة الجماعة دعم لعاطفة الأخوة وتقوية لروابط المحبة وإظهار للقوة فبالاجتماع تذهب الضغائن وتزول الأحقاد وتتآلف القلوب وتتحد الكلمة، قال تعالى: **﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾** [التوبة: ١١].

المطلب الثاني
السنن الإلهية في هلاك الأمم

قال تعالى: **﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾** {هود/٨٩}.

أولاً: المعاني اللغوية:

١) **﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾**: يكسبنكم[١]، أو يحملنكم[٢].

٢) **﴿شِقَاقِي﴾**: مصدر شاقّه إذا عاداه عداوة ومباينة[٣]، ومنه:**(لا يجرمنكم شقاقي)** أي "عداوتي"[٤]. والمعني "لا تجر إليكم عداوتكم إياي إصابتكم بمثل ما أصاب قوم نوح"[٥]

ثانياً: الجوانب البلاغية:

١) إفراد لفظ (بِبَعِيدٍ): "لم يقل ببعيدة حملاً على لفظ القوم لأنه مؤنث، ولا (ببعيدين) حملاً على معناه ولكنه على تقدير مضاف أي وما إهلاكهم ببعيد لأنهم أهلكوا في عهد قريب من عهدهم. أو المراد وما هم بشيء بعيد أو بزمان أو مكان بعيد"[٦].

فلفظة بعيد فيه دليل على أمرين هما:

أ- "الأول: الزمان أي بعد زمن قوم لوط عنكم-قوم شعيب-.

ب- الثاني: المكان وهي مدين ليست بعيدة عنهم -في المسكن-.

وعلى هذين التقديرين فإن القرب في المكان وفي الزمان يفيد زيادة المعرفة وكمال الوقوف على الأحوال"[٧]، فكأنه يقول: اعتبروا بأحوالهم واحذروا من مخالفة الله تعالى ومنازعته حتى لا ينزل بكم مثل ذلك العذاب.

---

[١]- التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري(ص١٧٨).

[٢]- التحرير والتنوير (١٤٦/١٢).

[٣]- التحرير والتنوير (١٤٦/١٢).

[٤]- غريب القرآن، أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، (ص٢٩٢).

[٥]- التحرير والتنوير (١٤٦/١٢).

٦- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (٤٦/٤).

٧- مفاتيح الغيب (٣٩/١٨).

ثالثاً: المعنى الاجمالي:

يأتي استكمال قصة شعيب مع قومه فلما رفضوا دعوته، واستهزؤا به هنا جاء سنة الله في هلاك الأمم فقال تعالى على لسان شعيب -عليه السلام-: ﴿**لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ**﴾، "أي سنة الله سبحانه وتعالى واحدة في المكذبين لرسله، المستكبرين عن عبادته هو لهم بالمرصاد، وهذه الآية تفيد التهديد والوعيد لمن حاول، أو لمن استكبر عن عبادة الله، أو كذب خبره"[1].

رابعاً: تحقيق والمقاصد والاهداف:

١) إن الله -عز وجل- جعل في الحياة سنناً وقوانين تمشي وتمضي، مثل ما أن الشمس تطلع وتغيب، كذلك حياة الناس، وحياة الأمم، وحياة الشعوب، وكذلك النصر والهزيمة، والتقدم والتأخر، والفقر والغنى، كلها مربوطة بسنن إلهية موجودة في هذه الدنيا، والمؤمن العاقل البصير -أحياناً- يدرك من خلال هذه السنن ما سيقع.

٢) إن سنة الله في الظلم والظالمين موجودة وكائنة بالفعل، قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ*وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ*وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ {هود:١٠٠-١٠٢}.

٣) السنن الكونية هي القوانين الاجتماعية التي تفسّر أسباب التقدم والتأخر، "وَهِيَ سُنَنُ خَلْقِ أَسْبَابِ الْخَيْرِ وَأَسْبَابِ الشَّرِّ فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ، وَبِخَاصَّةٍ الْقُرَى"[2].

٤) المقصود من الآيات أن الظلم والكفر سبب رئيس في دمار وهلاك الأمم، ومن خلال الآية نجد أنه لا ظلم ولا جور في حكم الله تعالى على الإطلاق، وإنما العدل الذي تطوقه الرحمة أساس القضاء في شرع الله، وذلك لأن الله غني عن العالمين، ولا مصلحة له مع أحد، "وهو ربّ العباد جميعًا، ولا يخشى أحداً من الخلائق حتى يحابيه على حساب غيره، ولا حاجة له لبشر أبدًا حتى يتقرب إليه في حكمه، وإنما خير القضاء وعدل الحكم يرجع إلى العباد أنفسهم، وقد ذكر الله سبحانه أسباب إيقاع عذاب الاستئصال وهلاك الأمم السابقة"[3].

١- تفسير العلامة محمد العثيمين، محمد بن صالح العثيمين(٩/٧).

٢- التحرير والتنوير، لابن عاشور (٤٧/٨).

٣- التفسير الوسيط للزحيلي (١٠٨٢/٢).

٥) الظلم سبب من أسباب الهلاك، قال تعالى: **﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَّوْعِدًا﴾** {الكهف: ٥٩}، لقد أهلك الله الأمم السالفة: عادًا وثمود وقوم نوح وقوم لوط وأصحاب الأيكة، ودمر قراهم بسبب كفرهم، وعنادهم، وجعل لمهلكهم وقتا معينا. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله: "إن الله يقيم الدولة العادلة وان كانت كافرة ولا يقيم الظالمة وان كانت مسلمة ويقال الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام"[١]، ولو كان أهلها مسلمين، ولو كانوا مصلين، ولو كانوا راكعين، ولو كانوا ساجدين، فإنهم يزولون؛ لأن فيهم الظلم.

٦) الفساد في الأرض، سبب من أسباب الهلاك، قال تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ *فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ *إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾** [الفجر:٦-١٣]، هؤلاء هم **﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسادَ﴾**، وليس وراء الطغيان إلا الفساد. فالطغيان يفسد الطاغية، ويفسد الذين يقع عليهم الطغيان.

٧) الكفر والفسوق والعصيان، سبب من أسباب الهلاك كما فعل بقوم نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب -عليهم السلام-.

٨) ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سبب من أسباب الهلاك فعن حذيفة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: **(والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم)**[٢].

٩) ومن أسباب الهلاك كثرة التعامل بالربا، ولم يأذن الله في كتابه بحرب أحد إلا أهل الربا قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ﴾** (البقرة: ٢٧٨-٢٧٩)، وهذا كاف في بيان شناعة هذه الجريمة عند الله -عز وجل-.

١- كتاب الاستقامة لابن تيمية (٢/٢٤٧).

٢- سنن الترمذي كتاب الفتن باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(ح٢١٦٩)، (٤/٤٦٨)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب(ح٢٣١٣)، (٢/ ٢٨٦).

١٠)ومن أسباب الهلاك ترك الجهاد والرضا بالقعود لحديث النبي -ﷺ-: **(إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلًا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)**[١].

١١)ومن أسباب الهلاك انتشار الزنا فعن ميمونة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: **(لا تزال أمتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فإذا فشا فيهم ولد الزنا فأوشك أن يعمهم الله بعذاب)**[٢].

١- سنن أبي داوود كتاب الايجارة باب في النهي عن العينة (٣٤٦٤) (٢٩١/٢)، وصححه الألباني.

٢- مسند الإمام احمد (٢٦٨٣٠) (٤١٢/٤٤) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب وقال: وإسناده حسن وفيه ابن إسحاق وقد صرح بالسماع.

المطلب الثالث

الاستغفار سبيل المؤمنين

قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ {هود/٩٠}.

أولاً: المعاني اللغوية:

(ودود) اسم من أسماء الله تعالى، وهو الودود، أي: وددت الرجل أي أحببته، وهو مُبالغة من الودّ وهو المحبّة[١].

ثانياً: الجوانب البلاغية:

(إن ربي رَحِيمٌ وَدُودٌ) ففي الآية أمران مهمان هما:

أ- الأول: "تعليل الأمر باستغفاره والتوبة إليه، وهو تعليل لما يقتضيه الأمر من رجاء العفو عنهم إذا استغفروا وتابوا.

ب- الثاني: وتفنن في إضافة الرب إلى ضمير نفسه مرة وإلى ضمير قومه أخرى لتذكيرهم بأنّه ربّهم كيلا يستمروا على الإعراض وللتشرف بانتسابه إلى مخلوقيته"[٢]، والمعنى: أنّ الله شديد المحبة لمن يتقرّب إليه بالتّوبة.

ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) إن الاستغفار عبادةٌ جليلةٌ مرتبطة بالتوحيد، ومرتبطة بالعبادات التي فيها صلاح الفرد والمجتمع، كالصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها. ويجدر بكل مسلم أن يتعرف على معانيه، وعلى أهميته، وصيغته، وثماره، وأجره في الدنيا والآخرة.

١) إن الاستغفار سنة موجودة في نهج الأنبياء جمعيًا، وهو الطريق للوصول إلى رضا رب العالمين، وبه يتقرب العبد إليه في كل وقت وحين، في السراء والضراء، وفي السر والعلن، لذلك ركز شعيب -عليه السلام- على الاستغفار، بل أمرهم به ثم ألزمهم بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الله.

١- التحرير والتنوير (١٤٨/١٢).

٢- التحرير والتنوير (١٤٨/١٢).

٢) يرتبط الاستغفار بالتوحيد، والقران الكريم مليء بالنصوص الدالة على ارتباط الاستغفار بالتوحيد. قال تعالى: **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إله إِلاَ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَات﴾** [محمد: ١٩]، فأمر بالتوحيد ثم أمر بالاستغفار، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "وقد ثبتت دائرة الاستغفار بين أهل التوحيد، واقترانها بشهادة أن لا إله إلاَّ الله، مِن أولِّهم إلى آخرهم، ومن آخرهم إلى أوَّلِهم"[١]، وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

٣) الاستغفار فيه استجابة لأمر الله، فلقد أمر الله عباده المؤمنين بالاستغفار، كقوله تعالى: **﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾** [البقرة:١٩٩].

٤) الاستغفار فيه الحماية والحفظ من الهلاك فقوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** [الأنفال:٣٣] دليل على أهمية الاستغفار في ساعة الشدة وأيام الحروب؛ كهذه الأيام التي نعيشها، فهل يستغفر الناس فيها؟! أولئك الذين هربوا خوفاً من الحرب المدمرة هل استغفروا الله تعالى من سيئاتهم؟! فالاستغفار نجاة.

٥) الاستغفار هو دأب الأنبياء والصالحين، والقران حين يحدثنا عن الانبياء فنجد أن الانبياء كانوا كثيري الاستغفار.

٦) إن للاستغفار فوائد جمة للمؤمنين، وفوائد عديدة من أهمها:

أ- "الاستغفار يجلب الغيث المدرار للمستغفرين ويجعل لهم جنّاتٍ ويجعل لهم أنهارًا.

ب- الاستغفار يكون سببا في إنعام اللّه-ﷻ- على المستغفرين بالرّزق من الأموال والبنين.

ت- المستغفر تصغر الدّنيا في قلبه.

ث- ابتعاد شياطين الإنس والجنّ عنه.

ج- يجد حلاوة الإيمان والطّاعة.

ح- حصول محبّة اللّه له.

خ- تيسير الرّزق وذهاب الهمّ والغمّ والحزن.

د- إقبال اللّه على المستغفر وفرحه بتوبته.

ذ- وإذا مات تلقّته الملائكة بالبشرى من ربّه.

---

[١]- مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦٩٦/١١).

ر- إذا كان يوم القيامة كان النّاس في الحرّ والعرق، وهو في ظلّ العرش.

ز- تحقيق طهارة الفرد والمجتمع من الأفعال السّيّئة"[1].

س- ومما يدلل ثمرة الاستغفار قول أول المرسلين سيدنا نوح -عليه السلام- لقومه: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً، وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً**﴾ [نوح: ١٠-١١].

[1]- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٢/ ٣٠٢).

المطلب الرابع
التهديد والوعيد لغة أصحاب الحجة الباطلة

قال تعالى: ﴿**قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ**﴾ {هود/٩١} .

أولاً: المعاني اللغوية:

١) ﴿**رَهْطُكَ**﴾: "الراء والهاء والطاء أصلٌ يدلُّ على تجمُّعٍ في النّاسِ وغيرِهم"[١]. والرهط: "عَدَدٌ يُجمَع من ثلاثةٍ إلى عَشَرة، وبعضُه يقول: من سَبْعةٍ إلى عشرة"[٢].

٢) ﴿ **لَرَجَمْنَاكَ**﴾: "الرجام الحجارة، والرجم الرمى بالرجام، يقال رجم فهو مرجوم"[٣]، ويستعار الرجم للرمي بالظن والتوهم وللشتم والطرد.

٣) ﴿**بِعَزِيزٍ**﴾: العين والزاء أصلٌ صحيح واحد، "يدلُّ على شدّةٍ وقوّةٍ وما ضاهاهما، من غلبةٍ وَقهر"[٤]، "العزة حالة مانعة للإنسان من أن يغلب من قولهم أرض عزاز أي صلبة"[٥].

ثانياً: الجوانب البلاغية:

- ﴿**قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ**﴾ التهكم بشعيب وبدينه وذلك:

أ- "إما لقلة الرغبة.

ب- أو قالوا تهكماً واستهانة كما يقول الرجل لصاحبه إذا لم يعبأ بحديثه: ما أدري ما تقول. كأنهم جعلوا كلامه تخليطاً وهذياناً لا ينفعهم كثير منه"[٦]، قال البيضاوي: "وهذا ديدن السفيه المحجوج ، يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد. وفي إيلاء ضميره حرف النفي تنبيه على أن الكلام فيه لا في ثبوت العزة، وأن المانع لهم من إيذائه عزة قومه"[٧].

١- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٤٥١/٢).

٢- مفاتيح الغيب (٤١/١٨)، تهذيب اللغة (٦/ ١٧٤).

٣- مفردات غريب القران، الاصفهاني (ص١٩٠)

٤- معجم مقاييس اللغة (٨٣/٤)

٥- مفردات غريب القران، الاصفهاني (ص٣٣٣-٣٣٢)

٦- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري (٤٦/٤).

٧- تفسير البيضاوي، البيضاوي(ص٢٥٦).

ثالثاً: المعنى الاجمالي:

قالوا يا شعيب: ما نفهم كثيرًا مما تقول فهمًا عميقًا، ولا نفهم له معنى ولا حكمة، وإنا لنراك فينا ضعيفًا لا حول لك ولا قوة، فكيف يقبل منك هذا الذي يوصلك إلى الرياسة في الدين والدنيا، على أنا لو أردنا البطش بك لما منعنا مانع، ولولا عشيرتك الأقربون لفتكنا بك فتكًا يتناسب مع عملك معنا من ذم آلهتنا، وطلبك الحجر علينا في تصرفنا أي : "نقتلك رميًا بالحجارة وما أنت علينا بعزيز"[1].

رابعا: تحقيق المقاصد والاهداف:

١) إن مما يميز صاحب الحق، أنه دائما يتلطف في دعوة الناس ، فالحق سبحانه أمر أنبيائه بذلك، فهذا نبي الله موسى-عليه السلام- أمره ربنا باللين مع طاغية عصره فرعون فقال تعالى: **﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾** [طه:٤٣]، وقال في حق نبينا -ﷺ-: **﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّن اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾** [آل عمران:١٥٩].

٢) لاقى الأنبياء عليهم السلام أشدّ ألوان الأذى والعذاب، من أقوامهم الفاسدة، والذي منهم شعيب -عليه السلام-، وهو خطيب الأنبياء، أجابوه بأبشع الألفاظ مع الإصرار على النكران والتكذيب. ولقد تحدث القران الكريم عن هذا الجانب وأظهره جديدا، فحكي عن لغة أهل الباطل في التهديد والوعيد للرسل والتي منها **جوانب عدة، وأهمها ما يلي:**

- الجانب الأول: التهديد بالإخراج من أرضه.

إن إخراج القوي للضعيف من بلده وداره، أمر ليس هينا، ولقد قال النبي -ﷺ- حين هاجر من مكة إلى المدينة: **(ولولا أني أخرجت منك ما خرجت)**[2]، فهذا يدل عن أن الأمر ليس هينا.

وانظر كيف كان رد قوم شعيب عليه ردوا عليه في قسوة وكبرياء، قال تعالى: **﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾** [الأعراف: ٨٧-٨٨].

وهذا حال جميع الأنبياء كما أخبر القران بإخراجهم من أرضهم، ما لم يتركوا دين الرحمة الذي جاءوهم به ويعودوا إلى ملة الكفر والعذاب، قال سيد قطب: " فهم ضيقو الصدور بالحق

١- التفسير الواضح ، محمد محمود حجازى (١٤٣/٢).

٢- سنن ابن ماجه كِتَاب الْمَنَاسِكِ بَاب فَضْلِ مَكَّةَ (٣١٠٨)، (٤/ ٥٤٢).

الواضح، لا يريدون أن يدركوه، وهم يقيسون القيم في الحياة بمقياس القوة المادية الظاهرة، ففي حسابهم عصبية العشيرة، لا عصبية الاعتقاد، وصلة الدم لا صلة القلب، ثم هم يغفلون عن غيرة اللّه على أوليائه فلا يضعونها في الحساب"[1].

- الجانب الثاني: التهديد بالسجن:

إن السجن لعقوبة قاسية، تعتبر عند الطغاة الفراعنة أهل الباطل تفضلًا منهم على أعدائهم من أهل الحق، لأن أهل الحق لا يستحقون الحياة، والسجن قد يكون محطة يعبر منها السجين إلى مشنقة الموت، أو ينسى في السجن نسيان القساة الذين نزعت الرحمة من قلوبهم، ومن الأمثلة على ذلك قال تعالى على لسان فرعون: **﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾** [الشعراء: ٢٩]، وكذلك امرأت العزيز مع يوسف -عليه السلام- قَالَتْ: **﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [يوسف: ٢٤ - ٢٥].

- الجانب الثالث: التهديد والوعيد بالرجم:

لقد هدد أهل الباطل بالرجم رسلَ الحق ودعاته وأهله، كما قال تعالى عن قوم نوح: **﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾** [الشعراء: ١١٦].

وقال الله -عز وجل- عن قوم شعيب أنهم لم يتركوا رجمه إلا خوفا من رهطه، كما قال تعالى عنهم: **﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١]**، يعني لقتلناك بالحجارة، والرجم أسوأ القتلات وشرها"[2]، وكذلك ما حدث مع أصحاب القرية كما في سورة يس حينما هددوا الرسل الذين جاؤوا لدعوتهم إلى التوحيد هددت رسلها بالرجم والعذاب المؤلم، كما قال تعالى: **﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [يس: ١٨].

- الجانب الرابع: التهديد بالحرق:

إن من أشد أنواع القتل الشنيع التي يتخذها قساة القلوب من أهل الباطل، تحريق أهل الحق بالنار،كما فعل قوم إبراهيم الخليل -عليه السلام- لولا أن الله تعالى سلب النار قدرتها على إيذائه بقدرته تعالى، قال تعالى فيهم -بعد أن أقام إبراهيم -عليه السلام- الحجة عليهم واعترفوا بأنه على حق وأنهم هم أهل باطل وظلم قال تعالى: **﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾** [الأنبياء: ٦٨-٦٩].

---

[1]- في ظلال القران، بتصرف (٤/ ١٩٢٢).

[2]- تفسير الخازن (٣/ ٢٥٠).

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات (٩٢-٩٥)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الله أحق بالخشية من غيره.

المطلب الثاني: صدق وعد الله لرسله وعدم تخلفه أبداً.

المطلب الثالث: النجاة والحفظ جزاء المتقين.

المطلب الأول
الله أحق بالخشية من غيره

قال تعالى: **﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾** {هود/٩٢}.

أولاً: المعاني اللغوية:

١) **﴿ظِهْرِيًّا﴾**: "الظهر الجارحة وجمعه ظهور"[١]، أي: "جَعَلتمُوه وراءَ ظُهورِكم فهو مَنْسوب إلى الظَّهر وكسرُ الظاء من تَغْييرات النَّسب"[٢].

٢) **﴿مُحِيطٌ﴾**: الحاء والواو والطاء كلمةٌ واحدة، "وهو الشيء يُطِيفُ بالشيء. فالحَوْط مِن حاطَه حَوْطاً. والحِمار يَحُوط عانَتَه: يجمعُها"[٣]. والاحاطة بالشيء تعلم وجوده وجنسه وكيفيته وغرضه المقصود به وبإيجاده وما يكون به ومنه، وذلك ليس إلا لله تعالى.

ثانياً: الجوانب البلاغية:

١) **﴿أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ﴾**: همزة الاستفهام "للإنكار والتوبيخ، أَيْ: أَرَهْطِي أَعَزُّ وَأَكْرَمُ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ"[٤].

٢) **﴿ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾**، قال: أعزّ عليكم من الله، ولم يقل: أعزّ عليكم مني؛ "لأن نفي العزّة عنه وإثباتها لقومه كما يدل عليه إيلاء الضمير حرف النفي استهانة به، والاستهانة بأنبياء الله استهانة بالله -ﷻ-، وفي هذا من قوّة المحاجة ووضوح المجادلة وإلقام الخصم الحجر ما لا يخفى، ولأمر ما سمي شعيب خطيب الأنبياء"[٥].

ثالثاً: المعنى الاجمالي:

قال شعيب -عليه السلام-: (أرهطي) أي : عشيرتي الأقربون، الذين من أجلهم لم ترجمونى، أعز

١- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد (ص٣١٧).

٢- لسان العرب لابن منظور (٢٧٦٦/٤)، النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (٣٦٤/٣).

٣- معجم مقاييس اللغة (١٢٠/٢).

٤- روح المعاني (١١٣/٤)، تفسير المنار (١٢٢/١٢).

٥- انظر: تفسير الشوكاني (٤٧٧/٣).

وأكرم عندكم من اللّه تعالى الذي هو خالقكم ورازقكم ومميتكم ومحييكم، وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا أي :" وجعلتم أوامره ونواهيه التي جئتكم بها من لدنه سبحانه كالشيء المنبوذ المهمل الملقى من وراء الظهر بسبب كفركم وطغيانكم إِنَّ رَبِّي بِما تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ أي: إن ربي قد أحاط علمه بأقوالكم وأعمالكم السيئة، وسيجازيكم عليها بما تستحقون من عذاب مهين، ثم زاد في توبيخهم وتهديدهم"[1].

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) إن من أعظم آثار الإيمان وأبرز أوصاف المؤمنين هو الخشية من الله، كما ذكر في قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾** [الأنبياء: ٤٩]، وقوله تعالى: **﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾** [الأحزاب: ٣٩].

٢) إن من أهم اسباب الخشية ما يلي:

أ- إجلال الله وتعظيمه، قال تعالى: **﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾** [النحل: ٥٠].

ب- قراءة القرآن الكريم بتدبر وفهم، يقول ابن الجوزي: "والله لو أن مؤمناً عاقلاً قرأ سورة الحديد وآخر سورة الحشر وآية الكرسي وسورة الإخلاص بتفكر وتدبر لتصدّع قلبه من خشية الله وتحيّر من عظمة الله ربّه"[2].

ت- النظر في سيرة النبي محمد -ﷺ-، قال ابن القيم: "لأنه سيد الخائفين وإمام المتقين وأخشاهم لله فإذا تدبر المسلم كلام الله وسنة نبيه شهد قلبه أموراً من صفات الله وعقوباته وانتقامه وكيف خاف الأنبياء والملائكة والصالحون، وليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل وجمع الفكر على معاني آيات الكتاب العزيز فلا تزال معانيه تنهض العبد إلى ربه بالوعد الجميل وتحذره وتخوفه بوعيده من العذاب الوبيل وتحثه على التضمر والتخفف للقاء اليوم الثقيل"[3].

---

[1]- التفسير الوسيط لطنطاوي (٢٦٤/٧).

٢- التذكرة في الوعظ لابن الجوزي (ص٧٣).

[3]- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٤٥٠/١).

ث- الاتعاظ من قصص الامم السالفة التي أهلكها الله بسبب عدم خشيتهم من الله كما في قصة شعيب -عليه السلام- مع قومه.

ج- العلم قال تعالى: **﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العلماء﴾** [فاطر: ٢٨]، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتم، والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر"[١].

٣) وإن من فوائد الخشية مايلي:

أ- الفوز بالجنّة والنّجاة من النّار. قال تعالى: **﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ﴾** [النور: ٥٢]، وهذا هو شعار المؤمن، أن يقول: سمعنا وأطعنا دون نقاش ولا حرج في أن يطلب.

ب- ينال العبد المدح والثناء من الله تعالى له، وقد مدح الله وأثنى على الذين يخشونه، كما قال تعالى: **﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾** [فاطر:٢٨]، ولا خير في علم لا يؤدي إلى خشية الله تبارك وتعالى، يقول ابن القيم: "وكفى بخشية الله علما، ونقصان الخوف من الله إنما هو لنقصان معرفة العبد به، فأعرف الناس أخشاهم لله، ومن عرف الله اشتد حياؤه منه"[٢].

ت- تثمر محبّة اللّه وطاعته في القلب وتزيد الإيمان فيه قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾ [الملك:١٢].

ث- سبب سعادة العبد في الدّنيا والآخرة قال تعالى: ﴿**فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرى * سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشى**﴾ [سورة الأعلى: ٩،١٠].

ج- الخشية دليل هداية القلب، قال تعالى: ﴿**طه*ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى*إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشى**﴾ [طه:١-٣].

---

[١]- تفسير ابن كثير (٦٦٧/٣).

[٢]- طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٤٢٤).

ح- التوكل على الله وعدم الخوف الا من الله تعالى فالله أحق بالخشية، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ**﴾ [الأحزاب: ٣٩].

خ- مهما اجتمعت قوي الكفر والضلال على أهل الإسلام، فلا يزيدهم ذلك إلا خشية لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٧٣ – ١٧٥] [١].

[١]- انظر: نضرة النعيم (٥/ ١٨٥٦).

المطلب الثاني
صدق وعد الله لرسله وعدم تخلفه أبداً

قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ {هود/٩٣}.

أولاً: الجوانب البلاغية:

١) ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا﴾ "عطف نداء على نداء زيادة في التنبيه، والمقصود عطف ما بعد النداء الثاني على ما بعد النداء الأوّل"[١]، فقد حذفت الفاء التي يتطلبها السياق لتلفت نظر السامع وانتباهه الى أن ثمة سؤالا وهو "فماذا يكون بعد ذلك وهو أبلغ في التهويل لأن قوله سوف تعلمون ينطوي على ما لا يدرك كنهه ولا يسبر غوره من أعمال الانتقام والتهديد"[٢].

٢) قال تعالى: ﴿إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وردت في سورة هود وفي سورة أخرى ﴿فسوف﴾ [الأنعام: ١٣٥]، "الجواب أن كلا الأمرين حسن عند العرب إن أدخلوا الفاء دلوا على اتصال ما بعد الكلام بما قبله وإن أسقطوها بنوا الكلام الأول على أنه قد تم وما بعده مستأنف"[٣].

ثانياً: المعنى الإجمالي:

لما رأى إصرارهم على الكفر وتصميمهم على دين آبائهم وعدم تأثير الموعظة فيهم توعدهم بأن يعملوا على غاية تمكنهم ونهاية استطاعتهم[٤]، وهكذا نجد شعيبا -عليه السلام- وهو خطيب الأنبياء كما وصفه الرسول -ﷺ- يرشد قومه إلى ما يصلحهم ويسعدهم بأسلوب حكيم، جامع لكل ألوان التأثير، والتوجيه السديد.

وليت الدعاة إلى اللّه في كل زمان ومكان يتعلمون من قصة شعيب -عليه السلام- مع قومه أسلوب الدعوة إلى اللّه تعالى[٥].

١- التحرير والتنوير، (١٥٢/١٢).

٢- إعراب القرآن وبيانه، محي الدين الدرويش(٤٢١/٤).

٣- زاد المسير لابن الجوزي (١٥٤/٤).

٤- انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، الشوكاني (٧٥٢/٢).

٥- انظر: التفسير الوسيط، سيد طنطاوي (٢٦٦/٧).

ثالثاً: تحقيق المقاصد والاهداف:

١) إن صدق وعد الله لرسله وعدم تخلفه أبدًا لهو أكبر دليل على صدق دعوتهم وأنه يوحي إليهم من رب العالمين، فكثير من الأنبياء حذروا أقوامهم من تعجيل العقوبة لهم، وضربوا لهم الأمثلة على ذلك ممن سبقهم من الأمم السالفة.

٢) لقد تنوع عذاب الله –ﷻ– وعقابه للمكذبين الكافرين؛ فمنهم من أهلكه بالطوفان والغرق كقوم نوح وفرعون وقومه، ومنهم من أهلكه بريح عاتية كقوم هود، ومنهم من أخذته الصيحة والصاعقة فقطعت قلوبهم كقوم صالح، ومن الآيات الدالة على ذلك ما حدث مع نبي الله شعيب –عليه السلام– أن ذكرهم بالعاقبة وهي من أشد أساليب الترهيب لأنّ الرسل إنَّما بعثوا مبشّرين ومنذرين ، قال تعالى –على لسان نبي الله شعيب –عليه السلام–: **﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾** [سورة هود: ٨٩].

٣) إن من أجمل ما قيل في سورة الشعراء من تكرار قوله تعالى: **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾** [الشعراء٨: ٩]، وقد "كررت ثماني مرات كل مرة عقب كل قصة فالإشارة في كل واحدة بذلك إلى قصة النبي المذكور قبلها وما اشتملت عليه من الآيات والعبر"[١]، وكذلك ما دلت عليه من صدق دعوتهم. وصدق وعد الله لهم قال الزركشي "تكررت في ثمانية مواضع لأجل الوعظ فإنه قد يتأثر بالتكرار من لا يتأثر بالمرة الواحدة وقوله: **(في ذلك لآية)** فذلك لظهور آيات الأنبياء عليهم السلام والعجب من تخلف من لا يتأملها مع ظهورها"[٢].

---

[١]– الإتقان في علوم القرآن جلال الدين السيوطي (٣/ ٢٢٧).

[٢]– البرهان في علوم القران الزركشي (٣/ ٢٠).

[٣]– للاستزادة ارجع لرسالة الماجستير في تحقيق المقاصد من سورة هود، للطالب: سعيد خضر، بإشراف: د. زهدي أبو نعمة.

المطلب الثالث

النجاة والحفظ جزاء المتقين

قال تعالى: **﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾** {هود/٩٤-٩٥}.

أولا: المعانى اللغوية :

١) **﴿الصَّيْحَةُ﴾**: "الصيحة رفع الصوت أي النفخ في الصور وأصله تشقيق الصوت"[١].

٢) **﴿جَاثِمِينَ﴾**: جثم جاءت "من قولهم جثم الطائر إذا قعد ولطئ بالارض، والجثمان شخص الانسان قاعدا"[٢].

٣) **﴿يَغْنَوْا﴾**: "يقيموا فيها ويقال يتراءون فيها ويقال يعيشون فيها مستغنين والمغاني المنازل واحدها مغني"[٣].

٤) **﴿بُعْدًا﴾**: أي: هلاكاً.[٤]

ثانيًا: المعنى الإجمالي :

بعد نفاد كل محاولات الإصلاح لأهل مدين، نزل بهم العقاب على كفرهم وفسادهم، فلما جاء أمر الله بعذابهم، ونفذ قضاؤه فيهم، "نجى الله تعالى رسوله شعيبًا -عليه السلام- ومن آمن معه، برحمة إلهية خاصة بهم، وأخذت الظالمين الصيحة: وهي صوت من السماء، شديد مهلك مرجف، فأصبحوا قعودا ميتين لا يتحركون"[٥]، كأنهم لم يقيموا في بلادهم طويلا في رغد عيش، ولم يعيشوا فيها قبل ذلك، "وصدر بحقهم الدعاء المرجّى تنبيها للسامع في كلمة: أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَما بَعِدَتْ ثَمُودُ أي ألا هلاكًا ودمارًا لهم، كما هلكت ودمرت من قبلهم قبيلة ثمود، وكانوا جيرانهم بقرب منهم في الدار، وبينهم تشابه في الكفر وقطع الطريق، وكانوا عربًا مثلهم"[٦].

١- غريب القرآن (ص٢٨٩).

٢- غريب القرآن (ص٨٨)، التبيان في تفسير غريب القرآن (ص٢٣٨).

٣- التبيان في تفسير غريب القرآن (ص٢٠٦).

٤- التبيان في تفسير غريب القرآن (ص٢٣٥).

٥- التفسير الوسيط للزحيلي (ص١٠٦٩/٢).

٦- التفسير الوسيط للزحيلي (ص١٠٦٩/٢).

ثالثاً: الجوانب البلاغية:

التشبيه في قوله تعالى قوله **(كما بَعدت ثمود)**: فهو تشبيه البعد الذي هو انقراض مدين بانقراض ثمود، ووجه الشبه، "التّماثل في سبب عقابهم بالاستئصال، وهو عذاب الصيحة، ويجوز أن يكون المقصود من التّشبيه الاستطراد بذمّ ثمود لأنهم كانوا أشدّ جرأة في مناواة رسل الله، فلمّا تهيأ المقام لاختتام الكلام في قصص الأمم البائدة ناسب أن يعاد ذكر أشدّها كفراً وعناداً فَشُبّهَ هلك مدين بهلاكهم، والاستطراد فَنّ من البديع"[1].

رابعاً: تحقيق المقاصد والاهداف:

١) إن النجاة شيء يسمو إليه كل إنسان، بل ويسعى إليه بشتى الوسائل والصور، لكن هناك الكثير يضل الطريق، ظانا منه أنه على الجادة، فكيف بمن يتنكب طريق النجاة، استكباراً وعناداً كما حدث مع أقوام الرسل والأنبياء حين دعوهم للنجاة، فكان حالهم، قال تعالى: **﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾** [غافر: ٤١] أي: الهلاك.

٢) للنجاة طريق واحد لا يتعدد ولا ينحرف، خط مستقيم للوصول لرب العالمين، وهي التقوى التي يتحصل عليها المتقون.

٣) **من معاني كلمة التقوى في القرآن:** ورد لفظ التّقوى في القرآن الكريم على "خمسة أوجه:

أ- الخوف والخشية كما في قوله تعالى: **﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾** [الحج: ١].

ب- العبادة كما في قوله تعالى: **﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾** [النحل: ٢].

ت- ترك المعصية كما في قوله تعالى: **﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [البقرة: ١٨٩] أي لا تعصوه.

ث- التّوحيد كما في قوله تعالى: **﴿أُولئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى﴾** [الحجرات: ٣].

ج- الإخلاص كما في قوله سبحانه: **﴿ذلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللَّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾** [الحج: ٣٢]"[2].

---

[1]- التحرير والتنوير لابن عاشور(١٢/١٥٤).

٢- نضرة النعيم (٤/١٠٨٠).

المبحث الرابع

المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات (٩٦-٩٩)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تأييد الله لرسوله موسى-عليه السلام- بالمعجزات الباهرة.

المطلب الثاني: التحذير من اتباع رؤوس السوء وأئمة الفساد والضلال.

المطلب الثالث: اتباع أهل الباطل لعنة في الدنيا والآخرة.

المطلب الأول

تأييد الله لرسوله موسى-عليه السلام- بالمعجزات[1] الباهرة

قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ {هود: ٩٦}**

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ﴾: أي "وحجّة مبيَّنة"[2]، والسُّلطان إنما سمي سُلْطاناً "لأَنه حجةُ اللّهِ في أَرضه"[3].

ثانياً: المعنى الإجمالي:

قوله تعالى: **﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى..﴾** أي بآياتنا التسع المعدودة في سورة الإسراء والمفصلة في غيرها[4]، **(وسلطان مبين)** أي وبرهان واضح البيان، "وهو ما آتاه الله من الحجة البالغة في محاوراته مع فرعون. وقيل: هي العصا لأنها أكبر آياته، وعطفها على ما قبلها من عطف الخاص على العام"[5].

ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) لقد أرسل الله الرسل، وأيدهم بمعجزات باهرات، لتكون حجة على أقوامهم ودليلًا على صدقهم، "وكان بنو إسرائيل أكثر الشعوب حظًا في عدد الرسل الذين أرسلوا إليهم، ومع ذلك كانوا ينسون الإنذارات، ويحرفون الشرائع، ويتبعون أهواءهم، ويعصون رسلهم، إما بالتكذيب وإما بالقتل"[6].

---

[1]- المعجزة في اللغة: من العجز وعدم القدرة والاستطاعة، فنقول: عجز فلان عن فعل كذا؛ أي عن القيام به، والقدرة على إنفاذه وفعله، ومن ثم سُميت آيات الرسل معجزات؛ لظهور عجز المرسَل إليهم عن معارضتها بأمثالها تهذيب اللغة (١٠١/١)، لسان العرب (٣٦٩/١). المعجزة اصطلاحاً: عرفها السيوطي بقوله: "اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة". الإتقان في علوم القرآن، (١١٦/٢).

٢- تهذيب اللغة، الأزهري (٢٥٥/٤).

٣- لسان العرب، ابن منظور (٣٢٠/٧).

٤- سيأتي التفصيل في آخر المطلب ص ( )

٥- تفسير المنار، محمد رشيد رضا (١٢٥/١٢).

٦- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (٢٢١/١).

٢) لقد أيد الله نبيه موسى –عليه السلام– بتسع معجزات، ولقد تم تحديد عدد هذه المعجزات في سورة الإسراء **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾** {الإسراء/ ١٠١}.

وهذه المعجزات[١] هي:

أ- (الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم) قال تعالى: **﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾** [الأعراف:١٣٣].

ب- انقلاب العصا حية **﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾** [طه: ٢٠].

ت- اليد **﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾** [الأعراف: ١٠٨].

ث- السنون **﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾** [الأعراف: ١٣٠].

ج- وفلق البحر **﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾** [الشعراء : ٣٦].

فدل بذلك على أنها آياتٌ واضحة ودلائل قاطعة على أنه رسول من عند الله.

١- تفسير القرطبي (٢٤٢/١٣)، تفسير التحرير والتنوير (١٥/ ٢٢٥)، تفسير السراج المنير، للشربيني، (٢٦٦/٢).

المطلب الثاني

التحذير من اتباع رؤوس السوء وأئمة الفساد والضلال

قال تعالى: **﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ* يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾** {هود: ٩٧-٩٨}.

أولاً: المعانى اللغوية:

١) **﴿وَمَلَئِهِ﴾**: الملأ "جماعة يجتمعون على رأى، فيملئون العيون رواء ومنظرا والنفوس بهاء وجلالا"[١]. وهم " الأشْراف من الناس، لأنَّهم مُلِئُوا كرماً"[٢].

٢) **﴿الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾**: مصدر ورد يرد وردا والمورود "اسم مفعول منه أي بئس المدخل المدخول فيه"[٣]، والوارد "الذي يتقدم القوم فيسقى لهم"[٤].

ثانياً: المعنى الإجمالي:

إن بني إسرائيل لم يتبعوا موسى -عليه السلام- الهادي إلى الحق، المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة، "واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي إلى ما لا يخفى فساده على من له أدنى مسكة من العقل "[٥]، **﴿وما أمر فرعون برشيد﴾** مرشد أو ذي رشد وإنما هو "غي محض وضلال صريح"[٦]، **﴿يقدم قومه يوم القيامة﴾** إلى النار كما كان يقدمهم في الدنيا إلى الضلال، **﴿فأوردهم النار﴾** ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ومنزل النار لهم منزلة الماء فسمى إتيانها موردا ثم قال: **﴿ وبئس الورد المورود﴾** أي" بئس المورد الذي وردوه فإنه يراد لتبريد الأكباد وتسكني العطش والنار بالضد والآية كالدليل على قوله: **﴿وما أمر فرعون برشيد﴾** فإن من كان هذه عاقبته لم يكن في أمره رشد أو تفسير له على أن المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة"[٧].

---

[١]- مفردات غريب القران (ص٤٧٣).

[٢]- معجم مقاييس اللغة (٣٤٦/٥).

[٣]- التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري(ص٢٣٨).

[٤]- غريب القرآن، للأصفهاني (ص٥١٩).

[٥]- انظر: البحر المديد، بن عجيبة الحسني (٣/ ٣٢٨).

[٦]- انظر: تفسير البيضاوي، البيضاوي (٢٥٩).

[٧]- انظر: تفسير البيضاوي، البيضاوي (٢٥٩).

ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) إن الاتباع المذموم المتعلقُ بعادات الآباء وتقاليد الأجداد، وإن كانت مخالفة لشرع الله، والتحاكم إلى السلوك والعادات الموروثة واعتبارها فيصلاً في القضايا والخصومات؛ كلٌّ ذلك ضربٌ من ضروب الجاهلية، ونوع من الاتباع المذموم، وشكَّل حاجزاً دون اتباع المرسلين.

٢) إن مما لا شك أن الإنسان الذي يتبع رؤوس الباطل وأئمة الضلال، أن يتخبط ويخسر دنياه وآخرته، ويعود عليه بالآثار المذمومة، سواء كانت الدنيوية أو الأخروية والتي منها كما يلي:

أ- من أهم الآثار الدنيوية[١]:

- التشبه بالمتبوع: ذم القرآن أولئك الذين تعلقوا بما عليه آباؤهم وحالت بينهم وبين التسليم والاتباع لشرع الله، فقال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ**﴾ [البقرة:١٧٠].
- المعصية والإفساد: إن مما لا شك أن اتباع غير الحق يؤدي إلى الفساد، وكذلك حين تكثر المعاصي والذنوب، وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ**﴾ [المؤمنون: ٧١].
- التكذيب والضلال: شكَّل الاقتداءُ بما عليه الآباء حاجزاً دون اتباع المرسلين، وقيل لمحمد -ﷺ- وهو يعاني من هذه التبعية الممقوتة: ﴿**وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ [الزخرف:٢٣-٢٥].
- الاحتكام إلى الهوى: لقد أفسد الهوى كل من وقع فيه، وكذلك "إن الذي يحتكم إلى الهوى، فإنه يقينا يترك الاحتكام للحق"[٢].

ت- من أهم الآثار الأخروية:

- الحسرة والندامة يوم القيامة: يتبرّأ المتبوعون من التابعين، ويحمل كلٌّ منهم وزره على ظهره، كما قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ**

١- انظر: الاتباع أنواعه وآثاره (٦٨٧/٢).

٢- الاتباع أنواعه وآثاره (٦٨٣/٢).

خَطَايَاهُمْ مِّنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت:١٢-١٣].

- تنازع وتلاوم الأتباع والمتبوعين ونهايتهم السيئة قال تعالى: **﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [سبأ:٣١-٣٣]، ألا فاعتبروا يا أولي الأبصار، وَقُوا أنفسَكم الحسرة والعذاب ما دمتم في زمن العمل.
- حبوط العمل قال تعالى: **﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾** [البقرة:١٦٦-١٦٧][1].

٣) المخرج من هذه التبعيات المذمومة:

أ- الاعتصام بالكتاب والسنة قال تعالى: **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [آل عمران: ٣١].

ب- لزوم الصراط المستقيم، واتباع هدى المرسلين. قال تعالى: **﴿وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [الانعام: ١٥٣]، وقال تعالى: **﴿قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحانَ اللَّهِ وَما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** [يوسف: ١٠٨].

ت- السير على منهج سلف الأمة المهديين، ولزوم سبيل المؤمنين قال تعالى: **﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَ اللَّهِ كَمَنْ باءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْواهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾** [آل عمران:١٦٢]، وقال تعالى: **﴿ومَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْراهِيمَ خَلِيلًا﴾** [النساء: ١٢٥].

ث- اتخاذ الشيطان عدواً، وعدم تتبع خطواته، قال تعالى: **﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾** [البقرة: ١٦٨].

ج- البعد عن المُحْدَثات المبتدعة في الدين.

١- انظر: الاتباع أنواعه وآثاره (٦٨٧/٢-٦٨٠).

ح- ومجاهدة النفس عن الوقوع في الشهوات المحرمة والشبهات المضلة[1].

فائدة:

ودلت كذلك الآيات على أن الجزاء من جنس العمل، ففرعون كما كان في الدنيا إماماً من أئمة الظلم والطغيان سيكون يوم القيامة هو وجنوده من أئمة النار.

١-ملتقى الخطباء، خطبة بعنوان: الاتباع المحمود والاتباع المذموم، للشيخ سلمان العودة، بتاريخ 1/6/1433هـ http://khutabaa.com/index.cfm?method=home.khdetails&khid=٤٤٣٤

المطلب الثالث

اتباع أهل الباطل لعنة[1] في الدنيا والآخرة

قال تعالى: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ {هود: ٩٩}

أولاً: المعاني اللغوية:

١) **﴿وَأُتْبِعُوا﴾**: يقال تبعه واتبعه "قفا أثره وذلك تارة بالارتسام والائتمار"[2].

٢) **﴿الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾**: "الرفد العطاء والعون أي بئس عطاء المعطي، والرفود الناقة التي تملأ المرفد لبنا من كثرة لبنها فهي رفود"[3].

ثانياً: المعنى الإجمالي:

ألحقوا فِي هذِهِ الدنيا لَعْنَةً؛ أي طردًا من رحمة اللّه وَيَوْمَ الْقِيامَةِ أي يلعنون في الدنيا والآخرة بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ أي بئس العون المعان، أو العطاء المعطي، والمخصوص بالذم محذوف، أي رفدهم وهو اللعنة في الدارين[4].

ثالثا: تحقيق المقاصد والاهداف:

١) إن أصل الاتباع وأنفعُهُ ما كان على هدى الله وصراطه المستقيم، وذلك أمان – بإذن الله– من الضلالة والشقاوة، كما قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾ [طه:١٢٣]، ولا خوف ولا حُزْن عليهم في اتّباع هدى الله: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨].

٢) وفي اتباع صراط الله، كذلك، أمانٌ من الضياع والفُرقة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣].

١– قال الراغب: "اللعن هو "الطرد والإبعاد على سبيل السخط وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه". المفردات للراغب (٤٥١).

٢– غريب القرآن (ص ٧٢).

٣– المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد (ص٢٠٠).

٤– انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي (١٣٨/١٢).

٣) هناك من يتبع طريق الغواية وطريق الضلال، وذلك لأسباب عدة إما لاتباع الشهوات والمغريات دون النظر في عواقبها، وإما لاتباع الشبهات التي تنحرف إلى الهاوية فتكون النتيجة اللعن والطرد من رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة.

٤) **المراد باللعن في الدنيا:** "هو الطرد عن الحضرة الإلهية إلى طلب شهوات الدنيا وتعب وجدانها وتعب فقدانها، فهو اللعنة الدنيوية وأما اللعنة يوم القيامة، فبالبعد والخسران والحرمان وعذاب النيران"[١].

٥) **اللعن في القران الكريم عدة أقسام**[٢]:

القسم الأول: الخبر عن الله تعالى بأنه لعن أو يلعن بعض عباده الكفار المعاندين، الذين استحقوا غضبه وعقابه، وهؤلاء على أصنافٍ منهم:

أ- من لعنهم الله تعالى بسبب كفرهم وعنادهم واستحقاقهم للخلود في النار. قال تعالى: **﴿إِن الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ الله والملائكة﴾** [البقرة : ١٦١][٣].

ب- من لعنهم الله لمعاندتهم في إنكار الحق وكتم العلم والكذب على الله وتضليل الناس. **﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ الله مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الذين كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُمْ مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ الله عَلَى الكافرين﴾** [البقرة : ٨٩][٤].

ت- لعن من قتل مؤمنًا متعمدًا: وهذا في موضع واحد. **قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾** [النساء:٩٣].

ث- لعن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات. **قال تعالى: ﴿إِنَّ الذين يَرْمُونَ المحصنات الغافلات المؤمنات لُعِنُواْ فِي الدنيا والآخرة وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** [النور : ٢٣].

ج- لعن الذين يؤذون الله ورسوله. **قال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ الذين يُؤْذُونَ الله وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ الله فِي الدنيا والاخرة﴾** [الأحزاب : ٥٧][٥].

ح- لعن الشيطان الرجيم.

١- تفسير روح البيان (٩٥/٤).

٢- الموقع الرسمي للشيخ عبدالحق التركماني http://turkmani.com/com_articles/details/

٣- الآيات من (البقرة: ٨٨، آل عمران: ٨٧، النساء: ٤٦، النساء: ٤٧، النساء: ٥٢، المائدة: ٧٨، التوبة: ٦٨، هود: ٦٠، هود: ٩٩، القصص: ٤٢، الأحزاب: ٦٤، محمد ٢٣، الفتح: ٦).

٤- الآيات من (البقرة: ٨٩، البقرة: ١٥٩، المائدة: ١٣، المائدة: ٦٠، المائدة: ٦٤، الرعد: ٢٥).

٥- وهم المنافقون، وكذلك في الأحزاب: ٦١.

القسم الثاني: لعن أهل النار، وهم أهلها الكفار الخالدون فيها

القسم الثالث: ورود اللعن على سبيل التشريع، وهذا ورد في موضعين فقط:

الأول في المباهلة: قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾ [آل عمران: ٦١].

والثاني: في الملاعنة بين الزوجين: ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ، وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ**﴾[النور: ٦-٩].

المبحث الخامس

المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات من (١٠٠-١٠٨)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إثبات صدق دعوة النبي -ﷺ- وتسليته.

المطلب الثاني: سنة الله في الظلمة بأن مصيرهم الهلاك.

المطلب الثالث: إثبات الإيمان باليوم الآخر.

المطلب الرابع: حتمية البعث وبيان مآل الناس فيه.

المطلب الأول

اثبات صدق دعوة النبي -ﷺ- وتسليته

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ {هود: ١٠٠}.

أولاً: المعنى الإجمالي:

لما ذكر قصص هؤلاء الأمم مع رسلهم قال الله تعالى لرسوله ﴿**ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ**﴾ لتنذر به ويكون آية على رسالتك وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴿**مِنْهَا قَائِمٌ**﴾ لم يتلف بل بقي من آثار ديارهم ما يدل عليهم {وَ} منها ﴿**حَصِيد**﴾ قد تهدمت مساكنهم واضمحلت منازلهم فلم يبق لها أثر[١].

ثانيا: تحقيق المقاصد والاهداف:

١) "حين أنزل الله القرآن الكريم وأرسل به نبيه -ﷺ-،"لم يرسله إلى أمةٍ نبغت في علومها وتفوقت في معارفها"[٢]، فلقد جرت سنة الله سبحانه وتعالى "أن يبعث رسله، حين يضل الناس عن سبيل الله-ﷻ- الذي يصلهم بربهم، ويصل بعضهم ببعضٍ"[٣]، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ {الأحزاب: ٤٥}.**

٢) **من أدلة إثبات صدق دعوة الرسول -ﷺ-:**

أ- **تبشير الكتب السابقة بقدوم النبي -ﷺ- ورسالته:**

ففي التوراة والإنجيل في العهد القديم والعهد الجديد، آياتٌ كثيرةٌ دالةٌ على نبوة محمد -ﷺ- وتشهد برسالته، ومن ذلك:

- ما جاء في سفر التثنية: "أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به"[٤].
- ما جاء في إنجيل يوحنا: "وأما الآن فأنا ماضٍ الى الذي أرسلني و ليس أحدٌ منكم يسألني أين تمضي، لكن لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم، لكني أقول لكم الحق

---

[١]- انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي (ص٣٨٩).

[٢]- خصائص القرآن الكريم، فهد بن عبدالرحمن بن السليمان (ص١٥).

[٣]- محمد ﷺ رسول الله حقاً وصدقاً، محمد السيد محمد، (ص٦).

[٤] -سفر التثنية (ص٢٣٧)، اصحاح (١٨: ١٨-٢٠).

إنه خيرٌ لكم أن انطلق لأنه إن لم انطلق لا يأتيكم المعزي الفار قليط[1]"[2].

ب- تأييده بالمعجزات:

إخباره عن الأمم الماضية كأخبار الأولين وقصص السابقين، والإشارة إلى هلاك العاصين من قوم ثمود وعاد وغيرهم من الأقوام السابقة، وهي من الحقائق الغيبية الماضية التي أخبرنا بها القرآن الكريم على لسان نبيه -ﷺ-[3]، ومن ذلك قوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ*إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ*الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ*وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ*وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ {الفجر: ٦-١٠}.**

ومن المعجزات الحسية التي أيد الله بها نبيه -ﷺ-:

- "أعظم هذه المعجزات القرآن الكريم.
- حادثة الإسراء والمعراج.
- انشقاق القمر.
- البركة في الطعام والشراب القليل حتى يكفي العدد الكثير.
- حنين جذع الشجرة إلى النبي -ﷺ-"[4].

ت- القصة القرآنية:

إن أسلوب القصة من الأساليب التي اعتنى القرآن الكريم بها عنايةً خاصةً؛ لما فيها من عنصر التشويق، وجوانب الاتعاظ والاعتبار. وقد ألمح القرآن الكريم إلى هذا في أكثر من آية من ذلك قوله تعالى: **﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ {الأعراف:١٧٦}**، إلى غير ذلك من الآيات التي تبين اعتماد القرآن أسلوب القصص، تحقيقاً لمقاصد وأغراض سامية، والتي من أهمها إثبات صدق النبي -ﷺ- وتسليته، فإن الإخبار عن تواريخ بعض الأمم الماضية، وإلقاء الأضواء على حوادث غيبية مهمة جداً، لم يكن يدري بها النبي -ﷺ- ولا أحد من قومه، قال تعالى: **﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٤٤]**، فيكون ذلك دليلاً على صدق نبوته، وأن هذا القرآن من عند اللّه، وليس افتراء منه، كما زعم المشركون.

---

[1]- (الفار قليط): ومعناها الحامد أو الحمّاد أو أحمد أي المقصود بها محمد ﷺ(إقامة الحجة على العالمين بنبوة خاتم النبيين (ص٧) المكتبة الشاملة).

[2]- إنجيل يوحنا إصحاح (١٦:٤-١١).

[3]- آيات الإعجاز العلمي، زغلول النجار (ص٢٠).

[4]- العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسُّنَّة ، سعيد بن وهف القحطاني (٤٩)

المطلب الثاني
سنة الله في الظلمة بأن مصيرهم الهلاك

قال تعالى: **﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ *وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾** {هود/١٠١-١٠٢}.

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿ تَتْبِيبٍ﴾: "التاء والباء كلمةٌ واحدة، وهي التّباب"[١]، "أي تخسير، وهو النقصان"[٢].

ثانيا: المعنى الإجمالي:

قال المراغي: "لما كان إهلاكهم بغير جرم استحقوا به الهلاك، ولكن ظلموا أنفسهم بشركهم وفسادهم في الأرض، وإصرارهم حتى لم يعد فيهم بقية من قبول الحق وإيثار الخير على الشر، بحيث لو بقوا زمنا آخر لما ازدادوا إلا ظلماً وفجوراً وفساداً، وقد بالغ رسلهم في وعظهم وإرشادهم، فما زادهم نصحهم لهم إلا عناداً وإصراراً، وأنذروهم العذاب فتماروا بالنذر استكباراً، واتكلوا على دفع آلهتهم العذاب عنهم إن هو نزل بهم، فما نفعتهم آلهتهم التي كانوا يدعونها، وما زادوهم غير تتبيب، أي: هلاك وتخسير وتدمير، وهو من التباب أي الخسران والهلاك"[٣].

ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) بينت الآيات سنة من سنن الله في الطغاة والظلمة بأن مصيرهم الهلاك مهما تحصنوا، ومهما بلغت قوتهم، ولتنبهنا الآية على هذه الحقيقة الساطعة للاتعاظ بعاقبة الظالمين بقوله تعالى: **﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾** (هود:١٠٢).

٢) الظلم في الدولة كالمرض في الإنسان يعجل في موته، بعد أن يقضي المدة المقدرة له وهو مريض، وبانتهاء هذه المدة يحين أجل موته، فكذلك الظلم في الأمة والدولة يعجل في هلاكها، مما يحدثه فيها من آثار مدمرة تؤدي إلى هلاكها، واضمحلالها من خلال مدة معينة يعلمها الله هي الأجل المقدر له، أي الذي قدره الله بموجب سننه العامة التي وضعها لآجال الأمم بناء

---

[١]- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٣٤١/١).

[٢]- غريب القرآن، للسجستاني (ص١٤٣).

[٣]- انظر: تفسير المراغي، للشيخ أحمد مصطفى المراغي (٨٢/١٢).

على ما يكون فيها من عوامل البقاء كالعدل أو من عوامل الهلاك كالظلم الذي يظهر أثرها وهو هلاكها بعد مضي مدة محددة يعلمها الله[1].

٣) **أنواع الظّلم: وهو ثلاثة أنواع:**

- النوع الأول: ظلم الإنسان لربه: وذلك بكفره بالله تعالى: قال تعالى: **﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُون﴾** {البقرة: ٢٥٤}، ويكون بالشرك في عبادته وذلك بصرف بعض عبادته لغيره سبحانه وتعالى، قال -ﷻ-: **﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾** {لقمان: ١٣}.
- النوع الثاني: ظلم الإنسان نفسه: وذلك باتباع الشهوات وإهمال الواجبات، وتلويث نفسه بآثار أنواع الذنوب والجرائم والسيئات، من معاصٍ لله ورسوله. قال -جل شأنه-: **﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾** {النحل:٣٣}.
- النوع الثالث: ظلم الإنسان لغيره من عباد الله ومخلوقاته: وذلك بأكل أموال الناس بالباطل، وظلمهم بالضرب والشتم والتعدي والاستطالة على الضعفاء، والظلم يقع غالباً بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار[2].

وكلّ هذه الثّلاثة في الحقيقة ظلم للنّفس، "فإنّ الإنسان في أوّل ما يهمّ بالظّلم فقد ظلم نفسه"[3].

٤) **أنواع الظّلمة:** أمّا أنواع الظّلمة "فثلاثة:

أ- الظّالم الأعظم، وهو الّذي لا يدخل تحت شريعة اللّه تعالى.

ب- الظّالم الأوسط، وهو الّذي لا يلتزم حكم السّلطان.

ت- الظّالم الأصغر، وهو الّذي يتعطّل عن المكاسب والأعمال، فيأخذ منافع النّاس، ولا يعطيهم منفعة"[4].

٥) **للظلم أضرار وعقوبات كثيرة في الدنيا والآخرة منها:**

أ- انتفاء محبة الله عن الظالمين وحلول غضبه عليهم: **﴿واللهُ لَاْ يُحِبُ الظَّالِمِيْن﴾** {آل عمران: ٥٧}.

---

[1]- انظر: السنن الإلهية ، عبدالكريم زيدان (ص١٢١).

[2]- انظر: السنن الإلهية ، عبدالكريم زيدان (ص١٢١).

[3]- المفردات، للأصفهاني (ص٣١٥).

[4]- انظر: اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم (٢/١٣٦-١٣٧).

ب- استمرار عذاب الظالمين وشدة ألمه: ﴿**أَلاْ إِنَّ الظَّالِمِيْنَ فِي عَذَابٍ مُقِيْمٍ**﴾ {الشورى: ٤٥}.

ت- الظالم لا يوفق لهداية الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لاْ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِيْنَ**﴾ {الأنعام: ١٤٤}.

ث- الظلم كان سبباً لإبادة الشعوب السابقة وهلاكها وهي سنة باقية لمن نهج هذا النهج: ﴿**وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا**﴾ {يونس: ١٣}، وقال تعالى: ﴿**وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ**﴾ {القصص: ٥٩}.

ج- مصير أهل الظلم النار: ﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا**﴾ {الكهف: ٢٩}.

ح- انتفاء النصير عن الظالمين: ﴿**وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**﴾ {البقرة: ٢٧٠}.

خ- أن الظالم متوعد باللعنة التي هي الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى: ﴿**يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾ {غافر: ٥٢}.

د- عدم فلاح ونجاح الظالم: ﴿**إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ {الأنعام: ٢١}.

ذ- ليس للظالم يوم القيامة من يشفع له أو ينصره: ﴿**مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾ {غافر: ١٨}[١].

ويوم حكمت الأمة الإسلامية انتشر العدل وأزيل الظلم حتى قيل للفاروق عمر: (حكمت فعدلت فأمنت فنمت)، فالعدل رحمة، والظلم بكافة أنواعه شر وبلاء وساء سبيلاً، فالحذر الحذر منه.

---

[١]- وللاستزادة عن مضار الظلم وعواقبه، ارجع لكتاب نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٤٩٢٦/١٠).

المطلب الثالث

إثبات الإيمان باليوم الآخر

قال تعالى: **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ * وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾** {هود:١٠٣-١٠٤}.

تحقيق المقاصد والأهداف:

١) إن من أصول أهل السنة والجماعة الإيمان باليوم الآخر، وإن من الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بعلامات الساعة الصغرى والكبرى، وبكل ما أخبر به القران الكريم وكذلك ما أخبر به النبي -ﷺ-، مما يكون بعد الموت كفتنة القبر وعذابه ونعيمه إلى أن تقوم القيامة الكبرى، فتعاد الأرواح إلى الأجساد، ويقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلا، وتدنو منهم الشمس ويلجمهم العرق، وبكل ما يكون بعد ذلك من الحساب والميزان.

٢) يدخل في تعريف اليوم الآخر عدة أمور تتضمن هذا اليوم الرهيب منها الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها التي تكون قبلها لا محالة، "وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه وبالنفخ في الصور وخروج الخلائق من القبور وما في موقف القيامة من الأهوال والأفزاع وتفاصيل المحشر، ونشر الصحف، ووضع الموازين، والصراط والحوض، والشفاعة وغيرها، وبالجنة ونعيمها الذي أعلاه النظر إلى وجه الله -ﷻ-، وبالنار وعذابها الذي أشده حجبهم عن ربهم -ﷻ-"[١].

٣) إن من المعلوم يقينًا أن اليوم الآخر هو يوم القيامة ولكن لماذا سمي بهذا الاسم؟ قال الشيخ العثيمين: "واليوم الآخر: هو يوم القيامة، وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده"[٢]، قال الإمام القرطبي: "وكل ما عظم شأنه، تعددت صفاته و كثرت أسماؤه، وهذا جميع كلام العرب ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم موضعه، و تأكد نفعه لديهم، وموقعه جمعوا له خمسمائة اسم، وله نظائر،

---

[١]- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (ص ٢٩).

[٢]- مجموع فتاوى ومقالات العلامة ابن عثيمين (٤٤/١٠).

فالقيامة لما عظم أمرها و كثرت أهوالها سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة و وصفها بأوصاف كثيرة"[1].

ولقد عدَّ العلماء لليوم الآخر أسماء كثيرة، فمنهم من أوصلها إلى "خمسين اسماً كالقرطبي وشرع في شرحها"[2]. **ومن أشهر هذه الأسماء:**

أ- **يوم القيامة:** وهو أشهر الأسماء ولقد ورد في القران سبعين مرة، وسمي بذلك "لما يقوم فيها من الامور العظام التي بينتها النصوص، ومن ذلك قيام الناس لرب العالمين"[3]، منها قوله تعالى: **﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾** [الكهف: ١٠٥]، وقوله تعالى: **﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾** [النساء: ٨٧].

ب- **الساعة:** سميت بالساعة لعدة أسباب: إما لقربها مثل قوله تعالى: **﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾** [القمر:١] ومهما كانت بعيدة فهي قريبة فإن كل ما هو آتٍ قريب، أي شيء سوف يأتي فهو قريب. وقيل: إنما سميت بالساعة؛ "لأنها تأتي بغتة، أو في لحظة، أو في ساعة معينة وإذا بالقيامة قد قامت، والناس غير منتبهين لتلك الأحداث"[4]. **قال تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾** [الحجر:٨٥]، وقال تعالى في مطلع سورة الحج: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾** [الحج: ١].

ت- **يوم البعث:** قال تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ﴾** [الحج: ٥]، وهو يعني "نشرهم ليوم البعث. وسُمي بالبعث؛ لأن الله يبعث الخلق أي –يحييهم–بعد الموت يوم القيامة يخرجهم من قبورهم وإعادتهم لما كانوا عليه"[5].

ث- **يوم الخروج:** سُمي بذلك؛ لأن الناس "يخرجون من قبورهم مسرعين إلى المحشر قاصدين نحو الداعي"[6]، وهم يخرجون إلى المحاسبة ثم إلى إحدى الدارين إما إلى الجنة وإما إلى النار قال تعالى: **﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾** [ق :٤٢].

---

[1]- التذكرة، للقرطبي (٢٤٠).

[2]- اليوم الآخر، محمد الحمد (ص٤).

[3]- اليوم الآخر، لعمر سليمان الأشقر (ص٢٠).

[4]- التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي (٥/ ٤٤٧).

[5]- الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي (ص ٢٨٨)، عون المعبود، للعظيم أبادي (٢٠١٥/٩).

[6]- أضواء البيان، للشنقيطي (٤٣٢/٧).

ج- **القارعة:** وسميت بذلك؛ "لِأَنَّهَا تَقْرَعُ الْقُلُوبَ بِالْفَزَعِ"[1]، وكذلك "لأنها تقرع القلوب بأهوالها، والقرع في اللغة نوع من الضرب وهو إمساس جسم لجسم بعنف"[2]. قال تعالى: **﴿الْقَارِعَةُ*مَا الْقَارِعَةُ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾** [القارعة:١-٣]. وقال تعالى: **﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾** [الحاقة:٤] لأنها تقرع القلوب.

ح- **يوم الجمع:** قال تعالى: **﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾** [الشورى: ٧] أي وتنذر الناس من يوم القيامة "إذ هو يوم يجمع الله فيه الخلائق"[3]؛ ولذلك سمي بيوم الجمع.

خ- **يوم الخلود:** سميت بذلك لأنه اليوم "الذي لا انتهاء له"[4]، إما في الجنة أو في النار؛ لأن الناس يصيرون في ذلك اليوم إلى الخلود، قال تعالى: **﴿ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾** [ق:٣٤]، ليس هناك فناء كما يقول المصطفى -ﷺ-، فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: **(يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادي يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح ثم يقول يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة مريم: ٣٩]**[5].

د- **الواقعة:** سميت الواقعة لتحقق وقوعها، "إذ لا شك في وقوعها، وأنها ترفع أقواما وتضع آخرين"[6]. يقول الله -ﷻ-: **﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ*لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ*خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾** [الواقعة:١-٣].

---

[1]- تفسير البغوي (٢٠٤/٨).

[2]- اعراب القران وبيانه (١٨٨/١٠).

[3]- أيسر التفاسير (٤/ ٥٩٤).

[4]- البحر المديد، لأحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة (٧/ ٢٨٠).

[5]- صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾؛ (ح٤٧٣٠)، (٦/ ٩٣).

[6]- تفسير القرطبي (١٩٥/١٧)

ذ- **يوم الوعيد:** قال تعالى: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ**﴾ [ق:٢٠] أي: ذلك الوقت الذي يكون فيه النفخ الأخير في الصور، وحقيقة الوعيد: "هو الإخبار عن العقوبة، وهو الوقت الذي توعد اللّه -تعالى- فيه كل كافر بسوء المصير، كما وعد كل مؤمن بحسن الجزاء"[١].

٤) من ثمرات الإيمان باليوم الأخر في الدنيا والآخرة:

أ- تحقيق أحد الأركان الأساسية للإيمان بالله تعالى، فهو أحد أركان الإيمان الستة، ولا يصح إيمان عبد إلا بها كاملة. لحديث جبريل الطويل لما سأله عن الإيمان فقال النبي -ﷺ-: **(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)**[٢].

ب- يسهل علينا بذل الغالي والنفيس، والدينار والدرهم في سبيل الله تعالى، فعن أبى مسعود الأنصاري قال: جاء رجل بناقة مخطومة[٣] فقال: هذه في سبيل الله. فقال رسول الله -ﷺ-: **(لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة)**[٤]، فكان الصحابة يقدمون الأعمال ويجدونها أمام أعينهم: **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١].**

ت- ظهور آثار أسماء الله وصفاته؛ فإن الله -ﷻ- هو الرحيم، وهو الغفور وكذلك شديد العقاب، فكل هذه الأسماء وغيرها متصلة اتصالاً وثيقاً بالإيمان باليوم الآخر، ولأن أثرها يظهر جليًا في الدنيا على الناس، وكذلك يوم القيامة.

ث- شفاء صدور المظلومين، يأتي المقتول يجر القاتل، فيقول: يا رب! انظر هذا فيمَ قتلني، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: سمعت نبيكم -ﷺ- يقول: **(يجيء متعلقا بالقاتل تشخب**[٥] **أوداجه دما فيقول أي رب سل هذا فيم قتلني)**[٦]، يأتي الذين قد عذبوا في الدنيا من المؤمنين

---

[١]- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي (٣٤٤/١٣).

[٢]- متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي -ﷺ- عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي -ﷺ- له (ح٥٠)/ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة (ح١٠٢).

[٣]- مخطومة: أي (لها خطام تُقاد به. كالرَّسَن للدابة، فيتمكّن صاحبها منها ولا تَفِرُّ منه)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير (٩/ ٤٩٢).

[٤]- صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الصدقة في سبيل الله وتضعيفها (ح٥٠٠٥)، (٦/ ٤١).

[٥]- أي: تسيل(النهاية في غريب الحديث والأثر ص١١١٤).

[٦]- سنن النسائي، كتاب المحاربة، باب تعظيم الدم (ح٣٤٤٧)، (٣/ ٤١٩)، وصححه الألباني.

فينتقم الله لهم من الكفرة الذين عذبوهم، وهذا اليوم يقام فيه ميزان العدل: **﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾** [الأنبياء:٤٧].

ج- الاعتدال في السراء والضراء فالإيمان باليوم الآخر يهون على المسلم الشدائد مهما كانت تلك الشدائد، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **(يقول الله -عز وجل-: من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثواباً دون الجنة)**[١]، وعن الصحابي الجليل، صهيب الرومي -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **(عجباً لأمر المؤمن إن أمره له كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)**[٢].

ح- الرغبة في فعل الطاعات، والحرص عليها؛ رجاء لثواب ذلك اليوم، ولا يقلق على الأجر وإن كان العمل صغيراً، فهو يعلم أن هناك رجلاً دخل الجنة بسبب جذع أزاحه من الطريق كان يؤذي المسلمين، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **(بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخذه فشكر الله له فغفر له)**[٣]، فالمؤمن لا يتهاون بأي عمل، فعن عدي بن حاتم -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : **(اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة)**[٤]، وعندما يعلم الإنسان أنه حتى شق التمرة يأخذ عليها أجراً؛ فإنه لن يتهاون بالأعمال الصالحة ولو كانت قليلة.

خ- تسلية المؤمن عما يفوته في الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها، وشفاء صدور المؤمنين، قال تعالى: **﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ*عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ*هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾** [المطففين:٣٤-٣٦].

---

[١]- سنن الترمذي، كتاب الزهد، بَاب مَا جَاءَ فِي ذَهَابِ الْبَصَرِ (ح٢٤٠١)، (٢٠٥/٤)، وصححه الألباني.

[٢]- رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير (ح٣٣٩٨)، (١٧٩/٣).

[٣]- سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب في إماطة الأذى عن الطريق، (ح١٩٥٨)، (٢٤١/٤).

[٤]- متفق عليه: البخاري، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة (ح١٤١٥)، (١٠٩/٢)، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار (ح٢٣٩٦)، (٨٦/٣).

د- أن الحساب فيه فردي وليس جماعي[1]، والله -ﷻ- لا يحاسب بالقوائم وإنما يحاسب كل فرد بما كسبت يداه: **﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾** [النحل:١١١]، **وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾** [المدثر:٣٨] مرتهنة، مقيدة، محاطة بما كسبته.

[1]- بعض الناس يقول: (الموت مع الجماعة رحمة)، فهذا خطأ كبير، ويكون إمعةً، ويزين له الشيطان اجتماع الناس على المعاصي، فيقول: أنا واحد مثل هؤلاء، فيعصي مثلهم وكأنه يظن أن هؤلاء الناس سيشفعون له عند الله، ولكن نسي قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة:١٦٦-١٦٧].

المطلب الرابع
حتمية البعث[1] وبيان مآل الناس فيه

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ*فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ*خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ*وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ {هود/١٠٥-١٠٨}.

أولاً: المعاني اللغوية:

١) **﴿زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾**: أول نهيق الحمار وشبهه. والشهيق من آخره. فالزفير من الصدر، والشهيق من الحلق[2].

٢) **﴿مَجْذُوذٍ﴾**: أي غير مقطوع عنهم أبدا[3]، وقيل ما عليه جذة أي متقطع من الثياب، وهي من قولهم: جذذت الشيء أجذّه جذًّا، إذا قطعته، كما قال النابغة[4]:

"تَجذُّ السَّلُوقِيَّ المُضَاعَفَ نَسْجُه وَيوقِدْنَ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الحُبَاحِبِ "[5].

ثانياً: الجوانب البلاغية:

التقديم والتأخير في قوله تعالى **﴿زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾**: إن تقديم الزفير وهو دفع النفس إلى الخارج، على الشهيق، الذي هو أخذ النفس إلى داخل الجوف، وذلك على خلاف ما تتنفس الكائنات الحية، حيث تأخذ الهواء شهيقًا، ثم تدفع به إلى الخارج زفيرا، "وخص بالذكر من أحوالهم في جهنم الزفير والشهيق تنفيراً من أسباب المصير إلى النار لما في ذكر هاتين الحالتين

١- البعث في اللغة: بَعَثَهُ يَبْعَثُه بَعْثاً أَرْسَلَهُ وَحْدَه وبَعَثَ به أَرسله مع غيره وابْتَعَثَه أَيضاً أَي: أَرسله. لسان العرب، لابن منظور (٣٠٧/١). والبعث اصطلاحاً: أصله إثارة الشيء وتوجيهه ويختلف بحسب اختلاف ما علق به فبعثت البعير أثرته وسيرته. التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي (ص١٣٦).

٢- انظر: غريب القرآن، أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني (ص٢٥١).

٣- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (٢/ ١٣٣)، تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا (٧٠/٨).

٤- النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ أَبُو لَيْلَى، لَهُ صُحْبَةٌ وَوِفَادَةٌ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ قَالَ: عَاشَ النَّابِغَةُ مِائَةَ وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَمَاتَ بِأَصْبَهَانَ.(تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام الذهبي ج٧٢٦/٢).

٥- رجال المعلقات العشر للغلاييني (ص٤٢)

من التشويه بهم وذلك أخوف لهم من الألم"[1]، و"في هذا ما يكشف عن تلك الحال السيئة التي يعانيها هؤلاء الذين شقوا، إنهم لا يتنفسون كما يتنفس الناس، فيأخذون الهواء شهيقًا، ويتنفسون أنفاس الحياة منه، ثم يلقونه زفيراً، بعد أن يأخذ الجسم حاجته منه، كلا، وإنما همهم كله هو أن يلقوا بهذا الهواء الذي تغلي به صدورهم، فهم في زفير متصل متقطع، وأما الشهيق فهو نار تلظى، لا يكاد أحدهم يأخذ جرعة منه حتى يردها زفيراً، ثم يعيدها شهيقاً، وهكذا: يتنفسون ناراً، من داخل صدورهم، ومن خارجها على السواء"[2].

ثالثا: المعنى الإجمالي:

يوم يأتي هذا اليوم، ويعرض فيه الناس على ربهم، لا تملك نفس من أمرها شيئًا، فلا تنطق بكلمة حتى يؤذن لها من الله سبحانه، وذلك لهول الموقف ، الذي تخمد فيه الأنفاس، ولا تتكلم الألسنة، وهم بين شقي وسعيد، "وذلك عائد إلى ما كتب لكل إنسان من شقاوة أو سعادة في كتاب المقادير، أولاً، ولما كسبوا من خير وشر ثانياً"[3]، شقي بما حمل على ظهره من أوزار، وما قدم بين يديه من سيئات، وسعيد بما جاء به إلى ربه من عمل صالح يزكيه إيمان بالله، ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا**﴾ أي "شقوا في الدنيا بالعمل الفاسد والاعتقاد الزائغ، ففي النار مستقرهم ومثواهم، لهم فيها زفير وشهيق من شدة الكرب، وضيق الصدر بما حل بهم فهم يتنفسون الصعداء تكاد صدورهم تخرج من شدة الحزن والبكاء خالدين فيها وباقين بها ما بقيت السموات والأرض"[4].

وقوله: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا**﴾ وهم الذين وفقهم الله "من الإيمان والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصي"[5]، ﴿**فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾ إذ إرادة الله مطلقة لا تحد إلا بمشيئته العليا، "وعطاءه لآت لمن أطاعه وهذا العطاء غير مقطوع أبداً وهذا دليل خلودهم فيها أبداً"[6].

---

[1]- التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٦٣/١٢).

[2]- التفسير القرآني للقرآن (١٢٠/٦).

[3]- أيسر التفاسير(٢/ ١٩١).

[4]- التفسير الواضح، الدكتور محمد محمود حجازي (١٤٧/٢).

[5]- أيسر التفاسير (٢/ ١٩١).

[6]- تفسير ابن أبى حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (٦/ ٢٠٨٨).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) إن البعث والنشور بعد طول المكث في القبور أول مشهد من مشاهد ذلك اليوم العظيم، فهو المسألة العظمى والعقبة الكبرى –بعد توحيد الله والإيمان به– التي تحدثت عنها الكتب المنزلة والرسل المبعوثة لجميع الأمم، من أولهم نوحٍ –عليه السلام– إلى خاتمهم محمد –ﷺ–.

٢) لقد قدم القرآن الكريم إثبات البعث وتقريره في كثير من الآيات، وأعطاه أهمية كبيرة، فهو باب الحساب والجزاء، إما إلى جنة أو إلى نار، وبراهين المعاد والبعث في القرآن مبنية على أمرين اثنين، وهما إثبات البعث وحتميته، والأمر الثاني رد الشبه والحجج الباطلة.

الأمر الأول: براهين البعث في القرآن مبنية على ثلاثة أصول[١]:

- أحدها: تقرير كمال علم الرب سبحانه، كما قال في جواب من قال: ﴿**مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ*قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾ [يس:٧٨ –٧٩].
- الثاني: تقرير كمال قدرته، كقوله تعالى : ﴿**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ**﴾ [يس:١٨].
- الثالث: كمال حكمته، كقوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ**﴾ [الدخان: ٣٨].

الأمر الثاني: رد حجج المنكرين للمعاد:

قدم القرآن العديد من الأدلة والبراهين على إمكانية البعث، ورد حجج المنكرين للمعاد، وفند شبههم التي تتلخص كما يقول ابن القيم في ثلاثة أشياء على غرار السابق:

- أحدها: اختلاط أجزائهم بأجزاء الأرض على وجه لا يتميز ولا يحصل معه تمييز شخص عن شخص.
- الثاني: أن القدرة لا تتعلق بذلك.
- الثالث: أن ذلك أمر لا فائدة فيه، أو إنما الحكمة اقتضت دوام هذا النوع الإنساني شيئاً بعد شيء هكذا أبدا كلما مات جيل خلفه جيل آخر، فأما أن يميت النوع الإنساني كله ثم يحيه بعد ذلك فلا حكمة في ذلك[٢].

---

[١]– الفوائد، لابن الجوزي (ص٧).

[٢]– انظر: الفوائد، لابن الجوزي (ص٦).

٣) مآل الناس فيه:

إن هذا اليوم العظيم ينقسم الناس إلى فسطاطين لا ثالث لهما، فسطاط أهل السعادة: وهم المصدقون لله ورسوله –ﷺ–، وفسطاط أهل الشقاوة: وهم أهل الكفر والنفاق المكذبون لله ورسوله –ﷺ– قال تعالى: ﴿**يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ**﴾ وهذا هو حال الناس فيه.

أما جزاء أهل الفسطاطين فيقول الله فيهما: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ* وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾.

فالناس بين الشقاء والسعادة، وإن الحديث عن السعادة والشقاء سيظل باقيًا ما دام في الدنيا حياة وأحياء، وإن كل إنسان على هذه البسيطة ليبحث عن السعادة جاهدًا، ويودّ الوصول إليها والحصول عليها، ولو كلّفه ذلك كل ما يملك.

"إن السعادة والشقاء في الدنيا والآخرة تتوقفان على مدى التزام المسلم والمسلمين بمنهج اللّه وتربيته ونظامه وأحكامه وأوامره ونواهيه مراعاة ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم"[١].ومع ذلك قال النبي –ﷺ–: **(إن أحداً منكم لن يدخل الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته)**[٢].

٤) من أهم أسباب السعادة:

إن السعادة ينبوع يتفجر من القلب لا غيث يهطل من السماء، والنفس الكريمة الراضية التقية الطاهرة من أدران الرذائل وأقذارها سعيدة حيثما حلت، فمن أسبابها:

أ- الإيمان بالله، والعمل الصالح: يقول الله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾ [النحل: ٩٧] أي فلنحيينه حياة سعيدة.

ب- الإخلاص والمراقبة لله تعالى، وهو أيسر الأعمال على النفس ولا تكلف الإنسان شيئاَ، فلا يلزمك تعب أو بذل جهد بل قد تقوم به في كل وقت وكل حين، ففيها انشراح الصدر، وزوال الهموم والغموم.

---

[١]- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مقال بعنوان : مرتكزات التربية الإسلامية(١٨/٢٦٠).

[٢]- صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب القصد والمداومة على العمل (ح٥٦٧٣)، (٧/١٢١).

ت- الإكثار من ذكر الله وقراءة القرآن: ﴿**أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد: ٢٨]، إن من داوم على ذكر الله يعش سعيداً مطمئن القلب، أما من أعرض عن ذكر الله، فهو من التعساء البؤساء ﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾ [الزخرف: ٣٦].

ث- المحافظة على الصلاة؛ لأنها من أعظم أسباب السعادة والطمأنينة والهدوء وراحة البال، ولأنها صلة بين العبد وربه، ولذلك فقد جعلت قرت عين النبي -ﷺ- في الصلاة، وقرة العين فوق المحبة، فإنه ليس كل محبوب تقرُّ به العين، وإنما تقرُّ العين بأعلى المحبوبات وهو الله -سبحانه وتعالى- وما يقرب إليه، والصلاة من أعظم ما يقرب إلى الله تعالى، ومن أعظم ما يريح النفس ويسعدها. وكان النبي -ﷺ- يقول لبلال: **(قم يا بلال، أقم فأرحنا بالصلاة)**[1].

ج- الإحسان إلى الناس: وهذا أمر مجرب، ومشاهد، فإننا نجد الذي يحسن إلى الناس من أسعد الناس، ومن أكثرهم قبولاً في الأرض.

ح- مصاحبة الأخيار والرفقة الصالحة: ولا يستطيع أحد أن ينكر أثر القرين على قرينه، فهو مشهود، ومجرب، وواضح من خلال الواقع، ومن خلال التاريخ. ولذلك قال الرسول -ﷺ-: **(إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة)**[2].

خ- تجنب الفتن، لحديث المقداد بن الأسود قال وأيم الله لقد سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: **(إن السعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتلي فصبر)**[3].

٥) من أهم أسباب الشقاء:

إن السعيد من وعظ بغيره، والشقي من صار موعظةً لغيره، ولله دره من قال هذا المثل ما أصدقه، فإن الإنسان إذا ما شقي في هذه الحياة الدنيا وأعرض عن ذكر الله، فستكون الندامة على كل لحظات الحياة، فعليه أن يتعرف على أسباب الشقاء ليتجنبه والتي منها:

---

[1]- رواه أبو داوود، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة (ح٤٩٨٨)، (٤/ ٤٥٣)، والإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ح٢٣٠٨٨)، (٣٨/ ١٧)، وصححه الألباني.

[2]- صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك (ح٢١٠١) ، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء (ح٦٨٦٠).

[3]- سنن أبي داود، كتاب الفتن، باب في النهى عن السعي في الفتنة (ح٤٢٦٥). وقال الألباني: صحيح.

أ- تعلق القلب بغير الله -ﷻ- يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "من تعلق قلبه بشيءٍ غير الله تبارك وتعالى عذب به، فكل من أحب شيئاً غير الله عذب به ثلاث مرات في هذه الدار فهو يعذب به قبل حصوله حتى يحصل فإذا حصل عذب به حال حصوله بالخوف من سلبه وفواته التنغيص والتنكيد عليه، وأنواع المعارضات فإذا سلبه اشتد عذابه عليه فهذه ثلاثة أنواع من العذاب في هذه الدار وأما في البرزخ فعذاب يقارنه ألم الفراق الذي لا يرجي عوده وألم فوات ما فاته من النعيم العظيم باشتغاله بضده وألم الحجاب عن الله وألم الحسرة التي تقطع الأكباد فالهم والغم والحسرة والحزن تعمل في نفوسهم نظير ما تعمل الهوام والديدان في أبدانهم"[1].

ب- تضييع الأوامر، والتهاون فيها، في مقدمتها التهاون بشأن الصلاة.

ت- قسوة القلب، وجمود العاطفة، لما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: **(لا تنزع الرحمة إلا من شقي)**[2].

ث- الذنوب والمعاصي والإساءة للخلق، أنها لمن أعظم أسباب الشقاء في الدنيا والآخرة. فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: **(كلّ أمّتي يدخلون الجنة إلاّ من أبى، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)**[3].

ج- إهمال الذكر والدعاء والاستغفار، فإن البعد عنها هو أحد أسباب العمى والشقاء الذي نعاني منه الآن في كثير من الشباب المسلم، فالله تعالى يقول: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ [طه: ١٢٤].

ح- المرأة السوء، والجار السوء وغيرهما، لحديث سعد بن أبي وقاص، قال: قال رسول الله -ﷺ-: **(أربع من الشقاوة: الجار السوء، والمرأة السوء، والمسكن الضيق، والمركب السوء)**[4].

---

[1]- الجواب الكافي (ص٥١).

[2]- سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الرحمة (ح٤٩٤٤)، سنن الترمذي، بَاب مَا جَاءَ فِي رَحْمَةِ النَّاسِ (١٩٢٣ح)،وصححه الألباني.

[3]- صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله -ﷺ- (ح٧٢٨٠)، (٩/ ٩٢).

[4]- صحيح ابن حبان، كتاب النكاح، باب ذكر الإخبار عن الأشياء التي هي من سعادة المرء في الدنيا (ح٤٠٣٢)، (٩/٣٤١) وصححه الألباني.

خ- ظلم الناس بعضهم بعضا؛ والمجتمع المؤمن يسوده العدل والإحسان، والإسلام -الدين الذي يلزم المؤمن بتطبيق شرائعه -يضمن للناس العدالة التامة، ويتمتع كل فرد تحت ظله بالكرامة والأمن لا فرق في ذلك بين عربي أو أعجمي، أبيض أو ملون، صغير أو كبير، فقير أو غني، ويضمن لهم حقوقهم جميعاً، قال تعالى: **﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ* وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾** [الزلزلة ٧-٨].

أخيرا لا بد من البحث عن السعادة وأسبابها والعمل بها والحرص على تطبيقها، وكذلك البحث عن الشقاء وأسبابه للحذر منه واجتناب الوقوع فيه، الذي قد سبب ضياع نور القلب كما يقول طبيب القلوب ابن القيم: "إن في ترك البحث عن أسباب السعادة واشتغال بأسباب الشقاوة فان ذلك إنما يكشفه له النور الذي في القلب"[١].

[١] الجواب الكافي، لابن القيم (ص١٢٦).

الفصل الثاني

التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف الربع الأول من الحزب الرابع والعشرين من سورة هود من الآية (١٠٩) إلى نهاية سورة هود

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات (١٠٩-١١٣).

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات (١١٤-١١٧).

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات (١١٨-١٢٣).

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات (١٠٩-١١٣)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ذم التقليد.

المطلب الثاني: الجزاء الأخروي لا مفر منه.

المطلب الثالث: وجوب الاستقامة علمًا وعملًا.

المطلب الرابع: حرمة تولي الظالمين، والرضا بالكفر.

المطلب الأول

ذم التقليد[1]

قال تعالى: ﴿ **فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِّنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ*وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ**﴾ {هود: ١٠٩-١١٠}.

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿مِرْيَةٍ﴾ : المرية التردد في الأمر وهو أخص من الشك، والامتراء والمماراة المحاجة فيما فيه مرية[2]، والامْتِراءُ في الشيء الشَّك فيه[3]. والمرية بكسر الميم الشك المتفرع عن محاجة ومجادلة بين المتخاصمين[4].

ثانياً: الجوانب البلاغية:

قوله تعالى ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾: المعنى: فلا تكن، إلا أنه حذف النون لكثرة الاستعمال، ولأن حرف النون إذا وقع على طرف الكلام، لم يبق عند التلفظ به إلا مجرد الغنة، فلا جرم أسقطوه[5].

ثالثاً: المعنى الاجمالي:

اعلم أنه تعالى لما شرح أقاصيص عبدة الأوثان، وأتبعه بأحوال الأشقياء، وأحوال السعداء شرح للرسول -عليه الصلاة والسلام- أحوال الكفار من قومه[6]، فكان لفظ الخطاب للنبي-ﷺ-، والمعنى له ولأمته، ولم يقع لأحد شك فيقع عنه نهي ولكن من فصاحة القول في بيان ضلالة

١- التقليد لغة: القاف واللام والدال أصلانِ صحيحانِ، يدلُّ أحدهما على تعليق شيءٍ على شيء وليِّه به، والآخَر على حظٍ ونصيب. مقاييس اللغة، لابن فارس (١٥/٩). أما التقليد اصطلاحًا: فللتقليد عدة تعريفات، وأكثر هذه التعريفات حول تعريف الامام المروزي: "هو اتباع قول الغير من غير معرفة دليله. قواطع الأدلة في الأصول لأبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزى (٢/ ٣٤٠)، أضواء البيان للشنقيطي (٧/ ٣٠٤).

٢- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد(٤٦٧)، التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي(٦٥١ص).

٣- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ص٦٤٢).

٤- تفسير الوسيط لسيد طنطاوي(٢٢٦١/١).

٥- مفاتيح الغيب، للإمام الرازي (٥٥/٨)، تفسير الوسيط لسيد طنطاوي (٢٢٦١/١).

٦- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (٥٧٤/١٠).

الكفرة إخراجه في هذه العبارة ثم قال: ﴿ **مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُهُم مِّن قَبْلُ**﴾ . المعنى: أنهم مقلدون لا برهان عندهم ولا حجة، وإنما عبادتهم تشبها منهم بآبائهم لا عن بصيرة؛ وقوله: ﴿ **وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ**﴾ وعيد، ومعناه: العقوبة التي تقتضيها أعمالهم، ويظهر من قوله: ﴿**غير منقوص**﴾ أن على الأولين كفلاً من كفر الآخرين"[1].

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) لقد ذم الله تبارك وتعالى التقليد في غير موضع من كتابه فقال: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ [التوبة: ٣١]، ومثل هذا في القرآن من ذم تقليد الآباء والرؤساء كثير وكثير جداً، "وقد احتج العلماء بهذه الآيات في إبطال التقليد"[2]، ولكن العلماء قسموا التقليد إلى أقسام، وعرفوه عدة تعريفات.

٢) لقد دلت هذه الآيات على أن الله أنكر على المشركين اتباعهم للآباء، وعدولهم عن اتباع المنزَّل من عند الله إذا أمروا به، وأن تقليدهم للآباء، إعراضًا عن المنزل، دعوة من الشيطان لهم إلى عذاب النار، وأنكر على المترفين في كل أمة اتباعها لملل آبائهم، مع إعراضهم عن الهدى الذي جاءوا به، ووبخهم على لسان إبراهيم –عليه السلام– على عكوفهم على التماثيل وعبادتهم للأصنام؛ جريًا وراء آبائهم، وسيرًا خلفهم فيما وجدوهم عليه.

٣) ذهب كثير من العلماء على تبني حرمة التقليد خاصة في العقائد، فقال ابن تيمية: "لا يجوز التقليد في معرفة الله ووحدانيته، والرسالة، ولا في السمعيات المتواترة الظاهرة كالصلوات ووجوب الزكاة وصيام شهر رمضان وحج البيت لاستواء الناس في طرق علم ذلك، وهذا مطابق لما ذكره ابن عقيل"[3]. وقال محمد رشيد رضا: "وَهُوَ لَا يَجُوزُ التَّقْلِيدُ فِيهِ ألبته بَلْ لَا مَحَلَّ لَهُ"[4]، وقال الإمام الألوسي: "فالذي ذهب إليه الأكثرون، ورجحه الإمام الرازي، والآمدي أنه لا يجوز التقليد في الأصول بل يجب النظر"[5].

---

[1]– انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٤١٩/٣).

[2]– جامع بيان العلم لابن عبد البر (٢٢٠/٢).

[3]– مجموع فتاوى شيخ الإسلام، لابن تيمية (٢٥٤/٢).

[4]– تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (٧٤/٢).

[5]– روح المعاني، للألوسي (٩٤/٢١).

٤) إن التقليد في الفروع –الفقه والمذاهب الفقهية– أمر فيه سعة، ولقد توسع العلماء في ذلك كثيرًا، وخلاصة الأمر، أن جماهير العلماء على جواز التقليد في الفقه، –وهو رأي جمهور الأصوليين[١]– خاصة للعوام الذين لا يحسنون الاستدلال[٢]، ولا تعلم الفقه وأصوله، قال شيخ الإسلام: "فأما الفروع التي ليست متواترة ظاهرة فيسوغ التقليد فيها"[٣]. وقال الشيخ صالح آل الشيخ: "أَمَّا التقليد في الاستدلال فلا بأس به؛ يعني أن يَعْلَمَ وجه الدليل من الحُجَّةْ ويُقَلِّدُ العالم في الاقتناع بهذا الدليل يعني بوجه الاستدلال، فهذا لا بأس به لأنَّ المجتهد في فهم الدليل هذا قليل في الأمة"[٤].

---

[١]– روضة الناظر (٢/ ٤٥١، ٤٥٢)، وإعلام الموقعين (٤ / ١٨٧ . ٢٠١)، وإرشاد الفحول (ص٢٦٦).

[٢]– للمزيد انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (١٢/١٥٩–١٦٢).

[٣]– مجموع فتاوى شيخ الإسلام، لابن تيمية (٢/٢٥٤).

[٤]– شرح العقيدة الطحاوية للشيخ صالح آل الشيخ (ص٤٨٨).

المطلب الثاني
الجزاء الأخروي لا مفر منه

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ {هود/١١١}.

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿لَيُوَفِّيَنَّهُم﴾: فيها ثلاثة أوجه من المعاني: "أحدها: نصيبهم من الرزق، قاله أبو العالية، نصيبهم من العذاب، قاله ابن زيد، ثالثها: ما وعدوا به من خير أو شر ، قاله ابن عباس[١].

وما يراه الباحث أن قول ابن عباس –رضي الله عنه– هو الأفضل، لأنه يشمل كلاً من الثواب للمؤمنين، والعقاب للكافرين.

ثانياً : القراءات القرآنية:

١-قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة، وحفص عن عاصم[٢] ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ مشددتين.

٢-قرأ أبو عمرو والكسائي وخلف ويعقوب ﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾ مشددة و ﴿ لَمَّا﴾ خفيفة .

٣- قرأ ابن كثير ونافع ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا﴾ خفيفتين.

٤-قرأ عاصم في رواية أبي بكر ﴿ وَإِنَّ كُلًّا﴾ خفيفة ﴿ لَمَّا﴾ مشددة الميم"[٣].

وبالجمع بين القراءات السابقة والله ليوفينهم الله –عز وجل– أعمالهم، فإن ذلك محقق لهم لا محالة، كما أن جميعهم بلا استثناء سيلقون جزاء أعمالهم لا يفلت منهم أحد.

واختلاف الأسلوب في التعبير عن المعنى مرة باستخدام (إن) المخففة– مع إعمالها– ومرة باستخدام (إنّ) المثقلة وكلتاهما مع (لمّا) مخففة أو مثقلة، ناسب موعدة الله تعالى بأنه سيحاسب هؤلاء المذكورين على جميع أعمالهم، جليلها – ناسبه تشديد النون – وحقيرها– ناسبه تخفيف النون –[٤] والله تعالى أعلى وأعلم.

---

[١]– الدر المنثور، للسيوطي (١٤٦/٨).

[٢]– عاصم بن أبي النجود، أبو بكر الأسدي، الكوفي، توفي بالكوفة سنة سبع، وقيل ثمان وعشرين ومائة (انظر: طبقات القراء ٣٤٦/١-٣٤٩).

[٣]– المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ، أبو بكر (٢٤٢/١).

[٤]– بتصرف يسير: تفسير القرآن الكريم بالقراءات القرآنية العشر، رسالة ماجستير للباحثة: هيفاء رضوان، اشراف الدكتور الفاضل: رياض قاسم، (ص٧٩).

ثالثاً : الجوانب البلاغية:

١) جاء بالتنوين في كلمة « كلاً » يغني عن جملة، فساعة تسمع أو تقرأ التنوين، فاعلم أنه عِوَضٌ عن جملة، مثل قول الحق سبحانه ﴿**فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الحلقوم*وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ**﴾ {الواقعة:٨٣-٨٤}. و« كلاً » في الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها "توجز أن كلاً من الطائع المؤمن، والعاصي الكافر، سوف يلقى جزاءه ثواباً أو عقاباً"[١].

٢) **ذكر في الآية سبعة أنواع من التأكيدات[٢]:**

أ- كلمة " إن " وهى للتأكيد.

ب- كلمة " كل " وهى أيضا للتأكيد.

ت- اللام الداخلة على خبر " إن " وهى تفيد التأكيد.

ث- حرف " ما " إذا جعلناه على قول الفراء موصولًا.

ج- القسم المضمر فإن تقدير الكلام : وإن جميعهم والله ليوفينهم.

ح- اللام الثانية الداخلة على جواب القسم.

خ- النون المؤكدة في قوله " ليوفينه ".

"فجميع هذه الألفاظ السبعة الدالة على التوكيد في هذه الكلمة الواحدة تدل على أن أمر الربوبية والعبودية لا يتم إلا بالبعث والقيامة وأمر الحشر والنشر ثم أردفه بقوله : ﴿**إنه بما يعملون خبير**﴾ وهو من أعظم المؤكدات"[٣].

٣) **قوله تعالى ﴿ إنه بما يعملون خبير﴾:**

والله سبحانه بما يفعل العباد خبير، هو سبحانه يعلم أفعال العبد قبل أن تقع، ولكنها حين تقع لا يمكن أن تُنسَى أو تذهب أدراج الرياح؛ لأن من يعلمها هو «الخبير» صاحب العلم الدقيق، والخبير يختلف عن العالِم الذي قد يعلم الإجماليات، لكن الخبير هو المدرَّب على التخصص.

ولذلك غالباً ما تأتي كلمتا « اللطيف والخبير » معاً؛ لأن الخبير هو من يعلم مواقع الأشياء، واللطيف هو من يعرف الوصول إلى مواقع تلك الأشياء، ومثال هذا: أنك قد تعرف مكان اختباء رجل في جبل مثلاً، هذه المعرفة وهذه الخبرة لا تكفيان للوصول والنفاذ إلى مكانه،

---

[١]- تفسير الشعراوي (٤٣١/١).

[٢]- تفسير السراج المنير، محمد بن أحمد الشربيني (٦٦/٢).

[٣]- تفسير الفخر الرازي (٢٤٨٢/١).

بل إن هذا يحتاج إلى ما هو أكثر، وهو الدقة واللطف[1].

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

يبيِّن الحق سبحانه لا تعتقدوا أن تأجيل العذاب ليوم القيامة يعني الإفلات من العذاب، بل كل واحد سيوفَّى جزاء عمله؛ بالثواب لمن أطاع، وبالعقاب لمن عصا، "فأمر الله سبحانه آت لا محالة وتوفية الجزاء إنما تكون على قدر الأعمال، كفراً أو إيماناً، صلاحاً أو فساداً، وميعاد ذلك هو يوم القيامة[2].

رابعاً: تحقيق المقاصد والاهداف:

١) إن من عجلت عقوبته ومن أخرت ومن صدق الرسل ومن كذب فحالهم سواء في أنه تعالى يوفيهم جزاء أعمالهم في الآخرة، فجمعت الآية الوعد والوعيد فإن توفية جزاء الطاعات وعد عظيم وتوفية جزاء المعاصي وعيد عظيم.

٢) وقوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ توكيد الوعد والوعيد، فإنه لما كان عالماً بجميع المعلومات كان عالماً بمقادير الطاعات والمعاصي فكان عالماً بالقدر اللائق بكل عمل من الجزاء، فحينئذ لا يضيع شيء من الحقوق والأجزية وذلك نهاية البيان[3].

٣) وقد أوضح الله تعالى في كتابه الكريم أن الحياة التي تنتظر الإنسان بعد الحساب هي الحياة الحقيقية؛ فإما الجنة أو النار، فبعد الموت يُسأل كل إنسان عن عمله أمام الله، فالذين قضوا حياتهم في طاعة الله –ﷻ– سيخلدون الجنة، وهي خير مستقر يسعى إليه الإنسان، أما الذين لم يفعلوا ذلك فسيخلدون في جهنم حيث يذوقون أشد أنواع العذاب والكرب الضمير الحقيقي هو الذي يستيقظ عند رؤية ملك الموت وعذاب جهنم إنّها حقيقة معروفة في القرآن.

---

[1]– تفسير الشعراوي (٤٣١١/١).

[2]– المرجع السابق (٤٣٠٩/١).

[3]– تفسير الفخر الرازي (١٨ /٤٠٦).

المطلب الثالث
وجوب الاستقامة علماً وعملاً

قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ {هود:١١٢}.

أولاً: المعاني اللغوية:

١) **﴿فَاسْتَقِمْ﴾: الاستقامة لغة:** "ضد الاعوجاج والانحراف فالشَّيء المستقيم هو المعتدل الذي لا اعوجاج فيه، وهذا يأتي في الحسيات، تقول: هذا طريق مستقيم و هذا طريق مُعْوَجٌّ"[١].

والاستقامة في الشرع التي أمر الله بها نبيه والمؤمنين، كما في الآية المتقدمة وتعني: الالتزام بمنهج الله ورسوله، وتجنب الانحراف والميل عن الحق، وهي وصيَّة النبي -ﷺ- للذي قال له: **(قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ؟ قَالَ: قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ ثم اسْتَقِمْ)**[٢].

٢) **﴿تَطْغَوْا﴾:** "طغوت وطغيت طغوانا وطغيانا وأطغاه كذا حمله على الطغيان، وذلك تجاوز الحد في العصيان"[٣].

ثانياً: المعنى الإجمالي:

لما بين أمر المختلفين في التوحيد والنبوة، وأطنب سبحانه في شرح الوعد والوعيد أمر رسوله -ﷺ- بالاستقامة، والاستقامة وهي لزوم المنهج المستقيم وهو المتوسط بين الافراط والتفريط وهي كلمة جامعة لكل ما يتعلق بالعلم والعمل وسائر الأخلاق[٤]، وأن يداوموا على ذلك، ولا يطغوا بأن يتجاوزوا ما حده الله لهم من الاستقامة[٥].

ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) إن المؤمن مطالب بالاستقامة الدائمة، ولذلك يسألها ربه في كل ركعة من صلاته: **﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾** [الفاتحة: ٢]، ولما كان من طبيعة الإنسان أنه قد يقصر في فعل المأمور،

---

[١]- التعريفات، للجرجاني (ص٣٧).

[٢]- صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب جامع أوصاف الإسلام (ح٣٨)، (٦٥/١).

[٣]- غريب القرآن، للأصفهاني (ص٣٠٤).

[٤]- تفسير الألوسي (٣٨٨/٣).

[٥]- انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي (ص٣٩٠).

أو اجتناب المحظور، وهذا خروج عن الاستقامة، أرشده الشرع إلى ما يعيده لطريق الاستقامة، وأمر ربنا بالاستقامة لأنها تسير بعكس طريق الطغيان، فقال تعالى: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾.

٢) الاستقامة في حقيقتها تحقيق للعبودية التي هي الغاية من خلق الإنس والجن ، وبها يحصل للمرء الفوز والفلاح

٣) أن الله تعالى قد أمر رسوله -ﷺ- بتحقيقها، وكذلك كل من كان معه، فقال: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ**﴾ [هود: ١١٢]، **وقال:** ﴿**فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾ [الشورى: ١٥]، وغير ذلك بها بل قد أمر الله تعالى بها أيضاً أنبياءه فقال في حق موسى وأخيه -عليهما السلام-: ﴿**قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا**﴾ [يونس: ٨٩].

٤) ومما يدل على أهميتها أن رسول الله -ﷺ- لما جاءه سفيان بن عبد الله الثقفي -رضي الله عنه- يقول له: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، فقال له النبي -ﷺ-: (**قل آمنت بالله ، فاستقم**)[١].

٥) إنَّ الاستقامة في إصلاح النفس وتزكيتها صفات تفتح باب الأمل للذين تورَّطوا في الإثم؛ لتغيير حياتهم إلى حياة أفضل، وتنفي عنهم اليأس من إصلاح أنفسهم، وصفة اليأس هذه إذا تَمَكَّنت من نُفُوسهم؛ جعلتهم عنصر شرٍّ لا يُمكن إصلاحه[٢].

٦) استقامة المسلم في هذه الحياة له جزاء من الله -عزوجل-، وهذا الجزاء أثر ناتج عن اتباع الاستقامة[٣]، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [فصلت:٣٠]، قال الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- في تفسيره: "أي: اعترفوا ونطقوا، ورضوا بربوبية الله تعالى، واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم علمًا، وعملًا ، فلهم البشرى في الحياة الدنيا، وفي الآخرة"[٤].

---

[١]- سبق تخريجه ص١٣٢.

[٢]- انظر: روح الدين الإسلامي، عفيف عبد الفتاح طبارة (ص٢٠٦).

[٣]- مجلة البحوث الإسلامية، بحث الاستقامة في التربية الإسلامية وأثرها في تحصين الشباب (العدد٢٩٩/٧٢).

[٤]- تيسير الكريم الرحمن (٨٤/٧).

٧) الاستقامة تمكن الانسان من الرزق الواسع، قال الله تعالى: ﴿ **وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا**﴾ [الجن: ١٦]، قال البيضاوي: "إن الشأن لو استقام الجن والإنس، أو كلاهما لوسعنا عليهم في الرزق، وتخصيص الماء الغدق، وهو الكثير بالذكر؛ لأنه أصل المعاش والسعة، وكثرة وجوده بين العرب"[١].

٨) الاستقامة تؤدي إلى الأمن يوم القيامة من الخوف والحزن، و دخول الجنة: قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ*أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأحقاف:١٣-١٤]. قال ابن جرير: "إن الذين قالوا ربنا الله – الذي لا إله غيره –ثم استقاموا– على تصديقهم بذلك فلم يخلطوه بشرك، ولم يخالفوا الله في أمره ونهيه –فلا خوف عليهم– من فزع يوم القيامة وأهواله –لا هم يحزنون– على ما خلفوا وراءهم بعد مماتهم"[٢]. وقال ابن عطية : "إن الله –ﷻ– أخبر عن حسن حال المسلمين، ورفع عنهم الخوف والحزن؛ لأنهم استقاموا بالطاعات، والأعمال الصالحة"[٣].

٩) الاستقامة توجه الفرد نحو تبني معايير وقيم ثابتة ومبادئ واضحة، وعدم التخلي عنها أمام أي مغريات.

١٠) الاستقامة تعزز مفهوم الولاء لدين الله –ﷻ– و البراء مما سواه.

١١) الاستقامة تعزز التربية الذاتية لدى المسلم، لأن الاستقامة لا تتحقق عند الفرد إلا بدافع داخلي نابع من خشيته لربه[٤].

---

[١]– تفسير البيضاوي (٢/٥٣٥).

[٢]– تفسير الطبري (٧/ ١٤).

[٣]– المحرر الوجيز (٥ \ ٩٦).

[٤]– انظر: الأبعاد التربوية لمفهوم الاستقامة، رسالة ماجستير، إعداد الباحثة: سهير كولك، اشراف الدكتور: محمود أبو دف (ص١٤١).

المطلب الرابع
حرمة تولي الظالمين، والرضا بالكفر

قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ** ﴾ {هود:١١٣}.

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿**وَلَا تَرْكَنُوا**﴾ : "قرأه القرّاء بفتح الكاف من ركِن يركَنُ رُكوناً إذا مال إلى الشيء واطمأنَّ إليه"[١]، "أي لا تطمئنوا إليهم ولا تسكنوا إلى قولهم"[٢]، "والركون هو السكون إلى الشيء والميل إليه بالمحبة ونقيضه النفور عنه"[٣].

ثانياً: المعنى الاجمالي:

نبّه الله تعالى إلى خطر الميل مع الظالمين، فقال: ﴿**وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ "أي: ولا تميلوا مع الظالمين بمودة أو مداهنة أو رضا بأعمالهم، أو استعانة بهم، أو اعتماد عليهم، فتصيبكم النار بركونكم إليهم، فذلك ظلم، وليس لكم من غير الله أنصار أبدا ينفعونكم، ويمنعون العذاب عنكم، ثم لا ينصركم الله في حال الظلم، لأن الله سبحانه لا يحب الظلم لأحد، ولا ينصر الظالمين"[٤]، كما قال تعالى: ﴿**وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ**﴾ {البقرة: ٢٧٠}، وقال أيضًا ﴿**وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ** ﴾ {الحج: ٧١}.

ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) إن من السذاجة، أن يظن شخص أنه يمكن الجمع بين رضا الله، ورضا الكفار معاً.

٢) إن هناك فئة من الناس تحاول كسر حاجز التضاد بين الإيمان والكفر، فتدعو تارة إلى الجمع بين الحق والباطل باسم التسامح، وحسن المعاملة وتارة تحرف بعض النصوص كي توافق هوى في نفسها، ولكي تمزج المسلمين مع غيرهم حتى يذوبوا في مستنقع الكفر العميق.

---

[١]- المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (ص٣٠٢) ، تهذيب اللغة للأزهري (ص٣٦٢).

[٢]- التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري (ص٢٣٩).

[٣]- مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٥٧/١٨).

[٤]- التفسير الوسيط للزحيلي (١٠٧٩/٢).

٣) حذر الله المؤمنين من الموالاة والمناصرة للأعداء، وأن التعاون مع أعداء الإسلام بما فيه ضرر على الإسلام والمسلمين خيانة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم[١].

٤) أن الناس انقسموا في هذا الزمان في تعاملهم مع الكفار إلى "**ثلاثة أقسام:**

- القسم الأول: قسم ناصر لدين الله مجاهد في سبيل الله موال لأوليائه، معاد لأعدائه، وهم القليلون عددا الأعظمون أجراً عند الله.
- القسم الثاني: قسم خاذل لأهل الإسلام، تارك لمعونتهم معتزل عن الكفار.
- القسم الثالث: "قسم خارج عن الإسلام بمظاهرة الكفار وموالاتهم ومناصرتهم بالقول والفعل والاعتقاد، ومعاداة أهل الحق ومحاربتهم"[٢].

ومن هذا نستنتج أن الركون إلى الكفار وموالاتهم من أعظم الذنوب الموجبة لدخول النار" فإن اقترن بذلك حب زوال التوحيد وأهله، واستيلاء أهل الشرك عليهم، فإن هذا من أعظم الكفر وأشد أنواعه"[٣].

٥) إن المسلم مأمور بإظهار العداوة لأعداء الله ورسوله والمؤمنين وهذا الأمر لا يتحقق إلا بخمسة أسباب رئيسة:

- السبب الأول: "هو ترك اتباع أهواء الكفار أو تحقيق رغباتهم في معصية الله قال تعالى: ﴿**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾ [البقرة: ١٢٠].
- السبب الثاني: هو معصية الكفار فيما أمروا به فإن الله تعالى نهى عن طاعة الكافرين، وأخبر أن المسلمين إن أطاعوهم ارتدوا عن الإيمان.
- السبب الثالث: عدم الركون[٤] إلى الكفار أو الظالمين، أو اتخاذهم أمناء أو مستشارين فإن ترك ذلك دليل على معاداتهم كما أمر الله –ﷻ–، فإن الله قد وعد بمسيس النار في الآخرة وعدم النصرة في الدنيا لمن ركن إلى الكفار أو تولاهم قال تعالى: ﴿**وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ**﴾ [هود: ١١٣].

---

[١]– الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية (١/٤٠-٤١).

[٢]– الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية (١/٧٣).

[٣]– الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية (١/٩٣).

[٤]– قال الشيخ الشعراوي في تفسيره "وأدنى مراتب الركون إلى الظالم ألا تمنعه من ظلم غيره ، وأعلى مراتب الركون إلى الظالم أن تزين له هذا الظلم؛ وأن تزين للناس هذا الظلم" (١/٤٣١٥).

- السبب الرابع: من أسباب تحقيق المعاداة في الله ترك مواداة الكفار والبشاشة في وجودهم، والمبالغة في استقبالهم وفي إكرامهم لغير نية الدعوة إلى الله، فالكافر عدو الله ورسوله والمؤمنين والمحارب منهم أشد عداوة من غيره قال تعالى: ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ**﴾ [المجادلة: ٢٢].
- السبب الخامس: من أسباب تحقيق المعاداة في الله مراغمة الكفار في ترك التشبه بهم في أقوالهم وأفعالهم، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ١٠٤].

"ولكن للأسف الشديد إن واقع المسلمين اليوم بعيد كل البعد عما يجب أن يكون عليه، فكل هذه الأسباب الخمسة معدومة تماما على مستوى الحكومات القائمة في البلاد الإسلامية، فمعظم الدول الإسلامية تتبع هوى الكفار، وتطيعهم في معصية الله، وتتخذهم بطانة من دون المؤمنين وتظهر لهم المودة والإكرام قولا وفعلا، وتبالغ في إكرامهم بغير نية دعوة إلى الإسلام"[١].

٦) إن ركني الولاء والبراء هما: الحب والنصرة في الولاء، والبغض والعداوة في البراء، فنحن نعني بالنصرة وبالعداوة هنا النصرة القلبيّةَ والعداوةَ القلبيّة، أي تمنِّي انتصار الإسلام وأهله وتمنِّي اندحار الكفر وأهله. أمّا النصرة العملية والعداوة العمليّة فهما ثمرةٌ لذلك المعتقد، لابد من ظهورها على الجوارح، فمن "**مضار التولي:**

أ- يسخط الرّبّ -ﷻ- ويرضي الشّيطان.

ب- وهذا دليل على ضعف الإيمان .

ت- ارتكب جريمة عظمى في حقّ المجتمع، وأصبح منبوذا.

ث- وهو في نفسه منتقص يرى نفسه ذليلا دون غيره في الرّجولة"[٢].

---

[١]- انظر الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية (١/ ٢٩٩).

[٢]- نضرة النعيم (٩/ ٤٣١٩).

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات (١١٤-١١٧)

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: الحسنات يذهبن السيئات.

المطلب الثاني: وجوب الصبر والإحسان.

المطلب الثالث: سنة الله في هلاك الأمم.

المطلب الأول
الحسنات يذهبن السيئات

قال تعالى: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**﴾ {هود: ١١٤}.

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿**وَزُلَفًا**﴾: قال ابن فارس: "الزاء واللام والفاء يدلُّ على اندفاعٍ وتقدمٍ في قرب إلى شيء، يقال من ذلك ازدَلَف الرجلُ: تقدَّم. وسمِّيَت مُزْدَلِفَة بمكة، لاقترابِ الناس إلى مِنَىً بعد الإفاضة من عَرَفات، ويقال لفُلانٍ عند فلانٍ زُلفَى، أي قرْبى. قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿**وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى**﴾ [ص:٢٥]، وقيل هي الطائفة من أول الليل، قليلة كانت أو كثيرة"[١]، وهي تعني "ساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من آخر النهار، من أزلفه إذا قربه وأدنيته"[٢].

ثانياً: الجوانب البلاغية:

قوله تعالى ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾: جملة مسوقة مساق التعليل للأمر بإقامة الصلوات، وتأكيد الجملة بحرف {إن} للاهتمام وتحقيق الخبر.

و{إن} فيه مفيدة معنى التعليل والتفريع، وهذا التعليل مؤذن بأن الله جعل الحسنات يذهبن السيئات، والتعليل مشعر بعموم أصحاب الحسنات لأن الشأن أن تكون العلة أعم من المعلول مع ما يقتضيه تعريف الجمع باللام من العموم، "وإذهاب السيئات يشمل إذهاب وقوعها بأن يصير انسياق النفس إلى ترك السيئات سهلا وهينا كقوله تعالى: ﴿**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾ [العنكبوت: ٤٥] ويكون هذا من خصائص الحسنات كلها"[٣].

ثالثًا: سبب النزول:

أخرج الامام البخاري عن ابن مسعود ﷺ (**أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي -ﷺ- فأخبره فأنزل الله -ﷻ- ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾، فقال الرجل: يا رسول الله أَلِيَ هذا؟ قال: لجميع أمتي كلهم**)[٤].

---

[١]- تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي (٤٠١/٢٣).

[٢]- الكشاف، للزمخشري (٢١٤/٢).

[٣]- انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٨٠/١٢).

[٤]- صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب الصلاة كفارة (ح٤٦٨٧)، (١٩٦/١)، أسباب النزول للواحدي (ص١٩٤).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

لابد من أداء الصلاة كاملة مقومة تامة الأركان مستوفية الشروط والهيئات، غدوة وعشية **﴿وَزُلَفًا مِّنَ الَّيْلِ﴾** [هود : ١١٤]، "وساعات من الليل جمع زلفة وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من أزلفه إذا قربه وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لأن ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء"[١]، "إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة"[٢]، عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ: أنه توضأ لهم كوضُوء رسول الله -ﷺ-، ثم قال: هكذا رأيتُ رسول الله يتوضأ، وقال: **(مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ فِيهِمَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)**[٣].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) اختلف العلماء في معنى السيئات والحسنات، "فقال بعضهم: الحسنة هي ما جعل الله سبحانه على عملها ثواباً، والسيئة هي ما جعل الله على عملها عقاباً وأول الحسنات في الإيمان أن تشهد أن لا إله إلا الله، وهذه حسنة أذهبت الكفر؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات"[٤].

٢) إن الدواء من الذنوب والخطايا، والحل من السيئات والذنوب يكمن في عدة أمور، من أدرك واحدا منها، أنجاه الله، ورحمه وغفر له، ومن لم يدركه واحد منها، فقد خسر الدنيا والآخرة، وتفلت على حدود الله، ولقد عدَّ شيخ الإسلام ابن تيمية عشرا منها، وسماها الكفارات العشر، أو المكفرات العشر للذنوب والخطايا، فيجب على المسلم أن يعتني بها، وأن يبادر بها، وأن يحققها، وأن يحاول أن يتشبث بواحدة منها حتى ينقذه الله، ومنها:

أ- المسارعة إلى التوبة من الذنوب، وعدم استصغارها أو استعظامها، فالاستصغار يوجب التفريط، والاستعظام يوجب القنوط. قال الله -جل وعلا-: **﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون﴾** [النور: ٣١]، وقد وصف الله تعالى المؤمنين بقوله: **﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾** [آل عمران: ١٣٥].

١- بتصرف يسير: تفسير النسفي (١٧٥/٢)، كتاب التفسير الواضح (٥٦/١٢).

٢- انظر: تفسير ابن كثير (١٨٠/٢).

٣- صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب الوضوء ثلاثا ثلاثا (ح١٥٩)، (٤٣/١)، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب صفة الوضوء وكماله (ح٥٦٠)، (١٤١/١).

٤- تفسير الشعراوي (١/ ٤٣١٧).

ب- الحرص على إقامة الفرائض في أوقاتها تحت أي ظرف، وعدم التهاون فيها. كالصلوات الخمس في المسجد جماعة خاصة الفجر، والحرص على الخشوع فيها، قال تعالى: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ**﴾ [هود:١١٤]، عن أبي هريرة -ﷺ- أنه سمع رسول الله -ﷺ- يقول: **(أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقي من درنه قالوا لا يبقي من درنه شيئا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا)**[١]. وكذلك الصيام الواجب، وبر الوالدين، وصلة الأرحام والحج **(فمن حج ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه)**[٢]؛ لأن الحاج قد قام بأعمال عظيمة وغير ذلك من الواجبات.

ت- الاستغفار؛ فإن الله تعالى قد يغفر للعبد إجابة لدعائه[٣].

ث- الأعمال الصالحة المكفرة؛ وهي على قسمين:

- كفارات مقدرة: مثل كفارة اليمين والظهار والقتل الخطأ والمجامع في نهار رمضان والمرتكب لبعض محظورات الحج، أو التارك لبعض واجباته، وغيرها.
- وكفارات مطلقة؛ كما قال حذيفة لعمر سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: **(فتنة الرجل في أهله وماله وولده يكفرها الصلاة والصيام والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)**[٤].

قال النووي -رحمه الله-: "معناه أن الذنوب كلها تغفر إلا الكبائر فإنها لا تغفر،... فإن كانت لا يغفر شيء من الصغائر، فإن هذا وإن كان محتملا فسياق الحديث يأباه"[٥]، واشترط بعضهم لتكفير الكبائر أن يتوب صاحبها منها، والظاهر أن هذه الصلوات تكفر الذنوب الصغيرة والكبيرة، بفضل الله ورحمته، إذا أدى المسلم الصلوات كما أمر الله ورسوله، قال -ﷺ-: **(من توضأ كما أمر وصلى كما أمر غفر له ما تقدم من عمل)**[٦]،ويدل له أيضا الاستفهام التقريري المتقدم في قوله: **(هل يبقى من درنه شيء؟)**[٧]

---

[١]- البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة (ح٥٢٨)، (١/ ١٠٧).

٢- البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور (ح١٥٢١)، (١٣٣/٢).

[٣]- تم الحديث عن الاستغفار في مطلب سابق.

٤- صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الفتنة التي تموج كموج البحر (ح٧٤٥٠)، (٨/ ١٧٣).

٥- انظر: شرح صحيح مسلم (٣/ ١١٢).

٦- سنن ابن ماجه، كتاب الصلاة، بَاب مَا جَاءَ فِي الصَّلَاةِ وَالسَّجْدَةِ عِنْدَ الشُّكْرِ (ح١٣٩٦)، (٥١٤/٢)، حسنه الالباني.

٧- صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة (ح٥٢٨)، (١/ ١٠٧).

المطلب الثاني

بيان وجوب الصبر[1]

قال تعالى: ﴿ **وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ {هود: ١١٥}.

تحقيق المقاصد والأهداف:

١) إن العبد في هذه الدار لا يستغنى عن الصبر في أي حال من أحواله، فإنه بين أمر يجب عليه امتثاله، فلا بد له من الصبر عليه، وبين نهي يجب عليه اجتنابه، فلا بد له من الصبر عنه، وبين قضاء فيه بلية يجب الصبر عليه، وإذا كانت هذه الأحوال لا تفارقه فالصبر لازم له إلى الممات، قال سبحانه وتعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ**﴾ [البلد: ٤]، يكابد مضايق الدنيا، وشدائد الآخرة.

٢) إن منزلة الصبر من أعظم المنازل التي حض عليها الإسلام، وجعل الله جزاءها من أعظم الجزاء ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر: ١٠]، وقال -ﷺ-: **(الصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء)**[2].

٣) الصبر من الإيمان بمثابة الرأس من الجسد: حيث بَيَّن الإمام علي -رضي الله عنه- ذلك بقوله: "الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان"[3]. وبالصبر والتقوى نُفْشل كيد الأعداء: قال الله تعالى: ﴿**إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾ [سورة آل عمران: ١٢٠].

٤) إن للصبر أهمية كبيرة في الفرد وكذلك الجماعة، فالقران الكريم مليء بالآيات التي تتحدث عن الصبر، قال ابن تيميّة-رحمه اللّه تعالى-: "قد ذكر اللّه الصّبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعا، وقرنه بالصّلاة في قوله تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّها لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخاشِعِينَ**﴾ [البقرة: ٤٥]، وجعل الإمامة في الدّين موروثة عن الصّبر واليقين بقوله: ﴿**وَجَعَلْنا**

١- إن للصبر تعاريف كثيرة جدا من أهمها ما عرَّفه ابن القيم بقوله: "هو حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش"،تهذيب مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية (ص٢٧٦).

٢- صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (ح٥٥٦)، (١/ ١٤٠).

٣- المصنف في الأحاديث والآثار. تأليف أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (١٧٢/٦).

مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، فإنّ الدّين كلّه علم بالحقّ وعمل به، والعمل به لا بدّ فيه من الصّبر"[1].

٥) ورد الصبر في القرآن الكريم في كثير من السور بل والآيات، ونقل عن الإمام أحمد –رحمه الله –قوله: "ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن الكريم في نحو تسعين موضعاً، وهو واجب بإجماع الأمة وهو نصف الإيمان فإن الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر"، ونذكر بعض الفوائد التي سيق فيها الصبر في القرآن الكريم ومنها:

أ- الثّناء على أهله كقوله: ﴿**وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٧٧].

ب- الاستجابة لأمر اللّه تعالى بالصّبر وإيجاب معيّته لهم تلك المعيّة الّتي تتضمّن حفظهم لقوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقوله تعالى: **[وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ]** [الأنفال: ٤٦].

ت- الإخبار أنّ أهل الصّبر مع أهل العزائم لقوله تعالى: ﴿**وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ [الشورى: ٤٣].

ث- يورث صاحبه الإمامةَ قال تعالى: ﴿**وجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لما صبروا**﴾ [السّجدة: ٢٤].

ج- اقترانه بمقامات الإسلام والإيمان. قال تعالى: ﴿**ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَواصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ**﴾ [البلد: ١٧].

ح- إطلاق البشرى لأهل الصّبر على الابتلاء بمصائب الحياة الدّنيا ومصاعبها بأنّ جزاءهم على صبرهم هو الحصول على صلوات من ربّهم ورحمة وهداية إلى السّراط المستقيم بإذن اللّه كقوله تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ*الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ*أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

---

[1]- أمراض القلوب وشفاؤها (ص٥٤).

خ- إنّ الصّابرين بأنفسهم على طاعة اللّه والتّكاليف المنوطة بهم والتّقوى ومجاهدة النّفس ونهيها عن الهوى وتزكيتها ومحاسبتها ومراقبتها عند الابتلاءات جزاؤهم أن يوفّى لهم أجورهم بغير حساب لقوله تعالى: ﴿**إنما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر: ١٠].

د- ضمان النّصر والمدد لهم كقوله: ﴿**بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِّنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ**﴾ [آل عمران/ ١٢٥][1].

٦) من فوائد (الصبر والمصابرة):

أ- ضبط النّفس عن السّأم والملل، لدى القيام بأعمال تتطلّب الدّأب والمثابرة خلال مدّة مناسبة، قد يراها المستعجل مدّة طويلة.

ب- ضبط النّفس عن العجلة والرّعونة، لدى تحقيق مطلب من المطالب المادّيّة أو المعنويّة.

ت- ضبط النّفس عن الغضب والطّيش، لدى مثيرات عوامل الغضب في النّفس، ومحرّضات الإرادة للاندفاع بطيش لا حكمة فيه ولا اتّزان في القول أو في العمل.

ث- ضبط النّفس عن الخوف لدى مثيرات الخوف في النّفس كذلك سبب للتّمكين في الأرض.

ج- الفوز بالجنّة والنّجاة من النّار.

ح- ضبط النّفس عن الاندفاع وراء أهوائها وشهواتها وغرائزها.

خ- ضبط النّفس لتحمّل المتاعب والمشقّات والآلام الجسديّة والنّفسيّة، كلّما كان في هذا التّحمّل خير عاجل أو آجل.

د- دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام[2].

---

[1]- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٣/ ٣٧٥).

[2]- انظر: نضرة النعيم (٦/ ٢٤٧١).

المطلب الثالث

سنة الله في هلاك الأمم

قال تعالى: ﴿ **فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ*وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**﴾ {هود: ١١٦-١١٧}.

أولاً: المعاني اللغوية:

١) ﴿**الْقُرُونِ**﴾: جمع قرن والقرن "القوم المقترنون في زمن واحد وجمعه قرون"[١].

٢) ﴿**أُولُو بَقِيَّةٍ**﴾: "أي: أولو تمييز. وقيل: أولو طاعة. وقيل: أولو خير. يقال: فلان ذو بقية إذا كان فيه خير. معناه: فهلا كان من القرون من قبلكم من فيه خير ينهى عن الفساد في الأرض".[٢]

٣) ﴿**أُتْرِفُوا**﴾: "الترفة ، بالضم : هي النعمة، وسعة العيش"[٣].

ثانياً: الجوانب البلاغية:

{فلولا} و (لولا) هنا "توبيخية أو استفهامية كما جوزهما الرماني ، ويجوز ان تكون تخصيصية كما قال الزمخشري ، ويكون للسامع لا للمهلك ، لأن الآية لما تضمنت إهلاك المقر على الفساد كان في ذلك أقوى حث لغيرهم"[٤].

ثانياً: المعنى الإجمالي للآيات:

يقول تعالى فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض وقوله " إلا قليلا" أي" قد وجد منهم من هذا الضرب قليل لم يكونوا كثيرا وهم الذين أنجاهم الله عند حلول غضبه وفجأة نقمته ولهذا أمر الله -تعالى- هذه الأمة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كما قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[آل

---

[١]- المفردات في غريب القرآن (ص٤٠١).

٢- معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٢٠٦/٤).

٣- تاج العروس من جواهر القاموس (٥٣/٣)

٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (٥٨٨/٣).

عمران: ١٠٤][1]، وقوله: ﴿**وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾ أي: استمروا على ما هم عليه من المعاصي والمنكرات ولم يلتفتوا إلى إنكار أولئك حتى فاجأهم العذاب وكانوا مجرمين[2].

ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) إن الله تعالى خلق الإنسان وكرمه، وجعله في أحسن صورة، ومنحه العقل الذي ميزه به، وأرسل له الرسل مبشرين ومنذرين، ليكونوا بذلك حجة عليه، ويكونوا اختبارا له في هذه الحياة الدنيا ، ومع ذلك تنكب الإنسان لهذه الميزات ، ورفضها معلنا بذلك تحديه لله تعالى، ولقد ذكر الله أصنافا من الناس في القران الكريم، أفرادا وجماعات، شعوباً وأمماً، أعلنوا الحرب على الله وعلى عباده المرسلين، فحق عليهم العذاب في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى: ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً**﴾ [الإسراء:١٧]. وقال تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَى*وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى*وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى* وَالمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى**﴾ [النجم:٥٠-٥٣].

٢) إن سنة الله في الأمم باقية وممتدة، كلما دعت الحاجة إليها، فان الله ينزل عقابه على كل من تجبر وظلم، أسوة بأجداده الذين أهلكهم الله، وما ذكره القرآن الكريم إنما هو أمثلة على سبيل الإيضاح، وأخذ العبرة والعظة منه، وهذا تنبيه لنا نحن المسلمين، فيجب علينا أن نأخذ بأسباب الرفعة والتمكين، حتى لا نكون عبرة لغيرنا.

٣) إن من واجب الإنسان أن يكون دائم الاعتبار بالأمم الخالية، والأجيال الغابرة، يتفكَّر في أحوالهم، ويتَّعظ بما حلَّ بهم من العقاب والنكال. ويتعلم الأسباب التي دعت لهلاكهم، فإن لهلاك الأمم أسباباً كثيرةً جَرت سُنَّة الله -تعالى-في عباده عند وجودها أن يهلكهم بسببها، ومن أهم هذه الأسباب ما يلي:

أ- الشرك:

إن الشرك أعظم ذنب اقترفته البشرية، وهذا ما قاله تعالى على لسان لقمان الحكيم الذي نصح ابنه في سورة لقمان: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان: ١٣] يعني لذنب عظيم، فالشرك

١- روح المعاني، للألوسي (١٦١/١٢).

٢- روح المعاني، للألوسي (١٦١/١٢).

عقوبته متحتمة في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ**﴾ [الروم:٤٢]، وقال تعالى: ﴿**وكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ [هود :١٠٢]، **[وَهِيَ ظَالِمَةٌ]** أي: "مشركة كافرة"[١].

ب- الاستكبار:

لقد ورد في القرآن الكريم لفظ الاستكبار مذمومًا، لأنه طلب الشيء بغير استحقاق، أما الاستكبار بالحق هو لله تعالى، "وهو المتكبر المتعالي، المبالغ في كبرياء الشأن، وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق"[٢]، فالله أوجب العذاب على المستكبرين لأنهم تعدوا على غيرهم ظلما وعلوا، وأصل الأخلاقِ المذمومة كلِّها الكبر والاستعلاء، فبه اتَّصف إبليس فحسَد آدم واستكبر وامتنع من الانقياد لأمر ربه، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة:٣٤]. وهذا كان دأب من سار على خُطى الشيطان، فقال تعالى عن قومِ نوح: ﴿**وَاسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَاسْتَكْبَرُواْ اسْتِكْبَارًا**﴾ [نوح:٧]، وقال عن قومِ هود: ﴿**فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُواْ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقّ**﴾ [فصلت:١٥].

فالكبر خلق ذميم، وهو من أكبر الكبائر وبسببه شقي كثير من الناس، فعن عبد الله بن مسعود عن النبي -ﷺ- قال: **(لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)** [٣]، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر: ٦٠]

ت- التكذيب:

إن من أشد ما آذى الأنبياء هو اتهامهم بالكذب، واتهامهم للأنبياء بهذه الصفة الذميمة، هي في الحقيقة تكذيباً لهم بالرسالة التي جاؤوا بها، قال تعالى واصفاً حالهم حين كذبوا: ﴿**أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ**﴾ [القمر:٢٥]، فرد الله عليهم فقال: ﴿ **سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ** ﴾ [القمر: ٢٦] فحق عليهم عذاب ربنا فقال تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ**﴾ [القمر: ٣١] .وقال تعالى: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ [الأنعام:١١[، هذا حال الأقوام مع أنبيائهم كما وصفهم الله ﴿ **كُلَّمَا جَاء أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ** ﴾ [المؤمنون: ٤٤]، ولقد استأنس القرآن الكريم للنبي -ﷺ- في تكذيب قريش، فقال تعالى: ﴿**فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ**﴾ [آل عمران : ١٨٤].

---

[١]- التفسير الحديث، محمد عزت دروزة (٥٣٦/٣).

[٢]- البحر المديد، لابن عجيبة (٥/ ٤٠٩).

[٣]- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (ح٢٧٥)، (١/ ٦٥).

ث- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن سنن الله في المجتمعات ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، ولا تحابي أحداً كائناً من كان، ولا تتخلف عند دخول أسبابها ووجود أماراتها، قال تعالى: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِى إِسْرَاءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ * كَانُواْ لاَ يَتنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ**﴾ [المائدة:٧٨-٧٩]، وهذا المظهر مما اشتهر وانتشر في زماننا، واحتاج إلى معالجة جادة وحازمة من أهل العلم والبصيرة. ولابد من الرجوع إلى الله قبل فوات الأوان، وحينها لا ينفع الندم.

ج- وهناك أسباب للهلاك أخرى بيَّنها لنا النبي -ﷺ-:

إن من أسباب الهلاك التي بينها لنا رسول الله -ﷺ- بأمته:

كالاختلاف في كتاب الله، والتنازع في مُشكله، فقد روى الامام البخاري عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -ﷺ-: **(لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا)**[1]. ومن أسباب الهلاك: الغلو في الدين والتنطع والتشدُّد؛ روى ابن ماجه عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال لي رسول الله -ﷺ- غداة العقبة وهو على راحلته: "**هات التقط لي**"، فالتقطت له حصيات هي حصى الخذف، فلما وضعتهن في يده قال: "**بأمثال هؤلاء. وإيَّاكم والغلوَّ في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلوُّ في الدين)**[2].

ومن أسباب الهلاك ما رواه الامام مسلم عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: **(هلك المتنطعون)** ثلاثاً[3]. والمتنطع هو التعمُّق في الشيء[4].

والعاقبةُ الحسنة المحمودة في جنَّات النعيم لِمَنْ اتَّقى عقابَ الله بأداءِ أوامره، واجْتناب نواهيه، وذلك جزاءً بما صبروا، وتعلموا، وأخذوا بأسباب السنن الإلهية المؤدية للتمكين وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

١- صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والملازمة والخصومة بين المسلم واليهود (ح٢٤١٠)، (١٢٠/٣).

٢- سنن ابن ماجه، كِتَاب الْمَنَاسِكِ بَاب قَدْرِ حَصَى الرَّمْيِ (ح٣٠٢٩)، (٤٦٨/٤)، صححه الالباني.

٣- صحيح مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون (ح٦٩٥٥)، (٥٨/٨).

٤- وهذا هو الذي نعيشه اليوم، من طعن بالعلماء، ومدح الأمراء، وانتقاص من العلم الشرعي وأهله، باسم الدين، والأصعب من ذلك، التكفير والتفجير والتفسيق والتبديع، باسم الدين، وذلك لأنهم تبع لرؤوس الضلال التي هلكت وأهلكت الأمة خلفها، فالواقع اليوم واقع مرير، فالعجب من القاتل حين يذبح مسلما يهلل ويكبر باسم الإسلام- والإسلام منه براء – والمذبوح يهلل ويستغفر، فواعجباه.

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات (١١٨-١٢٣)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاختلاف سنة كونية ودفعه فريضة شرعية.

المطلب الثاني: قصص الأنبياء وأهميتها.

المطلب الثالث: وجوب العبادة لله مع التوكل عليه في جميع الأمور.

المطلب الأول

الاختلاف[1] سنة كونية ودفعه فريضة شرعية

قال تعالى: **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ*إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾** {هود: ١١٨-١١٩}.

أولاً: الجوانب البلاغية:

١) **﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾**: وهذه استعارة. والمراد هاهنا بتمام كلمة اللّه سبحانه صدق وعيده الذي تقدّم الخبر به، وتمام وقوع مخبره مطابقا لخبره[2].

٢) **(مِن)** "لبيان الجنس؛ أي من جنس الجِنة وجنس الناس".[3]

٣) **(أجمعين)** تأكيد[4].

ثانياً: المعنى الإجمالي:

يقول السعدي: "يُخبر الله تعالى أنه لو شاء لجعل الناس أُمة واحدة على الدين الإسلامي فإن مشيئته غير قاصرة ولا يمتنع عليه شيء ولكنه اقتضت حكمته ألا يزالوا مختلفين مخالفين للصراط المستقيم متّبعين للسبل الموصلة إلى النار كلٌّ يرى الحق فيما قاله والضلالة في قول غيره، وقوله سبحانه: **(إلا من رحم ربك)**، فهداهم إلى العلم بالحق والعمل به والاتفاق عليه، فهؤلاء سبقت لهم سابقة السعادة وتداركتهم العناية الربانية والتوفيق الإلهي وأما من عداهم فهم مخذولون موْكلون إلى أنفسهم"[5].

١- الاختلاف في اللغة: المخالفة والاختلاف بمعنىً واحد،"خالفته مخالفة وخلافاً وتخالف القوم واختلفوا إذا ذهب كل واحدٍ إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر، وهو ضد الاتفاق ". المصباح المنير (ص٦٩)، القاموس المحيط ص ١٠٤٥. والاختلاف واصطلاحا: التجاذب فيه بالأقوال والأفعال، والمراد به هنا: ما انتهى إلى الخصومة والعداوة والتنازع. الشريعة لأبي بكر الآجري (ص٣).

٢- تلخيص البيان في مجازات القرآن ٢/ ١٦٧.

٣- تفسير القرطبي ١١٥/٩.

٤- تفسير القرطبي ١١٥/٩.

٥- تفسير ابن سعدي ٢ / ١٢٥.

ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) إن الاختلاف سنة كونية، وقدر واقع لا محالة بمشيئة الله الكونية قال الله تعالى : ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ*إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

٢) الخلاف سنة كونية، وقد يكون قدراً كونياً فيه شر ولا يخلو من خير . فالله لا يخلق شراً محضاً . فلا يستسلم له العبد، "ومع ذلك واجب على كل إنسان أن يجتنبه وكذلك المعاصي، وكل ذلك مقدر شاء الله وقوعه كوناً بناء على علمه باختيار الإنسان؛ فالله -ﷻ- وهب خلقه مشيئة واختياراً خاضعة لمشيئة الله مع علمه باختيارهم وكتابته له وتقدير كونه منهم فإن لم يزله خفف من آثاره وخرج بأقل أضراره".[١]

٣) **أنواع الاختلاف:** بيّن الإمام ابن تيميَّة أن الاختلاف نوعان:

أ- اختلاف تنوع (محمود): واختلاف التنوع على وجوه منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقا مشروعا كما في "القراءات التي اختلف فيها الصحابة حتى زجرهم رسول الله -ﷺ-عن الاختلاف وقال كلاكما محسن ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان والإقامة والاستفتاح"[٢]، وكذلك الاختلافات في بعض الأمور العملية، كالخلاف في بعض المواقف السياسية، ومناهج الإصلاح والتغيير، والاختلاف في تقويم الأحداث التاريخية وبعض الشخصيات التاريخية والعلمية، وهذا الخلاف ليس فيه مذمة، وإنما الذم في عدم مراعاة آداب الخلاف العملية والأخلاقية.

ب-واختلاف تضاد(مذموم): الاختلافُ المذموم ينشأ عنه تباغض واقتتال وتباين، لأنَّهُ اختلافٌ جذري، اختلافٌ بالإيمان والكفر، فهذا اختلافٌ قدره الله وقضاه، وهذا يدلُ على استمرار هذا الاختلاف بين الحق والباطل، بين أولياء الله وأعداء الله، بين حزب الله وحزب الشيطان، فهما حزبان مختلفان على ظهر هذه الأرض. وله حالات من أهمها:

- الحالة الأولى: "الاختلاف في مسائل العقيدة المتفق عليها عند أهل السنة والجماعة، فهذا اختلاف مذموم لأن العقيدة ثابتة بنصوص قطعية في الكتاب والسنة وقد أجمع عليها الصحابة فلا يصح أن يكون فيها اختلاف بين المسلمين.

---

[١]- مجلة البيان، الجامعة الاسلامية المدينة المنورة (العدد٢٣٨)، (٢٠٥/٥).

[٢]- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (ص٣٧).

- الحالة الثانية: الاختلاف في الأدلة القطعية، والمقصود بها المسائل التي تكون قطعية الثبوت وقطعية الدلالة، مثل وجوب الصلاة والصيام والزكاة، وقطع يد السارق، ورجم الزاني، ووجوب الحجاب وتحريم الخمر، ونحو ذلك.
- الحالة الثالثة: الاختلاف الناشئ عن تعصبٍ أو هوى لا عن حجةٍ وبرهان، فقد ذم الله تعالى الذين يجادلون في آياته بغير حجة ولا برهان، فقال سبحانه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرِ**﴾ (غافر:٥٦).

ففي هذه الحالات الثلاث يكون الاختلاف مذموماً، وهو ما يطلق عليه الشارع الافتراق، فالآيات التي أمر الله جل وعلا فيها بالائتلاف والاتفاق والاجتماع كثيرة، والتي ذم فيها أهل الفرقة والخلاف كثيرة جداً"[١].

جعل من الشرع الذي أوصى به هذه الأمة: ﴿**أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾[الشورى:١٣]، وهو ليس خاصاً بهذه الأمة بل بجميع الأمم، قال تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾ [الشورى:١٣]، فالاجتماع على الدين والحق والهدى مما تواترت فيه النصوص، وقد نهى الله جل وعلا عن الفرقة في قوله: ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [آل عمران:١٠٥]، والآيات والأحاديث في هذا كثيرة، والمراد بالاجتماع الاجتماع على الحق ومع أهل الحق، وأما الاختلاف فهو الخروج عن الحق وعن أهل الحق.

٤) يرجع الاختلاف إلى أسباب خلقية متعددة[٢]، ومن أهم هذه الأسباب:

أ- الغرور بالنفس والإعجاب بالرأي.

ب- سوء الظن والمسارعة إلى اتهام الآخرين بغير بينة.

ت- الحرص على الزعامة أو الصدارة أو المنصب.

ث- اتباع الهوى وحب الدنيا.

---

[١]- فقه الخلاف وأثره في القضاء على الإرهاب، بحث مقدم لمؤتمر " موقف الإسلام من الإرهاب " بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (ص٨).

٢- انظر: آداب الحوار وقواعد الاختلاف (ص٣١).

ج- التعصب لأقوال الأشخاص والمذاهب والطوائف.

ح- العصبية لبلد أو إقليم أو حزب أو جماعة أو قائد.

خ- قلة العلم في صفوف كثير من المتصدرين.

د- عدم التثبت في نقل الأخبار وسماعها.

وهذه الأسباب وغيرها من الرذائل الأخلاقية والمهلكات هي التي ينشأ عنها اختلاف غير محمود وتفرق مذموم، وتنازع وتناحر يكون بعده ازهاق لطاقات الامة وثرواتها.

٥) ومن أهم آثار الافتراق:

أ-الفشل وذهاب القوة: لقد ورد لفظ (التنازع) في القرآن الكريم في سبعة مواضع[١]، وورد لفظ (الفشل) في أربعة مواضع، وجاء الربط بين اللفظين في ثلاثة مواضع، قوله تعالى:﴿**حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾ [آل عمران: ١٥٢]. في وقعة أُحد؛ وقوله سبحانه:﴿**وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾ [الأنفال : ٤٣] وذلك في غزوة بدر؛ ثم قوله: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾ [سورة الأنفال :٤٦] إخبار واضح، ونهي جازم، وسنة ثابتة، يدل على أن الفشل والتراجع -على مستوى الأمة أو الأفراد- إنما مرجعه إلى التنازع والاختلاف، وهذا يعني موت الأمة بأسرها، تعود الأمة أعداداً بلا عدة، وأرقاماً بلا معنى، أي الحالة الغثائية التي لا تحافظ على موجود ولا تلوي على مطلوب، فتتداعى الأكلة إلى قصعة الأمة، فيطمع فيها كل قوي وضعيف، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

ب- زعزعة الثقة بالعلماء والحكام والأمة، بل بالإسلام ومناهج العاملين والداعين إليه، فقد جرت عادة الناس في الربط بين الداعي ودعوته نجاحاً وفشلاً. ومن ثم إتاحة الفرصة لظهور تيارات من التشكيك والدعوة للانسلاخ من الدين على نحو ما ظهر في أوربا المسيحية في مقدمات عصر النهضة، فانظر كم يجني أهل التنازع على الأمة ودينها ورسالتها!

ت- انتزاع البركة من الأفراد والجماعة ومن الأمة بأسرها، الافتراق والتعادي وتركها لنفسها، تصديقاً لقوله -ﷺ-: (**إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي أَوْ قَالَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ** -ﷺ- **عَلَى ضَلَالَةٍ وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ**)[٢].

١- الشبكة الإسلامية.

٢- سنن الترمذي، كتاب الفتن، بَاب مَا جَاءَ فِي لُزُومِ الْجَمَاعَةِ (ح٢١٦٧)، (٣٩/٤). قال الالباني صحيح - دون: " ومن شذ".

ث- التخاذل المتبادل بين أفراد الأمة وجماعاتها ودولها وحكوماتها، وأن يُسلم بعضهم بعضاً إلى الأعداء والفتن، بل والتحرش بهم، وتهييج الأعداء عليهم؛ نكاية ووشاية وشماتة، وقد قال -ﷺ- : **(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يُسلمه)**[1].

ج- التنازع والتفرق يُفقد الناس والأمة الشعور بوحدة الجسد ووحدة الهم ووحدة المصير، مما يحدو بكل طائفة أن تتصرف بمفردها بمعزل عن الأمة، وربما أدى ذلك التصرف الانفرادي إلى مآس تعود على الأمة جمعاء بآثارها وتبعاتها، "وعلى الرغم من حقيقة وجود هذا التَّبايُن بين الناس؛ في عقولهم ومُدركاتهم وقابليتهم للاختلاف، إلا أن الله وضع على الحقِّ معالمَ، وعليه حُمِلَ الاستثناء في الآية في قوله: ﴿**إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ**﴾ (هود:١١٩). وهو المنصوص عليه في الآية الأخرى في قوله: ﴿**فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ**﴾ (البقرة:٢١٣).

لهذا كان من الواجب على الدعاة والمفكرين الإسلاميين أن يشغلوا جماهير المسلمين بهموم أمتهم الكبرى، ويلفتوا أنظارهم وعقولهم وقلوبهم إلى ضرورة التركيز عليها والتنبيه لها، والتركيز على مواطن الاتفاق قبل كل شيء، وأن يرفعوا شعار التعاون فيما نتفق عليه، فإن هذا التعاون فريضة وضرورة، فريضة يوجبها الدين وضرورة يحتمها الواقع.

١- أخرجه البخاري، كتاب في اللقطة، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (ح٢٤٤٢)، (١٢٨/٣)، ومسلم، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله (ح٦٧٠٦)، (١٠/٨).

المطلب الثاني
قصص[1] الأنبياء وأهميتها

قال تعالى: ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ*وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ*وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ**﴾ {هود:١٢٠-١٢٢}.

أولاً: المعني الإجمالي:

لما قص تعالى على رسوله في هذه السورة الشريفة ما قصه من أنباء الرسل مع أممهم مبيّناً ما لاقت الرسل من أفراد أممهم من تكذيب وعناد ومجاحدة وكيف صبرت الرسل حتى جاءها النصر أخبر تعالى رسوله بقوله: ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾ أي "ونقص عليك كل ما تحتاج إليه في تدعيم موقفك وقوة عزيمتك، **(من أنباء الرسل)** من أخبارها مع أممها الشيء الذي نثبت به قلبك حتى تواصل دعوتك وتبلغ رسالتك . وقوله **{وجاءك في هذه}** أي السورة **(الحق)** من الأخبار كما جاءك في غيرها **{وموعظة}** لك تعظ بها غيرك، **{وذكرى}** يتذكر بها المؤمنون فيثبتون على الحق ويصبرون على الطاعة والبلاء فلا يجزعوا ولا يملوا"[2]، وقوله: ﴿**وَقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ*وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ**﴾ أي: "وقل يا رسولنا للذين لا يؤمنون من قومك ممن هم مصرون على التكذيب والشرك والعصيان اعملوا على حالكم وما أنتم متمكنون منه إنا عاملون على حالنا كذلك، وانتظروا أيّنا ينتصر في النهاية أو ينكسر"[3].

ثانيا: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) القصص في القرآن ثلاثة أنواع:

- النوع الأول: "قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصص نوح،

١- القصة لغة: القاف والصاد أصلٌ صحيح يدلُّ على تتبُّع الشَّيء. من ذلك قولهم: اقتصَصْتُ الأثَر، إذا تتبَّعتَه. معجم مقاييس اللغة (١١/٥). القصة اصطلاحًا: الخبر عن حادثة غائبة عن المخبَر بها. التحرير (٦٦/١).

٢- أيسر التفاسير (١٩٧/٢).

٣- المرجع السابق(١٩٧/٢).

وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام.

- النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت ثبوتهم، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.
- النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله -ﷺ- كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك"[1].

٢) **من فوائد القصة القرآنية:** ورد في القرآن الكريم قصص كثير عن الأمم والأنبياء والمرسلين وحال كثير من الجبابرة والمتمردين وكيف فعل الله بهم مع أن النبي -ﷺ- لم يعاصر تلك الوقائع والأحداث، ولم يقرأ عنها كتاباً وهذا وجه من وجوه إعجاز الكتاب الكريم ودليل صدق على ما جاء به هذا النبي العظيم -ﷺ-، فمن أهم فوائد القصص ما يلي:

أ- تثبيت فؤاد النبي -ﷺ- ومن آمن معه، قال -تعالى-: **﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** [هود: ١٢٠]. فالقرآن العظيم وسيلة التثبيت الأولى وهو حبل الله المتين، ونص الله على أن وظيفة هذا الكتاب والغاية التي من أجلها أنزله منجّماً مفصلاً هي التثبيت، فقال -تعالى- في معرض الرد على شُبه الكفار: **﴿وقَالَ الَذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ورَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً *ولا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾** [الفرقان:٣٢- ٣٣].

ب- الدلالة على صدق النبي -ﷺ- حيث إنه لم يعاصر أحداث القصة ولم يتعلمها من معلم. قال -تعالى-: **﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ* وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾** [القصص:٤٤-٤٥] ، وقال تعالى: **﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾** (سورة هود: ٤٩).

---

[1]- مباحث في علوم القرآن (ص٣١٧).

ت- تصديق الأنبياء السابقين فيما دعوا إليه الناس، قال تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** (يوسف:١١١).

ث- بيان الحق فيما اختلفوا فيه والتحذير من كيد الأعداء، قال تعالى: **﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾** (الأنعام: ٥٧).

ج- أن "ينشئ في المسلمين همة السعي إلى سيادة العالم كما ساده أمم من قبلهم ليخرجوا من الخمول الذي كان عليه العرب بعد أن تقاصرت هممهم عن طلب السيادة حتى آل بهم الحال إلى أن فقدوا عزتهم فأصبح كالأتباع للفرس والروم"[١].

ح- معرفة أن "قوة الله تعالى فوق كل قوة، وأن الله ينصر من ينصره، وأنهم إن أخذوا بوسيلتي البقاء: من الاستعداد والاعتماد؛ سلموا من تسلط غيرهم عليهم. وذكر العواقب الصالحة لأهل الخير، وكيف ينصرهم الله تعالى كما في قوله: **﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾** [الأنبياء: ٨٧-٨٨] "[٢].

---

[١]- التحرير والتنوير (١/ ٦٧).

[٢]- المرجع السابق(١/ ٦٧).

المطلب الثالث

وجوب العبادة[1] لله مع التوكل[2] عليه

قال تعالى: **﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾** {هود:١٢٣}.

أولا: المناسبة في أول السورة وآخرها:

قال المدني: "وجميع خواتيم السور كفواتحها، واردة على أحسن وجوه البلاغة وأكملها؛ لأنها بين أدعية ووصايا وفرائض وتحميد وتهليل ومواعظ ووعد ووعيد إلى غير ذلك مما يناسب الاختتام"[3]. قال سيد قطب: "وهكذا تختم السورة التي بدئت بالتوحيد في العبادة، والتوبة والإنابة والرجعة إلى الله في النهاية، بمثل ما بدئت به من عبادة الله وحده والتوجه إليه وحده، والرجعة إليه في نهاية المطاف، وذلك بعد طول التطواف في آفاق الكون وأغوار النفس وأطوار القرون. وهكذا يلتقي جمال التنسيق الفني في البدء والختام، والتناسق بين القصص والسياق، بكمال النظرة والفكرة والاتجاه في هذا القرآن"[4].

ثانيًا: الجوانب البلاغية:

١) اللام في {لله} للملك وهو ملك إحاطة العلم، أي لله ما غاب عن علم الناس في السماوات والأرض. "وهذا كلام يجمع بشارة المؤمنين بما وعدوا من النعيم المغيب عنهم، ونذارة المشركين بما توعدوا به من العذاب المغيب عنهم في الدنيا والآخرة"[5].

٢) وتقديم المجرورين في **﴿ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر﴾** "لإفادة الاختصاص"[6]، أي الله لا غيره يملك غيب السماوات والأرض ، لأن ذلك مما لا يشاركه فيه أحد.

١- عرفها شيخ الاسلام ابن تيمية: "اسم جامع لكلّ ما يحبّه اللّه ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظّاهرة" مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩).

٢- صدق اعتماد القلب على اللّه -ﷻ- في استجلاب المصالح ودفع المضارّ من أمور الدّنيا والآخرة، وكلة الأمور كلّها إليه، وتحقيق الإيمان بأنّه لا يعطي ولا يمنع ولا يضرّ ولا ينفع سواه . جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم (٤٣٦)، مجلة البحوث الإسلامية (٣٠/ ٩٥).

٣- أنوار الربيع (٣٢٤/٦).

٤- في ظلال القرآن(٢٧٤/٤).

٥- التحرير والتنوير (١٩٤/١٢).

٦- التحرير والتنوير (١٩٤/١٢).

٣) تأكيد الأمر بـ {**كله**} للتنصيص على العموم[١].

ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) التوكل صفة من صفات المؤمنين حاملي الإيمان، فهو من صفات المؤمنين حقًا، والتوكل فريضة يجب إخلاصها لله –تعالى–، وهو من أفضل العبادات، وأعلى مقامات التوحيد، ولا يقوم به على وجه الكمال إلا خواص المؤمنين، فالاستعانة بالله والتوكل عليه من أعظم واجبات الإيمان، وأفضل الأعمال المقربة إلى الرحمن، فإن الأمور كلها لا تحصل، ولا تتم إلا بالاستعانة بالله.

٢) العبادة تجمع أصلين غاية الحب بغاية الذل والخضوع والعرب تقول طريق معبد أي مذلل والتعبد التذلل والخضوع فمن أحببته ولم تكن خاضعا له لم تكن عابدا له ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدا له حتى تكون محبا خاضعا ومن ههنا كان المنكرون محبة العباد لربهم منكرين حقيقة العبودية[٢].

٣) القرآن الكريم قد جمع بين العبادة والتوكل في عدة مواضع؛ لأن هذين يجمعان الدين كله؛ ولهذا قال من قال من السلف:" إن اللّه جمع الكتب المنزلة في القرآن، وجمع علم القرآن في المفصل، وجمع علم المفصل في فاتحة الكتاب، وجمع علم فاتحة الكتاب في قوله: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ**﴾ { الفاتحة/٥}"[٣].

٤) إن التوكل والعبادة قد ذكرا في القرآن الكريم في عدة مواضع قرن بينهما فيها هذا أحدها، ومثل الاستعانة التّوكّل إذ هو أيضا يلتئم من هذين الأصلين (الثّقة والاعتماد) وهذان الأصلان وهما: التّوكّل (الاستعانة) من ناحية والعبادة من ناحية أخرى قد اقترنا في القرآن الكريم في مواضع عديدة منها:

أ- قوله سبحانه في الفاتحة: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ {الفاتحة: ٥}.

ب- قوله سبحانه: ﴿**وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ**﴾ {هود: ١٢٣}.

---

[١]- انظر: التحرير والتنوير (١٢/١٩٤).

[٢]- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٧٤).

[٣]- أمراض القلب وشفاؤها ٤٣، الفتاوى الكبرى (٢/٢٢٣).

ت- قول اللّه تعالى على لسان شعيب: ﴿**وَما تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ {هود: ٨٨}.

ث- قوله سبحانه: ﴿**قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتابِ**﴾ {الرّعد: ٣٠}.

ج- قوله-عزّ من قائل-حكاية عن المؤمنين ﴿**رَبَّنا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنا وَإِلَيْكَ أَنَبْنا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ {الممتحنة: ٤}.

ح- قول اللّه تعالى: ﴿**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا*رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا**﴾ {المزمل: ٨-٩}.

فهذه ستة مواضع يجمع فيها القرآن الكريم بين الأصلين وهما إياك نعبد وإياك نستعين وتقديم العبادة على الاستعانة في الفاتحة من باب تقديم الغايات على الوسائل إذ العبادة غاية العباد التي خلقوا لها والاستعانة وسيلة إليها[١].

٥) لقد سوّى ابن القيّم بين التّوكّل والاستعانة وقال في تعريفهما: التوكّل والاستعانة: "حال للقلب ينشأ عن معرفته باللّه تعالى، والإيمان بتفرّده بالخلق، والتّدبير والضّرّ والنّفع، والعطاء والمنع، وأنّه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وإن شاءه النّاس، فيوجب له هذا اعتمادا عليه واستعانة به، وتفويضا إليه وطمأنينة به، وثقة به، ويقينا بكفايته لما توكّل عليه فيه واستعان به عليه، وأنّه مليّ به، ولا يكون إلّا بمشيئته، شاء النّاس ذلك أم أبوه"[٢].

٦) إن لتقديم العبادة على الاستعانة وما في معناها من التّوكّل في كثير من الآيات، أسباب عديدة أشار إليها ابن القيّم وغيره من العلماء، فقال ابن القيّم: "وتقديم العبادة على الاستعانة لما يلي:

أ- "لأنّ العبادة غاية العباد الّتي خلقوا لها. والاستعانة وسيلة إليها، ومن ثمّ يكون ذلك من قبيل تقديم الغايات على الوسائل.

ب- لأنّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ متعلّق بألوهيّته-سبحانه-وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ متعلّق بربوبيّته.

ت- ولأنّ تقديم العبادة على الاستعانة يتناسب مع تقديم اسم «اللّه» على لفظ «الرّبّ» المذكورين في أوّل السّورة، حيث إنّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ قسم الرّبّ، فكان من الشّطر الأوّل، الّذي هو ثناء على اللّه

---

[١]- انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/٧٥).

[٢]- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٨٢).

تعالى، لكونه أولى به، وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ قسم العبد، فكان من الشّطر الّذي له، وهو اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ إلى آخر السّورة.

ث- ولأنّ العبادة المطلقة تتضمّن الاستعانة من غير عكس، فكلّ عابد للّه عبوديّة تامّة، مستعين، ولا ينعكس الأمر لأنّ صاحب الأغراض والشّهوات قد يستعين به على شهواته، فكانت العبادة أكمل وأتمّ، ولهذا كانت قسم المولى-ﷻ-.

ج- ولأنّ الاستعانة جزء من العبادة من غير عكس (فقدّم الكلّ على الجزء).

ح- ولأنّ الاستعانة طلب منه سبحانه، والعبادة طلب له فقدّم ما هو له على ما هو منه"[1].

[1]- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٨٢).

الفصل الثالث

التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف الربع الثالث من الحزب الرابع والعشرين من سورة يوسف الآيات (١-٢٩)

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة يوسف الآيات (١-٦).

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة يوسف الآيات (٧-١٤).

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة يوسف الآيات (١٥-٢٤).

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة يوسف الآيات (٢٥-٢٩).

المبحث الأول:

المقاصد والأهداف لسورة يوسف الآيات (١-٦)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اللغة العربية لغة القرآن.

المطلب الثاني: تقرير نبوة محمد -ﷺ- وإثباتها بأحسن القصص.

المطلب الثالث: رؤيا الأنبياء وحي من الله.

المطلب الرابع: النبوة اصطفاء لا اختيار.

المطلب الأول
اللغة العربية لغة القرآن

قال تعالى: ﴿**الر* تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ*إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ {يوسف:١-٢ }.

أولاً: المعاني اللغوية:

١) ﴿**الر**﴾: "من الألفاظ التي يتهجى بها، وهي أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم، والتهجي تعداد الحروف بأساميها وحروف التهجي: ما تتركب منها الألفاظ العربية، وهي الألف والياء وما بينهما"[١]، "واختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السور"[٢].

٢) ﴿**قُرْآنًا**﴾: "القرآن في الأصل مصدر نحو كفران ورجحان ، **قال ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ*فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾** {القيامة: ١٧-١٨}، قال بعض العلماء : تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله لكونه جامعا لثمرة كتبه بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار تعالى إليه بقوله: ﴿**وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ {يوسف:١١١}[٣].و﴿**قُرْآناً عَرَبِيّاً**﴾ آية: أي: مجموعاً، مبيناً عربياً".[٤]

ثانياً: الجوانب البلاغية:

١) **الحكمة من وصف القرآن الكريم في سورة يونس** عليه السلام **بـ (الحكيم) ووصفه في سورة يوسف** -عليه السلام- **بـ (المبين):**

إن فاتحة هذه السورة هي فاتحة سورة يونس إلا وصف القرآن بـ (المبين) هنا وبـ (الحكيم) هنالك، "وهما في أعلى ذروة من البيان، وأقصى مدى من الحكمة والإحكام، اختير في كل من الصورتين ما يناسبها، فسورة يونس موضوعها أصل الدين، وهو توحيد الألوهية والربوبية، وإثبات الوحي والرسالة بإعجاز القرآن والبعث والجزاء وهي من الحكمة، وهذه موضوعها قصة نبي كريم تقلب في أطوار كثيرة كان قدوة خير وأسوة حسنة فيها كلها، فالبيان بها أخص"[٥]، ووصف الكتاب في سورة يوسف بـ (المبين) توكيد لوصفه بـ (الحكيم) في سورة يونس.

١- الكشاف، للزمخشري (٧٦/١).

٢- تفسير ابن كثير (٥٦/١).

٣- المفردات في غريب القرآن (ص٤٠٢).

٤- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه (٥/ ٣٤٩٦).

٥- تفسير المنار (٢٥١/١٢).

٢) **جاء في الآيتين لفظ (كتاب) ولفظ (قرآن):**

"ليدلل على أن القرآن يُقرأ، والكتاب يُكتب، وشاء الحق سبحانه ذلك؛ ليدُلَّك على أن الحافظ للقرآن مكانان: صدور، وسطور. فإن ضَلَّ الصدر، تذكر السطر"[١].

٣) التعبير بقوله: ﴿**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ :

"قد أفصح عن التعليل المقصود جملة ﴿**لعلّكم تعقلون**﴾ أي رجاء حصول العلم لكم من لفظه ومعناه، لأنّكم عرب فنزوله بلغتكم مشتملاً على ما فيه نفعكم هو سبب لعقلكم ما يحتوي عليه، وعُبّرَ عن العلم بالعقل للإشارة إلى أنّ دلالة القرآن على هذا العلم قد بلغت في الوضوح حدّ أن ينزّل من لم يَحصل له العلم منها منزلة من لا عقل له، وأنّهم ما داموا معرضين عنه فهم في عداد غير العقلاء"[٢].

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

يخبر الله تعالى أن آيات هذه السورة، هي آيات الكتاب البين الظاهر بنفسه، والمظهر لما شاء اللّه من حقائق الدين وأحكام التشريع وخفايا الملك والملكوت وأسرار النشأتين والمرشد إلى مصالح الدنيا وسبيل الوصول إلى سعادة الآخرة[٣].

ووصفه بأنه عربياً له باعتبار الشرف الإضافي وضمير الغائب للكتاب السابق ذكره فإن كان المراد به القرآن كله كما هو الظاهر المناسب للحال فذاك وإن كان المراد به هذه السورة فتسميته قرآنا لأنه اسم جنس يقع على الكثير والقليل فكما يطلق على الكل يطلق على البعض[٤].

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) تعد اللغة العربية من اللغات الحية التي ما تزال تحتفظ بكثير من الخصائص، من حيث قوة الألفاظ، ورصانة المعاني، ويعود ذلك إلى كونها لغة القرآن الكريم "كلام الله -ﷻ-الذي أنزله على قلب الرسول الكريم محمد -ﷺ- المحفوظ إلى يوم الدين ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر، الآية: ٩]، والذي ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت، الآية: ٤٢].

---

[١]- تفسير الشعراوي (٤١١/١).

[٢]- النكت والعيون (٣٢٨/٥)، التحرير والتنوير (٢٠٢/١٢).

[٣]- تفسير المراغي (١١٢/٤).

[٤]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني(٣٦٣/٦-٣٦٤).

٢) من أهم المقاصد لنزول القران باللغة العربية ما يلي:

أ- أن الدين الإسلامي إنما جاء باللغة العربية لقد جاء هذا الدين -أي دين الإسلام-عن طريق القرآن الكريم والسنة النبوية، وكلاهما باللغة العربية ويتوقف فهمه السليم الكامل على فهم اللغة التي حملته إلى الناس، وهي اللغة العربية.

ب- أن كثيراً من العبادات يجب أداؤها باللغة العربية. مثل قراءة الفاتحة في الصلاة، وأذكار الصلاة كتكبيرة الإحرام وأذكار الركوع والسجود والتشهد، ونحوها من فروض العين التي يجب على المسلم أداؤها باللغة العربية ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ليتقرب بها إلى الله تعالى.

ت- لا بد من وجود علماء يفقهون الإسلام باللغة الغربية، وإنه لا بد من وجود علماء يجيدون اللغة العربية، إجادة تجعلهم قادرين على فهم معاني القرآن والسنة وكتب العلم التي يحتاج إليها المسلمون، ليكونوا مرجعا لأهل كل بلد يعلمون الناس معاني القرآن الكريم والسيرة النبوية.

ث- لا بد من وجود قادرين على ترجمة معاني الإسلام، وهذا المقصد لا يحصل إلا بوجود علماء يجيدون اللغة العربية ويجيدون لغة البلد، ليترجموا لأهله معاني القرآن الكريم والسنة النبوية[١].

٣) سبب نزول القرآن باللغة العربية:

إن اللغة العربية أفصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأديةً للمعاني التي تقوم بالنفوس، لا يضيق صدر العربي الفصيح أن يعبر عما فيه، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدأ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان، في أشرف ليالي العام في ليلة القدر، فكمل الكتاب من كل الوجوه **﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ*نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ*عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ*بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾** [الشعراء:١٩٢-١٩٥] تكلم الله بالقرآن بالعربية حرفاً وصوتاً، وأنزله سبحانه وتعالى باللغة العربية، وتكلم به إلى جبريل، وأسمعه جبريل محمداً -ﷺ- باللغة العربية، ولما اتهم الكفار محمداً -ﷺ- بأنه أتى بالقرآن من نجار رومي بـ مكة نصراني تعلم منه القرآن، فقال الله رداً على هذه الفرية: **﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾** [النحل:١٠٣] ذلك النصراني رومي لسانه أعجمي، وهذا لسانٌ عربيٌ مبينٌ، فكيف يخرج العربي المبين من فم رجل نصراني رومي؟![٢].

---

[١]- انظر : السباق إلى العقول (ص٣٤٧).

٢ - الموقع الرسمي للشيخ محمد المنجد، خطبة بعنوان لغتنا الجميلة هل نعود اليها ؟ بتاريخ: 22صفر 1433.

المطلب الثاني

تقرير نبوة محمد -ﷺ- وإثباتها بأحسن القصص

قال تعالى: **﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾** {يوسف: ٣}.

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿الْغَافِلِينَ﴾: "الغفلة سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ، يقال غفل فهو غافل"[١].

ثانياً: الجوانب البلاغية:

قوله تعالى ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**﴾ فإنه سبحانه "وطأ بهذا الفصل الى ما يأتي بعده من سرد قصة يوسف -عليه السلام- فتخلص به إلى ذكر القصة تخلصا بارعاً"[٢].

قال الامام الزركشي: "واعلم أنه حيث قصد التخلص فلا بد من التوطئة له ومن بديعه قوله تعالى: **{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ}** يشير إلى قصة يوسف -عليه السلام- فوطأ بهذه الجملة إلى ذكر القصة يشير إليها بهذه النكتة من باب الوحي والرمز"[٣].

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

نحن نقص عليك يا محمد ﷺ أحسن القصص "بسبب ما أوحيناه إليك من هذا القرآن، والحال أنك كنت قبل إيحائنا إليك بهذا القرآن، من الغافلين عن تفاصيل هذا القصص، وعن دقائق أخباره وأحداثه، شأنك في ذلك شأن قومك الأميين"[٤].

"فتمتلئ سورة يوسف بِعِبَر متناهية، يتجلَّى بعضٌ منها في قضية دخوله السجنَ مظلوماً، ثم يأتيه العفو والحكم؛ لذلك فهي أحسنُ القَصص؛ إما لأنها جمعتْ حادثة ومَنْ دار حولها من أشخاص، أو جاء بالشخص وما دار حوله من أحداث"[٥].

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) إن قصص القرآن هي أحسن القصص؛ لصدق معانيها، وللحكم العظيمة المشتملة عليها، فضلاً عن التعقيبات القرآنية، والتوجيهات الربانية، المصاحبة لها، ولا شك أن من أحسن

---

[١]- المفردات في غريب القرآن (٣٦٢).

[٢]- اعراب القرآن الكريم وبيانه (٤٥٢/٤).

[٣]- البرهان في علوم القرآن (٤٥/١).

[٤]- التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٣١٧/٧).

[٥]- تفسير الشعراوي (٤٣٥/١).

قصص القرآن سورة يوسف التي ناسب ذكر هذه الآية في صدرها، ولهذا قال بعض المفسرين قول الله –تعالى–: ﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ**﴾ (يوسف: ٤) بدل اشتمال من قوله: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**﴾ (يوسف: ٣). ومن أسباب التسمية أن "السورة كسائر سور القرآن لها تأثير في حياة الأمم، من عمل بما فيها من مقومات الفوز والنجاح فاز وسعد وآل أمره إلى خير"[١].

٢) **اختلف العلماء لم سميت هذه القصة أحسن القصص:**

قال القرطبي: "وذكر العُلماءُ لكَوْنِ هذه القصَّة أحسنَ القصصِ وجوهاً:

أحدها: أنه ليست قصَّة في القرآن تتضمنُ من العبر والحكم، ما تتضمن هذه القصَّة؛ لقوله تعالى في آخرها ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الألباب**﴾ [يوسف: ١١١].

وثانيها: لحُسن مجاوزة يوسف إخوته، وصبْرِه على أذاهُم، وعفوه عنهُم بعد التقائهم عن ذكر فعلهم، وكرمه في العفو عنهُم، حتَّى قال: ﴿**لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ اليوم**﴾ [يوسف: ٩٢].

وثالثها: أن فيها ذكر الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– والصَّالحين، والملائكة، والجنِّ، والشياطين، والإنس، والطيرِ، وسير الملوكِ، والمماليكِ، والتُّجارِ، والعلماءِ، والجهال، والرِّجال، والنِّساء وحيلهنَّ ومكرهنَّ، وذكر التَّوحيد، والفقهِ، والسِّير، وتعبيرِ الرُّؤيا، والسِّياسةِ، والمعاشرةِ، وتدبير المعاشِ، وجُمَل الفوائد تصلُح للدِّين والدُّنيا.

ورابعها: أنَّ فيها ذكر الحبيب، والمحبُوب، وسيرهما.

وخامسها: أنَّ «أحْسنَ» هنا بمعنى: أعجب.

وسادسها: سُمِّيت أحسن القصص؛ لأنَّ كل من ذكر فيها كان مآله إلى السَّعادة، وانظُر إلى يوسف، وأبيه وإخوته، وامرأة العزيز، قيل: والملكُ أيضاً أسلم بيُوسُف، وحسن إسلامهُ، ومستعبر الرؤيا، والسَّاقي، والشَّاهد فيما يقال، فما كان أمْر الجَمِيع إلاَّ إلى خير"[٢] .

ومع تقديرنا لهذه الأسباب كلها، نعتقد أن ثمة سببا مهما يميز هذه القصة أنها تمضي في خط واحد منذ البداية إلى النهاية يلتحم مضمونها وشكلها، ويفضي بك لإحساس عميق بقهر الله وغلبته ونفاذ أحكامه رغم وقوف البشر ضدها. ﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ**﴾ [يوسف: ٢١]، هذا ما تثبته قصة يوسف بشكل حاسم، لا ينفي حسمه أنه تم بنعومة وإعجاز.[٣]

---

[١]– أحسن القصص، أ.د. ناصر بن سليمان العمري، مقال نشر بتاريخ١٤٢٥/٣/٢٨هـ، موقع الشبكة الاسلامية.

[٢]– الجامع لأحكام القرآن ٩/ ١٢٠.

[٣]– تم الحديث عن تقرير النبوة في المطلب السابق.

المطلب الثالث

رؤيا الأنبياء وحي من الله

قال تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ {يوسف: ٤-٥ }.

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿**كَيْدًا**﴾: "الكاف والياء والدال أصلٌ صحيح يدلُّ على معالجةٍ لشيء بشدّة، ثم يتّسع الباب، وكلّه راجعٌ إلى هذا الأصل، قال أهلُ اللُّغة: الكيد: المعالجة. قالوا: وكلُّ شيءٍ تُعالِجُه فأنت تَكِيدُه. هذا هو الأصل في الباب، ثم يسمُّون المَكر كيداً"[١].

ثانياً: الجوانب البلاغية:

١) قوله تعالى: ﴿**رأيتهم**﴾ تكرار يظنّه الناظر أنه تأكيد لأول وهلة وليس هو بالتأكيد وانما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابا له ويجوز أن تكون للتوكيد باعتبار أن طول الفصل بالمفاعيل استدعى ذلك فجيء برأيتهم تطرية وتنويعا للحديث.

٢) قوله تعالى: ﴿**ساجدين**﴾ "أجرى الكواكب الأحد عشر والشمس والقمر مجرى العقلاء وهو الذي يسميه النحاة تغليبا وهذا الوصف صناعي ، أما السر البياني فأمر كامن وراء هذا الوصف ذلك لأنه لما وصف الكواكب والشمس والقمر بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود أجرى عليها حكمهم كأنها عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم وسيأتي الكثير منه في القرآن"[٢].

٣) قوله تعالى: ﴿**يا بني**﴾ هذا التّصغير "كناية عن تحبيب وشفقة، نزل الكبير منزلة الصغير لأنّ شأن الصغير أن يحب ويشفق عليه . وفي ذلك كناية عن إمحاض النصح له"[٣].

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

"هذا شروع في القصة بعد مقدمتين ، أولاهما في صفة القرآن وكونه تنزيلا من الله دالا على رسالة من أنزل عليه، تكلم في المقدمة الثانية عن رؤيا يوسف وما فهمه منها أبوه فهما إجماليا

---

[١]- معجم مقاييس اللغة (١٤٩/٥).

[٢]- اعراب القرآن الكريم وبيانه (٤٥١/٤).

[٣]- التحرير والتنوير (٢١٤/١٢).

كليا كما بيناه آنفا ، وبنى عليه أن حذره وأنذره ما يستهدف له قبله من كيد إخوته ، وبشره بحسن عاقبته"[١]، "فذكر هذه الرؤيا في صدر القصّة كالمقدّمة والتّمهيد للقصّة المقصودة"[٢].

رابعا: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) تعتبر الرؤيا من أنواع الوحي[٣]، قالت عائشة أم المؤمنين-رضي الله عنها- أنها قالت: **(أول ما بدئ به رسول الله -ﷺ- من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح)**[٤].

قال ابن العربي: "ورؤيا الأنبياء وحي، حسبما بيناه في كتب الأصول وشرح الحديث؛ لأن الأنبياء ليس للشيطان عليهم في التخييل سبيل، ولا للاختلاط عليهم دليل؛ وإنما قلوبهم صافية، وأفكارهم صقيلة، فما ألقي إليهم، ونفث به الملك في روعهم، وضرب المثل له عليهم فهو حق"[٥].

وأخرج البخاري في صحيحه معلقا: قال عمرو سمعت عبيد بن عمير يقول: **(رؤيا الأنبياء وحي)**، ثم قرأ: **﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾** (الصافات:١٠٢)[٦].

وقال قتادة: "كان رسول الله -ﷺ- رأى في المنام أنه يدخل مكة على هذه الصفة، فلما صالح قريشا بالحديبية ارتاب المنافقون حتى قال رسول الله -ﷺ- إنه يدخل مكة، فأنزل الله تعالى**﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ﴾** [الفتح:٢٧]، فأعلمهم أنهم سيدخلون في غير ذلك العام، وأن رؤياه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حق"[٧].

---

[١]- تفسير المنار (٢٥٧/١٢-٢٥٨).

[٢]- التحرير والتنوير (٢٠٨/١٢).

[٣]- ومن أنواع الوحي (تكليم الله لرسله من وراء حجاب، والإلقاء في الروع، والوحي عن طريق الملك).

[٤]- صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله -ﷺ-، (٦/١)، (ح٣).

[٥]- أحكام القرآن ٤٨٥/٦.

[٦]- صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب التخفيف في الوضوء، (٢٣٨/١)، ح١٣٥.

[٧] تفسير القرطبي (٢٩٠/١٦).

المطلب الرابع
النبوة اصطفاء لا اختيار

قال تعالى: **﴿كَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾** {يوسف:٦}.

أولاً: المعاني اللغوية:

١) **﴿يَجْتَبِيكَ﴾** : الاجتباء: "الاصطفاء"[١]، وهو مشتق من: "جبيت الشيء إذا حصّلته لنفسك، ومنه: جبيت الماء في الحوض"[٢].

٢) **﴿ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾**: أي "تفسير الرؤيا، أي بيانه الذي هو غايته المقصودة منه"[٣].

ثانياً: المعنى الإجمالي للآيات:

"كما آنسَك الله بهذه الرؤيا المُفْرحة المُنْبِئة بأنه سيكون لك شأن كبير بالنسبة لإخوتك وبالنسبة لأبيك، فلسوف يجتبيك ربك؛ لا بأن يحفظك فقط؛ ولكن بأن يجعل كيدهم سبباً لصالحك، ويُعلِّمك من تأويل الأحاديث ما يجعل أصحابَ الجاهِ والنفوذ يلتفتون إليك، ومعنى تأويل الشيء أي معرفة ما يؤول إليه الشيء"[٤].

ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) إن النبوة تفضُّل واختيار من الله تعالى؛ كما قال تعالى: **﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾** [الأنعام: ١٢٤]، وقال تعالى: **﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾** [الحج: ٧٥]، وليست النبوة كسبا يناله العبد بالجد، والاجتهاد، وتكلف أنواع العبادات، واقتحام أشق الطاعات، والدأب في تهذيب النفس وتنقية الخاطر وتطهير الأخلاق ورياضة النفس؛ كما يقول الفلاسفة : إنه يجوز اكتساب النبوة؛ حيث يزعمون أن من لازم المشاهدة بعد

---

[١]- التوقيف على مهمات التعاريف (ص٣٥).

[٢]- تهذيب اللغة (ص٥٥).

[٣]- المفردات في غريب القرآن (ص٣١).

[٤]- تفسير الشعراوي (٤٣٦/١).

كمال ظاهره وباطنه بالتهذيب والرياضة؛ فإنها تنصقل مرآة باطنه، وتفتح له بصيرة لبه، ويتهيأ له ما لا يتهيأ لغيره[1]!!

٢) النبوة اصطفاء من الله حسب حكمته وعلمه بمن يصلح لها، وليست اكتسابا من قبل العبد. صحيح أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام اختصوا بفضائل يمتازون بها عن غيرهم، ولكن ليست على النحو الذي يقوله الفلاسفة الضلَّال، كما نص الامام الطحاوي "وإِنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ المصطَفى، ونبيُّه المجْتَبى، ورَسُولُهُ المُرْتَضَى، وإِنَّه خَاتمُ الأنبياءِ، وإِمَامُ الأتْقِيَاءِ، وسيِّدُ المرسَلينَ، وحَبيبُ ربِّ العالمين وكل دَعْوى النُّبوةِ بَعدَهُ فَغَيٌّ وَهَوى"[2].

٣) مع كون النبوة منحة إلهية، إلا أن الله لا يختار لها إلا رجالا خصهم وميزهم بخصائص ومميزات ليست موجودة في سائر البشر. "فالرسل أكمل البشر خلقا وخلقا، وأرجحهم عقلا، وأوفرهم ذكاء، وأرقهم قلبا. وهذا هو شأن الرسل أجمعين. والرسول -ﷺ- حينما اصطفاه الله لمهمة الرسالة الخاتمة، خصه بخصائص ليست موجودة في غيره، وهيأه تهيأة خاصة تتناسب مع هذه المهمة الجليلة"[3]. والاصطفاء هو الاختيار، ومحمد -ﷺ- اُصْطُفِيَ للرسالة، وهذا اللفظ مأخوذ من قوله تعالى: **﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾** {الحج:٧٥}. فكل مُرْسَلٍ مُصْطَفَى لأن الله اصطفاه يعني اختاره وقرَّبَهُ لمقام الرسالة ولمقام العبودية الخاصة.

---

[1]- العقيدة الاسلامية صالح الفوزان (ص٤٥).

٢- العقيدة الطحاوية (ص١٧).

[3]- محبة الرسول بين الاتباع والابتداع (ص١٠٢).

المبحث الثاني:

المقاصد والأهداف لسورة يوسف الآيات (٧-١٤)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحذر من الحسد.

المطلب الثاني: المؤامرة على قتل يوسف-عليه السلام- .

المطلب الثالث: حيل أخوة يوسف للتخلص منه.

المطلب الأول

الحذر من الحسد

قال تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ *إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾** {يوسف:٧-٨ }.

أولاً: المعاني اللغوية:

١) **﴿عُصْبَةٌ﴾**: "العصبة جماعة متعصبة متعاضدة"[١]، وهي "جماعة من العشرة إلى الأربعين"[٢]، وإنَّما سمِّيت عُصْبةً "لأنَّها قد عُصِبت، أي كأنَّها رُبِط بعضُها ببعض"[٣].

٢) **﴿ ضَلَالٍ﴾**: معنى الضلال "هو العدول عن الطريق المستقيم ويضاده الهداية"[٤]، أما في الآية الكريمة تعددت أقوال العلماء في معناه، منها:

أ- أن المراد به الذهاب عن علم حقيقة الأمر حيث آثر اثنين من أبنائه على عشرة مع أن العشرة أكثر نفعاً له.

ب- أن المراد به أنه في خطأ من رأيه.

ت- أن المراد به أنه في شقاء وهو عناء الدنيا"[٥].

والذي ترجح عند الإمام الشنقيطي: "الظاهر أن مراد أولاد يعقوب -عليه السلام- بهذا الضلال الذي وصفوا به أباهم -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام -في هذه الآية الكريمة إنما هو الذهاب عن علم حقيقة الأمر كما ينبغي، قال تعالى: **﴿وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى﴾** [الضحى:٧]، أي: لست عالماً بهذه العلوم التي لا تعرف إلا بالوحي، فهداك إليها وعلمكم بما أوحي إليك من هذا القرآن العظيم"[٦].

---

[١]- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد (ص٣٣٦).

[٢]- انظر: التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري (ص٢٤٠).

[٣]- معجم مقاييس اللغة أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٣٩/٤).

[٤]- انظر: غريب القرآن للأصفهاني (ص٢٩٨).

[٥]-انظر: زاد المسير لابن الجوزي (١٨٣/٤).

[٦]- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٠٣/٢).

ثانياً: القراءات القرآنية:

قرأ ابن كثير ﴿**ءاية لِلسَّائِلِينَ**﴾ "بحذف الألف بعد الياء على الافراد.

وقرأ الباقون ﴿**آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ**﴾ بالألف على الجمع"[1].

"فالقراءة بالإفراد أشارت إلى أن يوسف –عليه السلام– كله آية، والقراءة بالجمع أشارت إلى أن كل حال من أحوال يوسف عليه السلام عبرة وأية بحد ذاته"[2].

ثالثاً: الجوانب البلاغية:

١) قوله تعالى: ﴿**فِي يُوسُفَ**﴾: "في" تدل على الظرفية، ومعنى الظرفية أن هناك شيئاً يُظْرف فيه شيء آخر، فكأن يوسف صار ظَرْفاً ستدور حوله الأحداث بالأشخاص المشاركين فيها.

٢) قوله تعالى: ﴿**لَيُوسُفُ**﴾: حرف اللام الذي سبق اسم يوسف جاء للتوكيد، وكأنهم قالوا: والله إن أبانا يحب يوسف وأخاه أكثر من حُبِّه لنا. والتوكيد لا يأتي إلا بصدد إنكار"[3].

رابعاً: المعنى الإجمالي:

"لقد كان في قصة يوسف مع إخوته عبر وعظات عظيمة، ودلائل تدل على قدرة اللّه القاهرة، وحكمته الباهرة، وعلى ما للصبر وحسن الطوية من عواقب الخير والنصر، وعلى ما للحسد والبغي من شرور وخذلان"[4].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) إن ضعف الإنسان وعجزه، وقلقه ومخاوفه، وحرصه على حبّ الذات والظفر بأعظم المغانم وأكثرها، يجعله يقع في أحوال لا تتفق مع أصول الأخلاق، ولا تنسجم مع الطبائع السوية، وهكذا كانت "تصرفات إخوة يوسف معه مثلا غريبا في الكيد والحسد والتآمر الدنيء، فلم يتورعوا أن عرّضوا أخاهم للموت البطيء، أو القتل، فتآمروا على إلقائه في بئر، فإما أن يموت أو يلتقطه مسافر، فيجعله عبدا خادما لسيّده، وينتهي في كلا الحالين من وجوده. وهذا تصوير المؤامرة للتخلص من يوسف –عليه السلام–"[5].

---

[1]– النشر في القراءات العشر (٢/٢٩٣)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (ص١٦٠).

[2]– حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة (ص٣٥٥).

[3]– تفسير الشعراوي (١/٤٣٦٨).

[4]– التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (٧/٣٢٢).

[5]– التفسير الوسيط للزحيلي (٢/١٠٩٣).

٢) بيان خطر الحسد وحقيقته:

أ- جاء الحسد في القرآن الكريم على وجه الذم في مواضع كثيرة وشتى، ومن ذلك في قوله تعالى: **﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾** {الفلق: ٥}، وقد قال أحدهم "إنَّ الله جمع الشرور في هذه الآية وختمها بالحسد ليعلم أنه أخسّ الطبائع"[١].

ب- بين النبي -ﷺ- أن الناس لا يزال فيهم الخير والصلاح ما لم ينتشر بينهم الحسد والبغضاء عَنْ ضَمُرَةَ بن ثَعْلَبَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ -ﷺ-: **(لا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوا)**[٢] يقول ابن القيم: "فالحاسد عدو النعم وهذا الشر هو من نفس الحاسد وطبعها ليس هو شيئا اكتسبه من غيرها بل هو من خبثها وشرها"[٣].

ت- الحسد كما هو حقيقة شرعية فهو حقيقة علمية يقول الدكتور فيكتور يوشيه "إن الحسد والغيرة والحقد أقطاب ثلاثة لشيء واحد، وإنها لآفات تنتج سموماً تضر بالصحة وتقضي على جانب كبير من الطاقة والحيوية اللازمتين للتفكير والعمل"[٤].

٣) أسباب الحسد:

أ- **الكبر:** إن من أعظم هذه الاسباب الحسد فانه داء كامن في النفس ويرى الحاسد المحسود قد فضل عليه وأوتي ما لم يؤت نظيره فلا يدعه الحسد أن ينقاد له ويكون من أتباعه[٥]، وأول من وقع فيه ذلك إبليس عليه لعنة الله، فقد حسد آدم -عليه السلام- لأنه كُلف بالخلافة من الله ﷻ، فرفض السجود لآدم كما سجدت الملائكة، فكانت النتيجة المترتبة على ذلك الطرد من رحمة الله تعالى، فقال تعالى: **﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾** {الأعراف: ١٢}.

ب- **عدم الرضا والقناعة بما قسمه الله تعالى على العباد:** "الحسود عدو النعمة متمن زوالها عن المحسود كما زالت عنه هو"[٦]، غضبان على الفور، وقال عبد الله بن مسعود: "لا تعادوا نعم الله. قيل له: ومن يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله"[٧].

ت- **الخوف من فوز الأخرين:** ومن ذلك حسد أخوة يوسف له لفوزه بقلب أبيهم قال تعالى: **﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾** {يوسف: ٨-٩}.

---

[١]- الكشف والبيان، للثعلبي (٣٤٠/١٠).

[٢]- أخرجه الطبراني (٨/ ٣٠٩، ح ٨١٥٧) وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٢/٩).

[٣]- بدائع الفوائد، لابن القيم (٤٥٨/٢).

[٤]- القرآن والعلم، د. عبدالرازق نوفل (٢٨).

[٥]- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم (١٦/١).

[٦]- الروح، لابن القيم (٢٥٢).

[٧]- تفسير القرطبي (٢٥١/١).

ث- **نفوس مريضة بسبب خبثها:** كره الله -ﷻ- طاعات أُناس طاعاتهم لخبث قلوبهم وفساد نياتهم فثبطهم عنها وأقعدهم وأبغض قربهم منه[1]، قال تعالى: **﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ {التوبة/ ٤٥}**، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ قَالَ: **(كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ قَالُوا صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ قَالَ هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ)**[2].

ج- **العداوة والبغضاء:** إن الحسد من أعظم الأمراض الفتاكة بالمجتمع، فهو يجبر صاحبه على أصعب الأمور، ويبعده عن التقوى، فيضيق صدر الحسود، ويتقطر قلبه إذا رأى نعمة الله على أخيه المسلم، "ولقد كثر الحسد بين الأقران والإخوان والجيران، وكان من آثار ذلك التقاطع والتهاجر، والبغضاء والعداوة"[3]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: **(إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّهُ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَنَافَسُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمْ اللَّهُ)**[4].

ح- **الشح والبخل:** يقول ابن تيمية: " والشح مرض والبخل مرض والحسد شر من البخل"[5]، وذلك أن البخيل يمنع نفسه والحسود يكره نعمة الله على عباده.

٤) علاجه:

إن من المعلوم أن الوقاية خير من العلاج، بل هي العلاج، قال ابن القيّم رحمه اللّه: "ويندفع شرّ الحاسد عن المحسود بتسع أسباب:

أ- التعوّذ باللّه من شرّه، والتحصّن به واللجوء إليه.

ب- تقوى اللّه، وحفظه عند أمره ونهيه. فمن اتّقى اللّه تولّى اللّه حفظه، ولم يكله إلى غيره.

ت- التوكّل على اللّه. فمن توكّل على اللّه فهو حسبه، والتوكّل من أقوى الأسباب الّتي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم.

ث- فراغ القلب من الاشتغال به والفكر فيه، وأن يقصد أن يمحوه من باله كلّما خطر له. فلا يلتفت إليه، ولا يخافه، ولا يملأ قلبه بالفكر فيه.

---

[1]- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم (٣٥٥/١).

[2]- مشكاة المصابيح للتبريزي (ح٥٢٢١)، قال عنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٦٦٩، ح٩٤٨).

[3]- فتاوى الشيخ ابن جبرين (٦٩/٢).

٤- رواه البخاري، كتاب النكاح، بَاب لَا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَنْكِحَ أَوْ يَدَعَ (ح٤٧٤٧)، (١١٠/١٦)، مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها (ح٤٦٤٦)، (٤٢١/١٢).

٥- مجموع الفتاوي ابن تيمية (١٢٨/١٠).

ج- الإقبال على اللّه، والإخلاص له وجعل محبّته ورضاه والإنابة إليه في محلّ خواطر نفسه وأمانيّها.

ح- تجريد التوبة إلى اللّه من الذنوب الّتي سلّطت عليه أعداءه. فإنّ اللّه تعالى يقول: ﴿**وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**﴾ {الشورى: ٣٠}.

خ- الصدقة والإحسان ما أمكنه، فإنّ لذلك تأثيرا عجيبا في دفع البلاء، ودفع العين، وشرّ الحاسد ولو لم يكن في هذا إلّا بتجارب الأمم قديما وحديثا لكفي به.

د- وهو من أصعب الأسباب على النفس، وأشقّها عليها، ولا يوفّق له إلّا من عظم حظّه من اللّه، وهو إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه. ﴿**وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ {فصلت: ٣٤}.

ذ- وهو الجامع لذلك كلّه، وعليه مدار هذه الأسباب، وهو تجريد التوحيد، والترحّل بالفكر في الأسباب إلى المسبّب العزيز الحكيم.[1]

وفي هذا الموطن يستذكر الإنسان هذه الغيرة، والتي مكنت النفس الأمارة بالسوء إلى الكيد والقتل، كما حدث مع ابني آدم وليس مجرد الإيذاء، قال تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبا قُرْباناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قالَ إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ (المائدة: ٢٧)، وكذلك حسد اليهود للنبي -ﷺ- بالنبوة، والحسد نفسه قد أوصلهم إلى أن يسعوا إلى قتل أخيهم (اقتلوا يوسف) -عليه السلام-.

ولمّا حسدوا يوسف على تقديم أبيهم له لم يرض -سبحانه- حتى أقامهم بين يدي يوسف -عليه السلام-، وخرّوا له سجّدا ليعلموا "أنّ الحسود لا يسود، ويقال أطول الناس حزنا من لاقّى الناس عن مرارة، وأراد تأخير من قدّمه اللّه أو تقديم من أخّره اللّه فإخوة يوسف -عليه السلام- أرادوا أن يجعلوه في أسفل الجبّ فرفعه اللّه فوق السرير"[2]

---

[1]- بتصرف يسير: بدائع الفوائد لابن القيم (٤٦٣/٢).

[2]- لطائف الإشارات (١٧٠/٢).

المطلب الثاني

المؤامرة على قتل يوسف -عليه السلام-

قال تعالى: **﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ {يوسف: ٩-١٠}.**

أولاً: المعاني اللغوية:

١) **﴿اطْرَحُوهُ﴾:** "الطرح إلقاء الشيء وإبعاده والطروح المكان البعيد ، ورأيته من طرح أي بعد ، والطرح المطروح لقلة الاعتداد به"[١].

٢) **﴿غَيَابَتِ﴾:** "الغيابة ما غيب عنك شيئاً"[٢]، "وغيابة كل شيء ما سترك منه، ومنه غيابة الجُب"[٣]،قال ابن منظور: "ووَقَعُوا فِي غَيابةٍ مِنَ الأَرض أَي فِي مُنْهَبِط مِنْهَا. وغَيابةُ كلِّ شَيْءٍ: قَعْرُه، مِنْهُ، كالجُبِّ وَالْوَادِي وَغَيْرِهِمَا؛ تَقُولُ: وَقَعْنا فِي غَيْبةٍ وغَيابةٍ أَي هَبْطة مِنَ الأَرض"[٤].

٣) **﴿الْجُبِّ﴾:** "أي بئر لم تطو وتسميته بذلك إما لكونه محفورا في جبوب أي في أرض غليظة وإما لأنه قد جب والجب قطع الشيء من أصله كجب النخل"[٥].

٤) **﴿ يَلْتَقِطْهُ﴾** : أي: "يأخذه على غير طلب له، ولا قصد"[٦].

ثانياً: القراءات القرآنية:

قرأ نافع وأبو جعفر﴿ غيابات﴾ بألف بعد الباء الموحدة على الجمع.

قرأ الباقون **﴿غيابت﴾** بغير ألف بعد الباء الموحدة على الافراد[٧].

توجيه القراءة: تبين الآية أن يوسف -عليه السلام- أُلقي في قعر البئر وهذا ما أفادته القراءة بالإفراد نصاً وأفادته القراءة بالجمع عقلاً، وهذا يبين شدة الموقف الذي وضع يوسف منذ صغره.

---

[١]- المفردات في غريب القرآن(ص ١٣٨).

[٢]- تحفة الأريب (ص٢٣٦)، التبيان في تفسير غريب القرآن (ص٢٤٠).

[٣]- القاموس المحيط (ص١٥٦).

[٤]- لسان العرب لابن منظور (٦٥٥/١).

[٥]- المفردات في غريب القرآن (ص٨٥).

[٦]- غريب القرآن(ص٥١١).

[٧]- انظر: النشر في القراءات العشر (٢٩٣/٢)، البدور الزاهرة (ص١٦١).

ثالثاً: الجوانب البلاغية:

عطف ﴿**وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ**﴾ أي: من بعد يوسف–عليه السلام– على ﴿يَخْلُ﴾ ليكون من جملة الجواب للأمر. فالمراد كونٌ ناشئ عن فعل المأمور به فتعيّن أن يكون المراد من الصلاح فيه الصلاح الدنيوي، أيْ: صلاح الأحوال في عيشهم مع أبيهم، وليس المراد الصلاح الديني[1].

رابعاً: المعنى الإجمالي:

قال أخوة يوسف "اقتلوا يوسف أو ألقوا به في أرض مجهولة بعيدة عن العُمران يخلُص لكم حب أبيكم وإقباله عليكم، ولا يلتفت عنكم إلى غيركم، وتكونوا مِنْ بعد قَتْل يوسف أو إبعاده تائبين إلى الله، مستغفرين له من بعد ذنبكم، وترجح القول بينهم بأن يلقوه في جوف البئر يلتقطه بعض المارَّة من المسافرين فتستريحوا منه، ولا حاجة إلى قتله، إن كنتم عازمين على فعل ما تقولون"[2].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

إن حسد أخوة يوسف –عليه السلام– قد بلغ النهاية وأرادوا الثأر منه فقرر أكثرهم بقلوب قاسية، وضمائر ميتة على أن يقتلوا أخاهم، فبدأوا بالاقتراحات للتخلص منه الى النهاية فقاموا بالتالي من مقترحات واحتدم الصراع بالمؤامرة على قتل يوسف على النحو التالي:

١) **القتل وازهاق روحه:** وهذا هو الموقف الغريب، والذي يدل على أن البغض المتولد عن الحسد قد بلغ ذروته، ومع بلوغ الكراهية فكان يوسف –عليه السلام– الضحية وهنا "يغلي الحقد ويدخل الشيطان، فيختل تقديرهم للوقائع، وتتضخم في حسهم أشياء صغيرة، وتهون أحداث ضخام، تهون الفعلة الشنعاء المتمثلة في إزهاق روح، روح غلام بريء لا يملك دفعًا عن نفسه، وهو لهم أخ، وهم أبناء نبي –وإن لم يكونوا هم أنبياء– يهون هذا، وتضخم في أعينهم حكاية إيثار أبيهم له بالحب، حتى توازي القتل، أكبر جرائم الأرض قاطبة بعد الشرك باللّه"[3].

٢) **الموت البطيء:** وهذا قولهم **(اطرحوه أرضا)** أي إلى أرض تبعد عن أبيه وقصدوا بذلك، "فإذا لم يكن القتل فليكن النفي، والنفي أخو القتل فكلاهما يخلي وجه الأب بالإخوة العُصْبَة"[4].

---

[1]– التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٢٤/١٢).

[2]– التفسير الميسر، مجموعة من العلماء (ص١١٠).

[3]– في ظلال القران (٤/ ١٩٧٣).

[4]– البداية والنهاية ٢٣٠/١.

٣) **القاؤه في البئر**: منعتهم شفقة النّسب وحرمة القرابة من الإقدام على قتله فقال أحدهم "لا تقتلوه وغيّبوا شخصه، ويقال إنما حملهم على إلقائه مرادهم أن يخلو لهم وجه أبيهم، فلمّا أرادوا حصول مرادهم في تغييبه لم يبالغوا في تعذيبه"[١]، و**(أرضا)**: اسم مكان، "فلما كان غير محدود وزاد ابهاما بالتنكير. وقصدوا أرضا مجهولة لأبيهم حتى يفوزوا بحب أبيهم لهم بعد فقدانه"[٢].

يقول سيد قطب: "هكذا ينزغ الشيطان، وهكذا يسول للنفوس عند ما تغضب وتفقد زمامها، وتفقد صحة تقديرها للأشياء والأحداث. وهكذا لما غلا في صدورهم الحقد برز الشيطان ليقول لهم: اقتلوا. والتوبة بعد ذلك تصلح ما فات! وليست التوبة هكذا. إنما تكون التوبة من الخطيئة التي يندفع إليها المرء غافلاً جاهلاً غير ذاكر حتى إذا تذكر ندم، وجاشت نفسه بالتوبة. أما التوبة الجاهزة! التوبة التي تعد سلفا قبل ارتكاب الجريمة لإزالة معالم الجريمة، فليست بالتوبة، إنما هي تبرير لارتكاب الجريمة يزينه الشيطان!"[٣].

---

[١]- لطائف الإشارات (١٧١/٢).

[٢]- التحرير والتنوير (٢٣٧/٧).

[٣]- في ظلال القران (٤/ ١٩٧٣).

المطلب الثالث

حيل أخوة يوسف في التخلص منه

قال تعالى: **﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ *أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ* قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾** {يوسف: ١١-١٤ }.

أولاً: المعاني اللغوية:

١) **﴿تَأْمَنَّا﴾**: أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر، ويجعل الأمان تارة اسما للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسما لما يؤمن عليه الإنسان. وآمن إنما يقال على وجهين: أحدهما "متعديا بنفسه يقال آمنته أي جعلت له الأمن ومنه قيل لله مؤمن، والثاني: غير متعد ومعناه صار ذا أمن"[١].

٢) **﴿يَرْتَعْ﴾**: الراء والتاء والعين كلمةٌ واحدة؛ وهي تدلُّ على الاتِّساع في المأكل. تقول: رَتَعَ يَرْتَع[٢]، قال الراغب " الرتع أصله أكل البهائم، قال تعالى: **{يرتع ويلعب}** ويستعار للإنسان إذا أريد به الأكل الكثير"[٣].

٣) **﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾** اللام في قوله: (لئن) موطئة للقسم، وجواب القسم قوله: **﴿إِنَّآ إِذاً لَّخَاسِرُونَ﴾**[٤] أي والله لئن أكله الذئب ونحن جماعة أقوياء أشداء، إنا لمستحقون أن يُدعى علينا بالخسارة والدمار.

ثانياً: المعنى الإجمالي:

لما أحكموا العزم ذكروا هذا الكلام، وأظهروا عند أبيهم أنهم في غاية المحبة ليوسف، وفي غاية الشفقة عليه، ليستزلوه عن رأيه، في تخوفه منهم، وكأنهم قالوا: لِمَ تخافنا عليه؟ ونحن نحبه ونريد الخير به!. فأرسله معنا غداً إلى البادية، يتسع في أكل ما لذ وطاب، ويلهو ويلعب بالاستباق وغيره، "ونحن نحفظه من كل سوء ومكروه، أكدوا كلامهم ب (إن) و(اللام) وهم

---

[١]- المفردات في غريب القرآن (ص٢٦).

[٢]- معجم مقاييس اللغة (٤٦٨/٣).

[٣]- المفردات في غريب القرآن (ص١٨٦).

[٤]- التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٣٢٧/٧).

كاذبون"[1].

قال إخوة يوسف-عليه السلام- "إن استطاع الذئب أن يأكل أخانا ونحن جماعة كثيرة جديرة بأن تعصب بنا الأمور العظام وتكفي الخطوب بآرائنا وتدبيراتنا، إنا إذا لهالكون ضعفاً وخوراً وعجزاً ومستحقون للهلاك والخسران إن لم نقدر أن نحفظه، وهو أعز شيئاً عندنا"[2].

ثالثا: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) لقد اتفق أخوة يوسف على المؤامرة مسبقا، وجاء الآن دور تدبير الحيلة لتنفيذ الخطط للاستفراد به فدخلوا على أبيهم يعقوب -عليه السلام- مدخلًا غريبًا، ظاهره المحبة والود والأخوة وباطنه الخبث والمكر والخديعة، فيقول سيد قطب عن هذه المؤامرة، " فقد استقر أمرهم جميعاً على أن يجعلوه في غيابة الجب، حيث يغيب فيه عنهم. وفي لحظة الضيق والشدة التي كان يواجه فيها هذا الفزع، والموت منه قريب، ولا منقذ له ولا مغيث. وهو وحده صغير وهم عشرة أشداء. في هذه اللحظة اليائسة يلقي الله في روعة أنه ناج، وأنه سيعيش حتى يواجه إخوته بهذا الموقف الشنيع، وهم لا يشعرون بأن الذي يواجههم هو يوسف الذي تركوه في غيابة الجب وهو صغير"[3].

وكانت الحيل كالأتي:

أ- **حيلة الأمانة على أخيهم:** إن وصف الشخص بعدم الأمانة دليل على تهمته ولذلك أرادوا بهذه الحيلة إحراج أبيهم وأنهم أرادوا له الأمن والأمان لأخيهم فانه منهم وهو منهم، فقد "فوجئ أبوهم بهذا السؤال المغلف بالاستنكار والعتاب وادعائهم النصح لأخيهم يوسف"[4]، ولقد بدأوا بالهجوم إذ "هو آخر وسيلة للدفاع وحتى يضعوا أباهم في موضوع لا خيار فيه وإلا يكون مميزًا بينهم"[5]، ولكن الله علم ما فيهم من مكر وخيانة لذلك أرادوا وصفهم أنهم أمناء وناصحون له.

ب- **حيلة النصح لأخيهم:** إن النصيحة لمن أعظم الأمور التي توحي باهتمام الشخص بغيره فكيف بمن أظهر ذلك وأبطن عكس ذلك كما صدق إبليس ظنه على إخوة يوسف قال تعالى: **﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾** {الأعراف: ٢١}.

---

[1]- صفوة التفاسير (ص٤٩).

[2]- التحرير والتنوير ،لابن عاشور (٢٣٤/١٢).

[3]- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، (٢٩٦/٤).

[4]- الوحي والنبوة والعلم في سورة يوسف (٣٠).

[5]- سورة يوسف دراسة تحليلية (٣٠٦).

ت- **حيلة الترويح عن النفس:** وهنا أجمع الأخوة جميعًا على أنهم يقوموا بتحقيق المصلحة، "وعللوا طلبه والخروج به بما يمكن أن يستهوي يوسف لصباه من الرتوع واللعب والنشاط"[1]، "وهذه سياسة جس النبض، إذا أرادوا بذلك لما عزموا على الكيد بيوسف استنزاله عن رأيه في حفظه منهم"[2].

ث- **أنهم عصبة لحمايته وحفظه:** لقد أوعز إخوة يوسف العشرة الذين هم في حقيقة ما قالوه لأبيهم أنهم عصبة أي: "جماعة قوية بمثلهم تعصب الأمور وتكفي الخطوب"[3]، وحكموا على أنفسهم بالخسران وفيما يبدوا للناظر بهذا الجواب منهم أن فيه ردا على ما قاله أبوهم يعقوب -عليه السلام- أنه لا يقدر على فراقه وخوفه عليه من الذئاب فأجابوه بجوابين:

- **الجواب الأول:** حيث انتهى أبوهم **(إن أكله الذئب)** فيه جواب عن الشق الثاني من المعذرة التي اعتذر بها أبوهم لهم، وقال **(أخاف أن يأكله الذئب)**.
- **الجواب الثاني: (يحزنني أن تذهبوا به)** ثقل على طبعهم سماعه فذاقوا به ذرعا ومروا عنه مرور الكرام وجعلوه دبر آذانهم، ولماذا؟ لأنهم سبب حسدهم له، ولم يعبئوا به بل سكتوا عنه كأنهم لم يسمعوه "[4].

وهنا اختفت القرائن المريبة من المكر والخديعة "القولية والفعلية لأخيهم القولية **(ناصحون)**، والفعلية **(حافظون)**[5]، ولكن الله خير حافظاً، ومع ذلك توقع المحذور بقول يعقوب -عليه السلام- **(ليحزنني[6])** يزيد المؤتمن حرصا على الأمانة ثم قال لهم وأنتم غافلون، وهنا أعرب نبي الله يعقوب -عليه السلام- فيه التماس العذر قبل وقوع المحذور **(وأنتم عنه غافلون)**.

---

[1]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/٢٢٣).

[2]- مؤتمر سورة يوسف (١/٣١٥).

[3]- الكشاف (٢/ ٤٤٩).

[4]- مؤتمر سورة يوسف (١/ ٣٤٣).

[5]- (والنصح إخلاص العمل من فساد يتعمد وضده الغش) إتحاف الإلف بذكر الفوائد الألف والنيف من سورة يوسف (١/١٣٨).

[6]- (فائدة: لا ينبغي لأحد أن يذكر مخاوفه عند من لا يثق به لئلا يستغلها ضده ، وينفذ اذاه من خلالها) عبر ودلالات من سورة يوسف دكتور عبد الله بصفر (ص ١٦).

٢) الخطوات في تنفيذ الجريمة:

أ- التمسكن للأب وإظهار الحب ليوسف -عليه السلام-: **﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾** [يوسف: ١١].

ب- الإغراء بالأكل واللعب (احتياجات الطفل الأساسية): **﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾** [يوسف: ١٢].

ت- والتعهد بالمحافظة عليه: **﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** [يوسف: ١٢][١].

وهنا ينتهي المطاف لتحقيق المراد ووصلوا بكلامهم على حقيقة دامغة، كلمة حق أريد بها باطل، فكلمة الحق عندهم حفظهم ونصحهم وأمانتهم على أخيهم، والباطل مكرهم وكيدهم ومؤامرتهم لقتل اخيهم حسدًا من عند أنفسهم ولقد لحق ما وصفوه به أنفسهم من الخسران حيث قالوا **(إنا إذا لخاسرون)** لأن "من باع أخا مثل يوسف -عليه السلام- بمثل ذلك الثمن، حقيق بأن يقال قد خسرت الصفقة"[٢].

---

[١]- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة http://m.quran-m.com/index.php/التشريعي-و-العلوم-الانسانية/١٧٤٥-٢٠١١-٠٦-٢٥-١٥-٣٧-٥٥.html

[٢]- لطائف الإشارات(١٧٣/٢).

المبحث الثالث:

المقاصد والأهداف لسورة يوسف الآيات (١٥-٢٤).

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حجج الكاذبين ناقصة ومتناقضة.

المطلب الثاني: خلاص يوسف -عليه السلام- من محنة الجب.

المطلب الثالث: مراودة امرأة العزيز ليوسف -عليه السلام- وقضية الهم.

المطلب الأول
حجج الكاذبين ناقصة ومتناقضة

قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ * قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ * وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾ {يوسف:١٥-١٨}.

أولا: المعاني اللغوية:

١) ﴿**عِشَاءً**﴾: "وقت غيبوبة الشفق الباقي من بقايا شعاع الشمس بعد غروبها"[١].

٢) ﴿**نَسْتَبِقُ**﴾: أصل السبق التقدم في السير: ﴿**فالسابقات سبقا**﴾ [النازعات:٤] والاستباق التسابق[٢]

٣) ﴿**سَوَّلَتْ**﴾: "السين والواو واللام أصلٌ يدلُّ على استرخاءٍ في شيء"[٣]، "سَوَّلَتْ له نفسه أمرا زينته له"[٤].

ثانياً: الجوانب البلاغية:

١) ﴿**يَبْكُونَ**﴾: "خروج الدموع من العينين عند الحزن والأسف والقهر، وقد أطلق هنا على البكاء المصطنع وهو التباكي، وإنما اصطنعوا البكاء تمويهاً على أبيهم لئلا يظن بهم أنهم اغتالوا يوسف -عليه السلام-"[٥]، "وهذا يدل على أن بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله؛ لاحتمال أن يكون تصنعا، ومن الخلق من يقدر على ذلك، ومنهم من لا يقدر[٦].

٢) **التعبير بكلمة ﴿نَسْتَبِقُ﴾**: "تعبر عن بيان تفوق ذات على ذات في حركة ما؛ لنرى من سيسبق الآخر؛ فحين يتسابق اثنان في الجري نرى من فيهما سبق الآخر؛ وهذا هو الاستباق"[٧].

---

[١]- التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣٦/١٢).

[٢]- انظر: غريب القرآن للأصفهاني (٢٢٢/١)، لسان العرب لابن منظور (٣٤٥/٤).

[٣]- معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١١٨/٣).

[٤]- مختار الصحاح (٣٢٦/١).

[٥]- التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣٦/١٢).

[٦]- الجامع لأحكام القرآن (١٤٥/٩)

[٧]- تفسير الشعراوي(٤٣٧٩/١).

٣) ﴿**وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ**﴾ المراد من هذه الجملة الفذة في بلاغتها، أنهم جاءوا بقميصه ملطخا ظاهره بدم غير دم يوسف، يدعون أنه دمه ليشهد لهم بصدقهم فكان دليلا على كذبهم، فنكر الدم ووصفه باسم الكذب مبالغة في ظهور كذبهم في دعوى أنه دمه حتى كأنه هو الكذب بعينه، فالعرب تضع المصدر موضع الصفة للمبالغة كما يقولون: شاهد عدل[١].

وهل كان يمكن أن يوصف الدم بأنه صادق؟ قال الامام الشعراوي "نقول: نعم، لو كان الذئب قد أكل يوسف بالفعل؛ وتلوث قميص يوسف بدم يوسف وتمزق. ولكن ذلك لم يحدث، بل إن الكذب يكاد يصرخ في تلك الواقعة ويقول " أنا كذب ". فلو كان قد أكله الذئب فعلا؛ كان الدم قد نشع من داخل القميص لخارجه؛ ولكنهم جاءوا بدم الشاة ولطخوا به القميص من الخارج"[٢].

٤) ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**﴾ **يدل على أنَّ الصّبر قسمان:**

أحدهما: جميلٌ، والآخر: غيرُ جميلٍ.

-**فالصَّبرُ الجميلُ** هو: أن يعرف أنَّ مُنزِّلَ ذلك البلاء هو الله تعالى ثمَّ يعلم أنَّهُ سبحانه مالكُ المُلكِ، ولا اعتراض على المالكِ في أنْ يتصرَّف في ملكه، فيصيرُ استغراق قلبه في هذا المقام مانعاً من الشّكايةِ.

-وأمَّا **الصَّبرُ غير الجميل:** فهو الصَّبرُ لسائر الأغراض، لا لأجل الرِّضا بقضاءِ الله سبحانه وتعالى والضَّابطُ في جميع الأقوال والأفعال والاعتقادات:" أنه لكما كان لطلب عبودية الله تعالى كان حسناً وإلا فلا"[٣].

٥) **التعبير عما أصاب يوسف** -عليه السلام- **بـ {ما تصفون}** في غاية البلاغة "لأنه كان واثقا بأنهم كاذبون في الصفة وواثقًا بأنهم ألحقوا بيوسف-عليه السلام- ضرا فلما لم يتعين عنده المصاب أجمل التعبير عنه إجمالا موجها لأنهم يحسبون أن ما يصفونه هو موته بأكل الذئب إياه ويعقوب -عليه السلام- يريد أن ما يصفونه هو المصاب الواقع الذي وصفوه وصفا كاذبا"[٤].

---

[١]- تفسير المنار (٢٢٠/١٢).

[٢]- تفسير الشعراوي (٤٣٨٠/١).

[٣]- اللباب في علوم الكتاب (٤٦/١١).

[٤]- التحرير والتنوير (٢٤٠/١٢).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

"لما طرحوا يوسف –عليه السلام– في الجب رجعوا إلى أبيهم، جاء دور الاعتذار بالأعذار الكاذبة لأبيهم يعقوب–عليه السلام–، فحينما رجعوا إليه "في آخر اليوم وقت العشاء في ظلمة الليل، أخذوا يتباكون ويظهرون الأسف والجزع على يوسف –عليه السلام–، وقالوا معتذرين عما زعموا: إنا ذهبنا نتسابق ونترامى بالنبال، وتركنا يوسف عند ثيابنا وأمتعتنا، حارسا لها، فأكله الذئب، وهذا الذي كان قد جزع منه وحذر عليه، ونحن نعلم أنك لا تصدقنا"[1].

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

إن إخوة يوسف –عليه السلام– قاموا بتنفيذ جريمتهم وجعلوا أخاهم الصغير في الجب وتركوه فيه وحيدا واستعدوا أشد الاستعداد لمجابهه أبيهم بحجج كاذبة ومتناقضة، اتفق إخوة يوسف –عليه السلام– على التخلص منه، وبيّتوا عذراً يحملونه إلى أبيهم بعد أن يتم لهم ما خططوا له، ولم يعد أمامهم إلا إقناع أبيهم بأخذ يوسف –عليه السلام– معهم، وذلك حتى يدللوا على جرمهم بان أخفوا الحقيقة الكامنة في صدورهم وبحثوا عن حجج واهية هي أوهى من بيت العنكبوت، والتي أظهرها الله في كتابه ومنها:

١) **الحجة الاولى البكاء:** تفاجأ يعقوب –عليه السلام– بالصوت المقترب منه ببكاء شديد وأصوات عالية تقترب منه شيئا فشيئا، فإذا به يرى أبناءه العشرة قد دخلوا عليه بمسرحية رهيبة وبكاء وعويل، فقال تعالى: **(يبكون)**، "وتعبير القرآن بصيغة المضارع يبكون يفيد على استمرارهم بالبكاء وهذا في قمة الخداع، "وقد أطلق هنا على البكاء المصطنع وهو التباكي. وإنما اصطنعوا البكاء تمويها على أبيهم لئلا يظن بهم أنهم اغتالوا يوسف–عليه السلام–، ولعلهم كانت لهم مقدرة على البكاء مع عدم وجدان موجبه، وفي الناس عجائب من التمويه والكيد. ومن الناس من تتأثر أعصابهم بتخيل الشيء ومحاكاته فيعتريهم ما يعتري الناس بالحقيقة"[2].

ويبدو أن الإنسان "إذا تباكى[3] انتهى تباكيه المصطنع ببكاء حقيقي وبيان أن الافكار والخواطر التي تمر بأذهاننا يتأثر بها جسمنا كما بالعكس أن عقلنا يتأثر من جسمنا فكل

---

[1]– التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (٢٢٢/١٢).

[2]– التحرير والتنوير (٢٣٦/١٢).

[3]– قال القرطبي: قال علماؤنا: هذه الآية دليل على أن بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله، لاحتمال أن يكون تصنعا؛ فمن الخلق من يقدر على ذلك، ومنهم من لا يقدر. وقد قيل: إن الدمع المصنوع لا يخفى؛ كما قال حكيم: إذا اشتبكت دموع في خدود ... تبين من بكى ممن تباكى"، أحكام القران (١٤٥/٩).

عواطفنا تؤثر في جسمنا وقد يمكننا استخدام العاطفة بتحريك العضو الخاص بها فإذا تضاحكنا مثلا وليس هناك ما يضحكنا فان التضاحك يحدث سرورا عندنا وينتهي بنا الى الضحك الحقيقي"[1]، فتحول بكاؤهم المصطنع الى بكاء حقيقي.

٢) **الحجة الثانية عشاء:** حبك أخوة يوسف –عليه السلام– القصة جيدا بعد بكائهم المرير، جاؤوا لأبيهم **(عشاء)** "وتلك أول أمارة من أمارات الكذب الذي جاءوا به"[2]، والعشاء المذكور هنا أي آخر النهار،" جاءوه في وقت العشاء إذ خالط سواد الليل بقية بياض النهار فمحاه، حال كونهم يبكون ليقنعوه بما يبغون"[3]، "ملفقين في ظلام الليل خوفا من أن يفضحهم ضوء النهار ويمزق هذا القناع الزائف" [4]، وهكذا تمت التمثيلية.

٣) **إظهار المسكنة والحرص على أخيهم:** أظهر أخوة يوسف أمام أبيهم –عليه السلام– حرصهم على يوسف –عليه السلام– وأنهم لم يقصروا في المحافظة عليه بل ومراقبتهم له وتركوه في مأمن بحيث لا يكاد يوضع المتاع _وهو المأكل والمشرب _ إلا في مكان ءامن فتركوا يوسف –عليه السلام– عند المتاع ثم ذهبوا للتسابق والمنافسة واللعب الحلال الذي ليس فيهم إثم ولا وزر.

ولكن كانت الفاجعة "أكله الذئب" تلك الحجة التي حذر منها يعقوب –عليه السلام– أولاده، وذلك تفرسا منه –عليه السلام– على ابنه يوسف –عليه السلام–، لذلك كيف يتسابقون جميعا وهم عشرة ولم يتركوا واحدًا منهم مع أخيهم الصغير وقد تعهدوا على حفظه وصيانته فقد حكموا على أنفسهم بالخسران كما قال تعالى على لسانهم: **﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَّخَاسِرُونَ﴾** والبراهين على حججهم القولية، وامتدت للحجة العقلية وذلك بقولهم: **﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾**.

٤) **الحجة الرابعة: قميص يوسف –عليه السلام– ملطخ بدماء الذئب؟** أحكم أخوة يوسف –عليه السلام– الحجة التي جاؤوا بها لأبيهم ظانين أنهم كذلك ولكن دائما وأبدا حجج الكذابين متناقضة بل ناقصة وقد قيل: (إذا الكذب ينجي فالصدق أنجى) جاؤوا بدم كذب على قميص يوسف –عليه السلام– "وصفه بالمصدر على تقدير ذي كذب أو مكذوب أطلق على المصدر مبالغة؛ لأنه غير مطابق للواقع؛

---

[1]– مؤتمر سورة يوسف (١/٣٨٦-٣٨٧).

[2]– التفسير القرآني للقرآن (٦/١٢٤٥).

[3]– تفسير المنار (١٢/٢٢٠).

[4]– التفسير القرآني للقرآن (٦/١٢٤٥).

لأنهم ادّعوا أنه دم يوسف –عليه السلام–"[1]، "وقوله –سبحانه– عَلى قَمِيصِهِ للإشعار بأنه دم موضوع على ظاهر القميص وضعا متكلفا مصطنعا، ولو كان من أثر افتراس الذئب لصاحبه، لظهر التمزق والتخريق في القميص، ولتغلغل الدم في قطعة منه"[2].

والسؤال من أين جاؤوا بالدم قيل: "أنه من سخلة"[3] أو "جدي ذبحوه"، وقال قتادة: "كان دم ظبية لذلك جاءوا بالقميص"[4] "وليس مخدوشا قيد أنملة، فأرادوا القميص حجة لهم فكان حجة عليهم لا توجد جريمة كاملة "[5].

وهنا كان رد الوالد المفجوع الذي علم علم اليقين بأن المحنة قد بدأت مع يوسف –عليه السلام–، والصبر والاستعانة واجبة في حقه لأنها مصيبة ما بعدها مصيبة، فقد الولد وتامر الأخوة على أخيهم وعقوق الأبناء كلها جاءت بأحداث متسلسلة اجتمعت محنا فصرح لهم بجميل العبارة أنه: **(سولت لكم أنفسكم)** أي رتبت وسهلت لكم. فلم يتهمهم "بالكذب ولا بارتكاب الجريمة بل أخبرهم أن أنفسهم سولت لهم أمرا يخلصهم من يوسف –عليه السلام–"[6].

١- الكشاف (٧٧/٢)، تفسير النسفى (١٨٠/٢).

٢- التفسير الوسيط (٣٣٠/٧).

٣- السخلة: الذكر والأنثى من ولد الضأن والمعز ساعة يولد سخل.

٤- ذكر القميص في القران في ثلاثة مواطن وهي في سورة يوسف –عليه السلام– (حين جاؤوا عليه بدم كذب، وحين قد قميصه من دبر، وحين ألقي على وجه أبيه فارتد بصيرا.) تفسير ابن أبى حاتم (٢١٢٩/٧).

٥- يوسف بن يعقوب (ص٦٠).

٦- مؤتمر سورة يوسف (ص٤٢٥).

المطلب الثاني

خلاص يوسف -عليه السلام- من محنة الجب

قال تعالى: ﴿**وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ*وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ *وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ {يوسف:١٩-٢٢}.

أولا: المعاني اللغوية:

١) ﴿**فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ**﴾: "الورود أصله قصد الماء"[١]، "وهو الذي يتقدمهم إلى الماء ليستقي لهم"[٢].

٢) ﴿**البخس**﴾: "مصدر وصف به " الثمن " وهو بمعنى النقص، فكأنه القليل الناقص"[٣]. وقيل: "والبَخْس في كلام العرب هو الظلم"[٤].

٣) ﴿**دراهم معدودة**﴾: "عبارة عن قلة الثمن لأنها دراهم"[٥] "لم تبلغ أن توزن لقلتها"[٦]. ولم يقل: موزونة بل قال: معدودة؛ لأن المعدود دائماً أقل من الموزون، فلو قال: موزونة لكانت كثيرة.

٤) **في قوله:** ﴿**وكانوا فيه من الزاهدين**﴾ ومعنى الزهد قلة الرغبة يقال زهد فلان في كذا إذا لم يرغب فيه وأصله القلة.

وفيه وجوه:

- **أحدها:** أن إخوة يوسف -عليه السلام- باعوه، لأنهم كانوا فيه من الزاهدين.
- **الثاني:** أن السيارة الذين باعوه كانوا فيه من الزاهدين، لأنهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بأي شيء يبيعه.

١- المفردات في غريب القرآن(ص٥١٩).

٢- التبيان في تفسير غريب القرآن(ص٢٤١).

٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢٤١/٣).

٤- الزاهر في معاني كلمات الناس أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (٤٩٠/١).

٥- الدرهم: الفضة المطبوعة المتعامل بها. غريب القران للاصفهاني (١٦٨/١)، ولم يرد في القرآن في غير هذا الموطن. انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (ص ٢٥٧).

٦- الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٢٩١/٢).

والضمير في قوله: **{فيه}** "يحتمل أن يكون عائد إلى يوسف -عليه السلام-، ويحتمل أن يكون عائدا إلى الثمن البخس".[1]

ثانياً: الجوانب البلاغية:

١) **ونداء البشرى مجاز**، "لأن البشرى لا تنادى، ولكنها شبهت بالعاقل الغائب الذي احتيج إليه فينادى كأنه يقال له: هذا آن حضورك، والمعنى: أنه فرح وابتهج بالعثور على غلام"[2].

٢) **قوله تعالى: {وأسروه بضاعة}** قيل: الضمير في " أسروه " يرجع إلى الملتقطين، وقيل:" يرجع إلى الإخوة، فإن رجع إلى الإخوة كان معنى الكلام أنهم كتموا أخوته، وأظهروا مملوكيته، وقطعوه عن القرابة إلى الرق.

"وإن عاد الضمير إلى الملتقطين كان معنى الكلام أنهم أخفوه عن أصحابهم، وباعوه دون علمهم بضاعة اقتطعوها عنهم، وجحدوها منهم؛ وساعد يوسف -عليه السلام- على ذلك كله تحت التخويف والتهديد"[3].

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

بعد أن بيّن اللّه تعالى ما فعله إخوة يوسف -عليه السلام- بإلقائه في أعماق الجب[4]، جاء هذا المكان جماعة مسافرون روى أنهم من العرب الإسماعيليين فأرسلوا رائدهم يبحث عن الماء ويأتيهم به فأرسل دلوه في البئر فتعلق به يوسف -عليه السلام- حتى خرج، قال: يا بشرى احضري، فهذا أوانك هذا غلام وسيم الطلعة، صبوح الوجه فاستبشروا به وسروا.

وأخفوه عن أعين الناس حتى لا يعلم به أحد لأجل أن يكون بضاعة لهم يتاجرون فيه ويبيعونه لأهل مصر واللّه -سبحانه -لا يغيب عنه شيء، عليم بما يفعل هؤلاء وهؤلاء، وباعته السيارة بثمن قليل دراهم معدودة لم تصل إلى حد الوزن وكانوا فيه من الزاهدين الراغبين عنه الذين يبتغون الخلاص منه"[5].

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) فقد نجى الله يوسف -عليه السلام- من ذلك الجب الموحش المهلك وكانت العناية الربانية تحف به، ولقد كان في استرقاقه وبيعه من عجائب لطف الله -عز وجل- في تقديره وعنايته ورعايته ليوسف -

---

١- مفاتيح الغيب (٣٤٣/٨).

٢- التحرير والتنوير (٢٤١/١٢).

٣- أحكام القرآن لابن العربي (٩٠/٣).

٤- التفسير المنير (٢٣٠/١٢).

٥- التفسير الواضح (١٦٧/٢).

ﷺ–، فلو أنه عاد إلى إخوته مرة أخرى لما ترددوا في قتله هذه المرة ولكنه ببركة العناية الربانية الإلهية خرج من الجب إلى القصر إذ اشتراه عزيز مصر.

٢) لقد القى إخوة يوسف –ﷺ– يوسف –ﷺ– في الجب، وكان الجب على طريقة القوافل، التي تبحث عن الماء في مظانه في الأبار أو الوديان أو غيرها من الأماكن التي يصلح فيها وجود الماء، "وكانت القوافل التي تأتي من الشام إلى مصر قديما تجتاز الأردن جنوب بحيرة طبريا إلى بيسان إلى جنين إلى دوثان إلى السامرة وهي سبسطية[١] على حلحولية إلى يافا إلى غزة وقد لا تأتي إلى يافا بل تذهب من حلحولية[٢] إلى اللد على غزة إلى العريش على صحراء سيناء إلى أن تصل مصر"[٣]. والواضح أن الوقت بين مجيء السيارة وعثور المدلى على يوسف –ﷺ– لم يستغرق إلا زمنًا قليلا، بمعنى "أنهم جاءوا وأرسلوا واردهم ولم يتأخروا عن إرساله وهذا لطف من الله تعالى بعبده يوسف–ﷺ–"[٤].

٣) **عمر يوسف –ﷺ– حين أخرج من الجب:** اختلف العلماء في تقدير عمر –ﷺ– حين أخرج من الجب ثم اشتراه العزيز فمنهم من قدره بثلاث عشر سنة، وآخرون بسبع عشرة سنة وذهب البعض الى أن عمره ثلاث سنوات وغيرهم إلى أنه كان ابن سبع سنين، وقريبًا من هذا التقدير يقول الشيخ سيد قطب: "لقد كان يوسف –ﷺ– غلاما عندما التقطته السيارة وباعته في مصر أي أنه كان حوالي الرابعة عشرة تنقص ولا تزيد فهذه هي السن التي يطلق فيها لفظ الغلام وبعدها يسمى فتى فشابا فرجلا وهي السن التي يجوز ان يقول فيها يعقوب –ﷺ– **(وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ)**.[٥]

١– سبسطية: مدينة قرب سميساط –تقع إلى شمالي غربي مدينة نابلس– محسوبة من أعمالها على أعلى الفرات ذات سور قلت المشهور أن سبسطية بلدة من نواحي فلسطين بينها وبين البيت المقدس يومان.(معجم البلدان ١٨٤/٣).

٢ – حلحول: الفتح ثم السكون وضم الحاء الثانية وسكون الواو ولام قرية بين البيت المقدس وقبر إبراهيم الخليل وبها قبر يونس بن متى عليهما السلام. (معجم البلدان ٢٩٠/٢)

٣– مؤتمر سورة يوسف (٤٣٣/١)، موسوعة تفسير سورة يوسف (ص٤٦٤).

٤– موسوعة تفسير سورة يوسف (ص٤٦٥).

٥– في ظلال القران (٢٩٩/٤).

٤) العجب كل العجب في سكوت يوسف –عليه السلام– حين أخرجوه من الجب، وأن سكوته –عليه السلام–وعدم تعريفه بنفسه للسيارة، كان للوجوه التالية:

- الوجه الأول: أنه –عليه السلام– أراد أن يحسم الموقف الذي أثاره إخوته حتى لا يصطدموا بأبيه من أجله فيكون ذلك سببا في هلاكهم ولا حل لذلك سوى ابتعاده عنهم الى حين.
- الوجه الثاني: أنه –عليه السلام– وجد أن الظروف لا تسمح بالتعريف بنفسه بل لو عرفهم بنفسه لما استعبد أن يتهموه بالجنون أو بالتمرد على مالكي رقبته ليصرف الناس عنه فيجلب على نفسه المتاعب فيكون السكوت هو الاولى[١].

٥) ذهب كثير من أهل التفسير أيضا إلى أن أخوة يوسف لم يبيعوا أخاهم يوسف وإنما الذي باعه هم السيارة، قال محمد رشيد رضا: "وكان هؤلاء الذين باعوه من الراغبين عنه الذين يبغون الخلاص منه لئلا يظهر من يطالبهم به لأنه حر، والثمن لم يكن مقصودا لهم ولهذا قنعوا بالبخس منه"[٢].

قال أحمد نوفل[٣]: "وما قيل في التوراة ونقله بعض المفسرين: أن الذي باع يوسف هم إخوته، فهذا:

أ- لا ينسجم مع النص، واستبشار الوارد بلقيا الغلام.

ب- إن إخوة يوسف حين خططوا قالوا: يلتقطه ولم يكن وارداً بيعه.

ت- إن كانوا يريدون بيعه فلم يلقونه في الجب؟

ث- إن كثيراً من الأقوال تنقلها بعض التفاسير من أسف دون رويّة وإعمال فكر"[٤].

قال العلمي: "وما فعلته السيارة من أخذ يوسف معهم كرقيق سنة قديمة عند جميع الأمم، فقد كان التجار وغيرهم من الروم يسطون على قبائل البربر؛ فيخطفون الأطفال والغلمان، ويحملونهم إلى الآفاق، يتجرون ببيعهم، كما كانوا يتجرون ببيع الغلمان البيض من أهل إسبانيا وغيرها"[٥].

---

[١]- يوسف بن يعقوب (٦٥-٦٦).

[٢]- جامع البيان (١٥/١٥-١٦)، تفسير المنار (٢٢٤/١٢).

[٣]- أحمد إسماعيل إبراهيم نوفل، ولد في يافا في فلسطين المحتلة ١٢ من مارس 1946 م.

[٤]- سورة يوسف دراسة تحليلية (ص٣٢٥).

[٥]- مؤتمر تفسير سورة يوسف (٤١٨/١).

٦) إن سر الاهتمام الفائق بيوسف –عليه السلام– من عزيز مصر ورئيس وزرائها لم يكتف بمجرد توصية زوجته بيوسف –عليه السلام– توصية مجردة، بل أردف وصيته بأن بين لها السبب الدافع له على هذا الامر فقال: **﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾**، والعزيز لم يشتر يوسف –عليه السلام– الا لمعان تفرسها فيه[١]. "وأن وصية العزيز لزوجته جاءت معللة بالحكمة حتى يحرك دواعي الاستجابة لديها، وهذا منهج في القرآن متبع، لا يأمرنا الله بأمر إلا ويذكر لنا حِكمَه؛ فاتخذوه منهجاَ حتى يتحرك الناس بقناعات وليس حركة آلية"[٢].

٧) **التمكين في الأرض يسبقه التمكين في القلوب**[٣]:

إن وجود يوسف –عليه السلام– في بيت العزيز هيأه لملك مصر، قال ابن عاشور: "والتمكين في الأرض هنا مراد به ابتداؤه وتقدير أول أجزائه ، فيوسف –عليه السلام– بحلوله محل العناية من عزيز مصر قد خُطّ له مستقبل تمكينه من الأرض بالوجه الأتمّ الذي أشير له بقوله تعالى بعد : **﴿كَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾** (يوسف : ٥٦)"[٤]، فهو في "البيت الذي تتوفر له فيه كل أسباب الراحة والرغد وهناءة العيش والنعيم، ثم كل أسباب التعليم، وأن يكون قريباً من مراكز صناعة القرار في مصر، فيتعلم الشيء الكثير من أحوال البلد وعقلية الإدارة والتركيبة السياسية والاجتماعية والإمكانات الاقتصادية، ويكون بالجملة في موقف مشرف يطلع منه على كل ما يجري في المجتمع المصري، بعكس ما لو عاش في قاع المجتمع المصري، أو في صعيده أو في ريفه"[٥]. قال العلمي: " وهاهنا نكتة يجب الانتباه إليها، هي:

- التمكين الأول كان ناشئاً عن إلقاء الله محبة يوسف في قلب (عزيز مصر)،
- وأما التمكين الثاني؛ فكان ناجماً عن إلقاء الله محبة يوسف في قلب "مليك مصر"؛ فالأول تمهيد للثاني، والثاني أقوى وأمتن من الأول، واسع جداً وأطلق حرية، وإن شئت قلت: إن التمكين الأول نواة لشجرة التمكين الثاني، وأول الغيث قطر ثم ينهمر"[٦].

---

[١]– موسوعة تفسير سورة يوسف (ص٤٩٦).

[٢]– سورة يوسف دراسة تحليلية (ص٣٢٧).

[٣]– إتحاف الإلف بذكر الفوائد الألف والنيف من سورة يوسف (١/٢٨٦-٢٨٧).

[٤]– التحرير والتنوير (١٢/٢٤٧).

[٥]– سورة يوسف دراسة تحليلية (ص٣٢٩).

[٦]– سورة يوسف دراسة تحليلية(ص٣٢٧).

المطلب الثالث

مراودة امرأة العزيز ليوسف -عليه السلام- وقضية الهم

قال تعالى: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ*وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ {يوسف:٢٣-٢٤}

أولاً: المعاني اللغوية:

١) **﴿وَرَاوَدَتْهُ﴾**: "الرود التردد في طلب الشيء برفق، يقال راد وارتاد[١]، أي طلبته أن يواقعها"[٢].

٢) **﴿هَيتَ﴾**: "قيل هي بالعبرانية (هيتلخ) ،أي تعال، وقيل: سريانية، وقيل: قبطية، أي هلمّ لك[٣]، وقيل هي عربية تدعو بها إلى نفسها"[٤]،" أي أقبل إلى ما أدعوك إليه"[٥].

٣) **﴿بُرْهَانَ﴾**: "البرهان بيان للحجة وهو فعلان مثل الرجحان والثنيان، فالبرهان أوكد الأدلة وهو الذي تقتضي الصدق أبدا ودلالة تقتضي الكذب أبدًا"[٦].

٤) **﴿السُّوءَ﴾**: كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ومن الأحوال النفسيّة والبدنية والخارجة من فوات مال وجاه[٧].

ثانياً: الجوانب البلاغية:

١) **﴿وَرَاوَدَتْهُ﴾**: يقول الرافعي" كلمة راودته، هي بصيغتها المفردة حكاية طويلة تشير إلى أن هذه المرأة جعلت تعترض يوسف -عليه السلام- بألوان من أنوثتها، لون بعد لون، ذاهبة إلى فن راجعة من فن آخر، لأن الكلمة مأخوذة من رودان الإبل في مشيتها، تذهب وتجيء في رفق، وهذا يصور حيرة المرأة العاشقة، واضطرابها في محاولة تنفيذ غايتها"[٨].

---

[١]- المفردات في غريب القرآن (٢٠٦).

[٢]- التبيان في تفسير غريب القرآن (٢٤٢).

[٣]- البحر المحيط (٢٩٤/٥).

[٤]- تفسير الطبري (١٨٠/١٢)، لسان العرب (٤٧٣١/٦).

[٥]- التبيان في تفسير غريب القرآن (ص٢٤٢).

[٦]- المفردات في غريب القرآن(ص٤٥).

[٧]- انظر: المفردات في غريب القرآن(ص٤٥).

[٨]- باختصار : وحي القلم (٩٣/١- ٩٤).

٢) ﴿**وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ**﴾: "تضعيف (غلّقت) لإفادة شدة الفعل وقوته، أي أغلقت إغلاقاً محكماً"[١].

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

لقد أوتي يوسف -عليه السلام- نصف الجمال، فكان بهي الطلعة، جميل الوجه، جذاب الشخصية، حسن القامة والهيئة، "ففتنت به امرأة عزيز مصر، وغازلته ولاطفته للوصول إلى غرض معين"[٢]، فهذه هي (المحنة الثالثة) بعد محنة الجب والاسترقاق، والمراودةُ الطلبُ برفق ولين، كما يفعل المخادع بكلامه المعسول، والمعنى: "طلبت امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها منه أن يضاجعها، ودعته برفق ولين أن يواقعها، وتوسلت إليه بكل وسيلة"[٣].

والمتأمل في هذه الآية الكريمة يرى "أن القرآن الكريم قد قابل دواعي الغواية الثلاث التي جاهرت بها امرأة العزيز والمتمثلة في المراودة، وتغليق الأبواب، وقولها، هيت لك: بدواعي العفاف الثلاث التي رد بها عليها يوسف، والمتمثلة في قوله -كما حكى القرآن عنه-: ﴿**مَعاذَ اللَّهِ*إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ*إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾"[٤].

رابعًا: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) إن من أعظم المحن على يوسف -عليه السلام- محنته في امرأة العزيز، وصبره عليها أعظم أجرا، لأنه صبر اختيار مع وجود الدواعي الكثيرة، لوقوع الفعل، فقدم محبة الله عليها، وأما محنته بإخوته، فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره وليس له ملجأ إلا الصبر عليها، طائعا أو كارها، ويكفي بالمراودة مصيبة أنها الباب الأخير لارتكاب الفاحشة.

٢) لقد حفظ الله تعالى سيدنا يوسف -عليه السلام- في طفولته ونجاه من محنتين عظيمتين، تأتي مرحلة الشباب ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾ وفي هذه المرحلة سيتعلم سيدنا يوسف درساً اسمه (الاعتماد على الله). ولقد اجتمع ليوسف -عليه السلام- من الدواعي لإتيان الفاحشة الشيء الكثير وهي كالتالي:

---

[١]- التحرير والتنوير (٢٥٠/١٢).

[٢]- التفسير الوسيط(١١٠/٢).

[٣]- صفوة التفاسير (٥١/٢).

[٤]- التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي(٢٢٩/٢).

أ- بداية معرفة امرأة العزيز بيوسف -عليه السلام-: حين كان غلامًا ومحلًا لعطفها وعنايتها طبقًا لأمر زوجها (أكرمي مثواه)، وأصبح مكتمل الرجولة والفتوة.

ب- تحول نظرة امرأة العزيز إلى يوسف: واكتمل شبابه في أروع صورة تهز القلوب، ولاح عليها الغرام ونازعتها الميول الجسدية، واستولي عليها سلطان الحب الذي غلب سلطان الحكم.

ت- بين الإقدام والإحجام: حاولت أول الأمر أن تغلب ميلها وتسحق هواها، ولكنها لم تستطع الصمود طويلا أمام عاصفة الحب الطاغي ليوسف -عليه السلام-.

ث- واستسلمت لهواها: وانفلت زمام امرأة العزيز من بين يديها ولم تستطع الصبر وتغلبت عواطفها على عقلها واستسلمت لهذا الجمال الفريد، وهكذا انقادت لميولها الحيوانية.

ج- المراودة من طرف واحد: واستجابة لرغبتها الملتهبة أخذت تتنزل شيئا فشيئا، ابتدأت في مناغمة يوسف -عليه السلام- بصوت حسن ومناغشته بالبسمة الخفيفة ثم الكلمة، ومضت الأيام تلو الأيام وهي على هذه الحال.

ح- المراودة الأخيرة: أنه مع كل ما قامت به إلا أنها لم تجن من وراء ذلك إلا الإعراض من يوسف -عليه السلام-. وزاد إعراضه إصرارا عندها، فرأت بالتصريح إلى ما لم تنله بالتلويح، وتكون أجرأ على ما تطلب، وأشجع فيما تريد فتنازلت عن كل كبريائها ودعته إلى ما تريد.

خ- لن تكن المراودة من امرأة العزيز وحدها: "لقد شاركت أخريات في المراودة، وهذا في قول الملك لهن **﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾** وهذا دليل على أن يوسف مر بمراحل غيرها"[1].

٣) **أسباب مراودة امرأة العزيز بيوسف -عليه السلام-:**

إن كيد هذه المرأة بيوسف -عليه السلام- أنها استعانت عليه لإيقاعه في الحرام بأمور كثيرة ذكرها، منها "قرب الوساد، وطول السواد والخلوة من وراء الأستار والأبواب، حتى إنها لتراوده عن نفسه في مخدع دارها، فيصد عنها علوا ونفارا، ثم تصارحه بالدعوة إلى نفسها فيزداد عتوا واستكبارا، معتزا عليها بالديانة والأمانة، والترفع عن الخيانة"[2].

قال صاحب كتاب موسوعة تفسير سورة يوسف: "وما كانت المسكينة تدري وهي تقول له هيت لك، أنها تقف أمام كمالات النبوة وجلالها، أمام من اصطفاه الله ليكون نبيا، أمام من

---

[1]- موسوعة تفسير سورة يوسف (٢/٥٣٦-٥٣٤).

[2]- تفسير المنار(١٢/٢٢٩).

ملك نفسه وهواه، أمام من شهد الله بإحسانه، أمام من نشأ في بيت النبوة في بيت يعقوب – عليه السلام –، أمام الكريم بن الكرماء، فهيهات هيهات يا امرأة العزيز"[1].

٤) **يوسف –عليه السلام– امتنع عن فعل الفاحشة لثلاثة أسباب:**

- الأول:"حق الله تعالى **{مَعَاذَ الله}** أَيْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَأَعْتَصِمُ بِاللَّهِ مِمَّا دَعَوْتِنِي إِلَيْهِ"[2].
- الثاني: "حق الخلق **{إِنَّهُ رَبِّى أَحْسَنَ مثواي}** يعني زوجها، أي هو سيدي أكرمني فلا أخونه"[3]، "ولا أقابله بالفاحشة في أهله"[4].
- الثالث: "حق النفس **{إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظالمون}** يَعْنِي: "إِنْ فَعَلْتُ هَذَا فَخُنْتُهُ فِي أَهْلِهِ بَعْدَ مَا أَكْرَمَ مَثْوَايَ فَأَنَا ظَالِمٌ، وَلَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ، وَقِيلَ: لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ: أَيْ لَا يَسْعَدُ الزُّنَاةُ".[5]

٥) اتفق العلماء على هم امرأة العزيز، فقالوا إنَّ هَمّ امرأة العزيز هو لعمل الفاحشة، واختلف أهل العلم قديما وحديثا في الهم الذي وقع من يوسف –عليه السلام–، وعلى اختلاف الآراء في ماهية البرهان الذي رآه سيدنا يوسف إلا أنّ (ربّه) الذي يتولى العناية به، ويتكفل برعايته، يقوم بحفظه في هذه المحنة ويصرف عنه السوء والفحشاء.

ومن أهم الاقوال التي فصلت في قضية الهم:

أ- ان الهم لم يقع منه أصلاً لوجود البرهان: وقد أخذ بهذا الرأي كثير من المفسرين منهم الامام الفخر الرازي والامام أبو حيان الأندلسي والامام الطاهر بن عاشور والشيخ محمد الأمين الشنقيطي والدكتور محمد أبو شهبة والشيخ محمد متولي الشعراوي وغيرهم[6].

ب- أنه هم بها وقصد الفاحشة وأتى ببعض مقدماتها ولولا أن رأى برهان ربه لفعل: ويمثل هذا الاتجاه عامة المفسرين المتقدمين واختاره من المتأخرين جماعة منهم ابن جرير وابن الأنباري والنحاس والماوردي[1] والبغوي والواحدي وغيرهم[2].

---

[1]- موسوعة تفسير سورة يوسف (٥٤٨/٢).

[2]- تفسير البغوي (٢٢٨/٤).

[3]- تفسير القرطبي(١٦٥/٩).

[4]- تفسير ابن كثير (٢٦/٨).

[5]- تفسير البغوي (٢٢٨/٤).

٦- انظر: تفسير الشعراوي (١/ ٢٠٦٦)، تفسير البحر المحيط (٢٤٥/٥)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢١٠/٢)، تفسير الفخر الرازي (٤٤٤/١٨)، التحرير والتنوير (١٢/ ٢٤٩).

ت- إن همَّ يوسف -عليه السلام- بالمرأة كان هما فطريا فقط: ومنهم البيضاوي وأبو السعود الألوسي والشنقيطي[٣].

ث- إن هَمَّ يوسف -عليه السلام- بالمرأة كان هما نفسيا فقط: الماوردي والرازي وسيد قطب وقال في هذا المضمون "لقد حصر جميع المفسرين القدامى والمحدثين نظرهم في تلك الواقعة الأخيرة، فأما الذين ساروا وراء الإسرائيليات فقد رووا أساطير كثيرة يصورون فيها يوسف هائج الغريزة مندفعا شبقا، وهم بها هم النفس، ثم تجلى له برهان ربه فترك"[٤].

ج- ان هم المرأة كان بالفاحشة أما هم يوسف -عليه السلام- فكان بالدفع والصد: ابن العربي[٥].

ح- ذهب بعض أهل التفسير الى أن هم يوسف -عليه السلام- بامرأة العزير كان هما فطريا بمعنى أن ذلك الهم كان ميل طبع ومنازعة شهوة من غير تصميم للعقد على الفعل، قاله الامام القرطبي ذاكرًا لهذا الإتجاه ومحسنًا إياه[٦].

خ- إن هم المرأة بيوسف كان للضرب والانتقام أما هم يوسف -عليه السلام- فكان للدفاع والتأديب. وبهذا القول قال ابن حزم[٧]، والشيخ محمد رشيد رضا[٨]، والشيخ المراغي وقد فنّده[٩].

وهو القول المختار في قضية الهم، إنما همت بضربه نتيجة إبائه وإهانته لها وهي السيدة الآمرة، وهمّ هو برد الاعتداء ولكنه آثر الهرب فلحقت به وقدت قميصه من دبر، قال الإمام ابن تيمية: "وقد اتفق الناس على أنه -عليه السلام- لم تقع منه الفاحشة ولكن بعض الناس يذكر أنه وقع منه بعض مقدماتها مثل ما يذكرون أنه حل السراويل وقعد منها مقعد الخاتن

---

[١]- هو الإمام أبو الحسن علي بن حبيب الشافعي؛ صاحب كتاب أدب الدين والدنيا، والحاوي، والتفسير، توفي سنة ٤٥٠هـ (انظر: شذرات الذهب ٢٨٥/٣-٢٨٦).

٢- تفسير الطبري (١٨٣/١٢-١٩٠)، (تفسير الماوردي) النكت والعيون (٢٣/٣)، معاني القرآن (٤١١/٣، ٤١٣)، معالم التنزيل (٢٢٨/٤)، تفسير الواحدي (٥٤٣/١)، موسوعة تفسير سورة يوسف (٥٧٩).

[٣]- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٣/ ٤٢٠، تفسير البيضاوي (٢٨٢/٤).

[٤]- تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٢٣/٣)، في ظلال القران (١٩٥٤/٤).

[٥]- أحكام القرآن بن العربي (٤١/٣).

[٦]- تفسير القرطبي (١٦٦/٩).

[٧]- الملل والنحل (١٠/٤).

[٨]- تفسير المنار (٢٣٣/١٢).

[٩]- تفسير المراغى(١٣٠/١٢).

ونحو هذا وما ينقلونه في ذلك ليس هو عن النبي -ﷺ- ولا مستند لهم فيه الا النقل عن بعض أهل الكتاب وقد عرف كلام اليهود في الأنبياء وغضهم منهم كما قالوا في سليمان -عليه السلام- ما قالوا، وفي داود -عليه السلام- ما قالوا، فلو لم يكن معنا ما يرد نقلهم لم نصدقهم فيما دل القرآن على خلافة"[1].

[1]- مجموع الفتاوى (١٥/١٤٩).

المبحث الرابع

المقاصد والأهداف لسورة يوسف من الآية (٢٥-٢٩)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فرار يوسف -عليه السلام- من المعصية وإثبات براءته.

المطلب الثاني: كيد النساء عظيم.

المطلب الأول

فرار يوسف -عليه السلام- من المعصية واثبات براءته

قال تعالى: **﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾** {يوسف:٢٥-٢٧}.

أولا: المعاني اللغوية:

١) **﴿وَاسْتَبَقَا﴾**: "أصل السبق التقدم في السير"[١]، أي تسابقا إليه، والتسابق والمسابقة بمعنى واحد[٢]، "ومعناه تبادر إلى الباب يجتهد كل واحد منهما أن يسبق صاحبه فإن سبق يوسف -عليه السلام- فتح الباب وخرج، وإن سبقت المرأة أمسكت الباب لئلا يخرج"[٣].

٢) **﴿وَأَلْفَيَا﴾**: "ألفيا أي: "زوجها يقال هو سيدها وبعلها أي زوجها"[٤].

٣) **﴿وَقَدَّتْ﴾**: "شقته طولا. والقد القطع طولا[٥]، وقال بعضهم" القَدُّ فيما كان يُشَقُّ طولاً، والقَطُّ فيما كان يُشَقُّ عَرْضاً"[٦].

٤) **﴿رَاوَدَتْنِي﴾**: "المراودة أن تنازع غيرك في الإرادة فتريد غير ما يريد أو ترود غير ما يرود، وراودت فلانا عن كذا"[٧].

ثانياً: المعنى الإجمالي:

هذه المحنة العظيمة أعظم على يوسف -عليه السلام- من محنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجرا، لأنه صبر اختيار مع وجود الدواعي الكثيرة، "لوقوع الفعل، فقدم محبة الله عليها، وأما

---

[١]- المفردات في غريب القرآن(ص٢٢٢).

[٢]- صفوة البيان لمعاني القرآن(ص٣٠٦).

[٣]- تفسير الفخر الرازي (٢٥١/١).

[٤]- لسان العرب (٢٢٤/٣)

[٥]- غريب القرآن (ص٣٧٥).

[٦]- الدر المصون في علم الكتاب المكنون(٣٥٤/١).

[٧]- غريب القرآن /ص٢٠٧).

محنته بإخوته، فصبره صبر اضطرار"[1].

فاستبقا الباب كل يريد أن يصل إليه فطلبه يوسف -عليه السلام- ليفر منها وطلبته لتمنعه من الفرار، ونشأ عن ذلك أن قدت قميصه من الخلف ووجدا سيدها وزوجها لدى الباب، ولم تعينه لأمر في نفسها ما جزاؤه إلا أن يسجن لتقتص من رجل أهان كبرياءها ومنعها من تنفيذ مؤامرتها الدنيئة لتريه أن في يدها إعزازه وإهانته، "وما علمت أن ذلك كله سلسلة محكمة الأطراف وطريق موصل إلى غاية اللّه يعلمها، ويعد يوسف -عليه السلام- لها إلا أن يسجن أو يعذب عذابا مؤلما موجعا"[2].

ثالثا: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) لقد هرب يوسف -عليه السلام- من امرأة العزيز تاركا خلفه الشهوة والمتعة والسيادة، وهذا يعلمنا أثرا حكيما أن يفر الإنسان من الفتن فراره من الأسد، وهنا قال ابن الجوزي: "يوسف -عليه السلام- والمرأة تبادرا إلى الباب يجتهد كل واحد منهما أن يسبق صاحبه وأراد يوسف -عليه السلام- أن يسبق ليفتح الباب ويخرج وأرادت هي إن سبقت إمساك الباب لئلا يخرج فأدركته فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته إليها فقدت قميصه من دبر أي قطعته من خلفه لأنه كان هو الهارب وهي الطالبة له"[3].

٢) لقد نجح يوسف -عليه السلام- بفتح الباب، وسارعت باجتذابه من خلفه فانقد القميص أي انشق وأخذته بيدها لتدلل به على مظلمتها بعد ان فر يوسف منها وخرج من الباب، "ولكن العجب العجاب من كيد النساء، لقد سارعت بالشكوى والمسكنة لزوجها فإنها في ورطة، والخروج منها هو أشبه بالمثل العربي الدارج عندنا اليوم (ضرب وبكى وسبق واشتكي[4])"[5].

٣) **الشاهد على براءة يوسف حيلة امرأة العزيز:**

لما تعارضا في القول احتاج الملك إلى شاهد ليعلم الصادق من الكاذب، فشهد شاهد من أهلها. أي حكم حاكم من أهلها، لأنه حكم منه وليس بشهادة. وقد اختلف في هذا الشاهد على

---

[1]- تفسير السعدي(ص٣٦٩).

[2]- التفسير الواضح(١٧٢/٢).

[3]- زاد المسير (٢١٠/٤-٢١١).

[4]- المستطرف في كل فن مستظرف(ص٨٥)

٥- التفسير الواضح (١٧٢/٢).

أقوال أربعة:

أ- أحدها أنه كان صبيا في المهد، وهو ابن خالتها، فعن ابن عباس وأبي هريرة وبه قال سعيد بن جبير[1]. واستدل المفسرون بحديث ابي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -ﷺ- قال: **(لم يتكلم في المهد إلا أربعة: عيسى وشاهد يوسف وصاحب جريج وابن ماشطة فرعون)**[2].

ب- والثاني أنه كان من خاصة الملك رواه ابن أبي مليكة[3] عن ابن عباس أنه رجل حكيم ذو عقل كان الوزير يستشيره في أموره، وكان من جملة أهل المرأة، وكان مع زوجها.

ت- والثالث أن الشاهد قد القميص، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد وفيه ضعف لقوله من أهلها[4].

ث- أنه خلق من خلق الله تعالى ليس بإنسي ولا بجني، قاله مجاهد أيضا، وهذا يرده قوله تعالى:" مِنْ أَهْلِها"[5].

والراجح ما قاله الإمام القرطبي "والأشبه بالمعنى-والله أعلم-أن يكون رجلًا عاقلًا حكيمًا شاوره الملك فجاء بهذه الدلالة، -وكونه من أهلها أوجب الحجة عليها-، ولو كان طفلا لكانت شهادته ليوسف -ﷺ- تغني عن أن يأتي بدليل من العادة، لأن كلام الطفل آية معجزة، فكادت أوضح من الاستدلال بالعادة"[6].

٤) **الأدلة على براءة يوسف -عليه السلام-:**

أ- أولها: قوله سبحانه وتعالى: **﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾** {يوسف: ٢٣} فكان أول كلمة قالها إن استعاذ بالله -عز وجل- ومن استعاذ بالله، أعاذه الله.

ب- الدليل الثاني: قوله سبحانه: **﴿واستبقا الباب وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ﴾** {يوسف :٢٥} جريه واستباقه بكل ما يملك من القوة في الجري دليل على فراره من هذا الذنب وليس دليلا على اقباله.

---

[1]- هو سعيد بن جبير الأسدي الكوفي، أبو عبد الله، تابعي، وُلد سنة ٤٥هـ، وهو حبشي الأصل، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس، وابن عمر، قتل سنة ٩٥هـ (انظر: تهذيب التهذيب ١١/٤).

[2]- رواه أحمد (٣٢/٥)، (رقم ٢٨٢٢)، وضعفه الالباني في الجامع الصغير وزيادته رقم (١٠٢٢٩).

[3]- هو عبد الله بن أبي مليكة المالكي، قاضٍ من رجال الحديث الثقات، ولاه ابن الزبير قضاء الطائف، مات سنة ١١٧هـ (انظر: تهذيب التهذيب ٢٦٨/٥).

[4]- زاد المسير لابم الجوزي (٢١١/٤).

[5]- انظر: أحكام القران للقرطبي (١٧٢/٩-١٧٣).

[6]- أحكام القران للقرطبي (١٧٣/٩).

ت- الدليل الثالث: قوله: ﴿**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَى مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾ {يوسف: ٣٣} فضل السجن على الزنا ﴿**وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِّنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ {يوسف: ٣٣}.

ث- الدليل الرابع: قوله جل وعلا: ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ {يوسف :٢٢} فالله -ﷻ- يثني عليه بالعلم ويقول: ﴿**وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾، وأثنى عليه أيضا في قوله: ﴿**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ**﴾ {يوسف:٣٣}، وكلمة السوء يدخل فيها الهم بالفحشاء، والعزم على الفحشاء، وفعل الفاحشة، فالله -ﷻ- يقرر في قوله تعالى: ﴿**لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ {يوسف:٣٣}، وقوله تبارك وتعالى عن ابليس: ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ المخلصين**﴾ { ص : ٨٢-٨٣ } ويوسف من المخلصين كما ذكر الله تعالى.

ج- الدليل الخامس: قوله تعالى: ﴿**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ**﴾ {يوسف:٢٦}، فشهادة هذا الشاهد دليل على براءته.

ح- الدليل السادس: قوله -ﷻ-: (**قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ**) بعد أن خرج من السجن ﴿**الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ {يوسف:٥١}، لو كان فيه شائبة من فعل الفاحشة، أو الهم بها، أو العزم عليها، أو الموافقة، لما سكتت امرأة العزيز، ولكنها نفت عنه التهمة بأكملها.

خ- الدليل السابع: قوله تعالى: ﴿**قَالَتْ فَذَالِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ**﴾ {يوسف:٣٢}، وهذا تأكيد من امرأة العزيز أمام النسوة جميعا، على نجاته وبراءته من هذا الجرم.

د- الدليل الثامن: قوله -ﷻ-: ﴿**ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ**﴾ {يوسف:٣٥}، فهو دليل أيضا على تفضيله السجن، أي أنهم حتى بعد ما رأوا الآيات على انها الكاذبة، أرادوا إخفاء هذا الأمر بأن سجنوه -عليه السلام-.

ذ- الدليل التاسع: قوله تعالى: ﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ {يوسف:٣٤}.

ر- الدليل العاشر: قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾** {يوسف:٥٠} أبى يوسف -عليه السلام- أن يخرج من السجن حتي يذهب عنه تلك المقالة الشائبة التي نسبوها اليه، **﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ*قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ*ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾** {يوسف:٥٠-٥٢} هذه أدلة كثيرة تدل على براءة نبي الله يوسف -عليه السلام- حتي عن مجرد الهم بالسوء، ويكفي قول الحق تبارك وتعالى كما ذكرنا: **﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾** {يوسف:٣٢}، يكفي هذا دليلاً على براءته -عليه السلام-[١].

[١]- انظر: عبر ودلالات من سورة يوسف (٢٤-٢٧)

المطلب الثاني

كيد[1] النساء عظيم

قال تعالى: **﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ* يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾** {يوسف:٢٨-٢٩}

أولاً: الجوانب البلاغية:

- **التعبير بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ بدل المفرد:**

إن العزيز يريد بلا شك بقوله (إنه من كيدكن) إنه من كيدك، ولكنه عبر بصيغة الجماعة ليشير أن الكيد طبيعة مدفونة في قلب جميع النساء[2]، ومن ذلك الإلحاح من نساء النبي -ﷺ- في مرض الوفاة فيما رواه **سَالِمِ بْنِ عُبَيْدٍ**ﷺ[3]، **قَالَ: مَرِضَ رَسُولُ اللهِ-ﷺ-، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ فَأَفَاقَ، فَقَالَ: حَضَرَتِ الصَّلاَةُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: مُرُوا بِلاَلاً فَلْيُؤَذِّنْ، وَمُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ فَأَفَاقَ فَقَالَ: أَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: مُرُوا بِلاَلاً فَلْيُؤَذِّنْ وَمُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّ أَبِي رَجُلٌ أَسِيفُ[4] -أَوْ آسِفٌ- فَلَوْ أَمَرْتَ غَيْرَهُ قَالَ : ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: هَلْ أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ؟ قَالُوا: لاَ قَالَ: فَمُرُوا بِلاَلاً فَلْيُقِمْ، وَمُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَقَالَتْ عَائِشَةُ : إِنَّ أَبِي رَجُلٌ أَسِيفُ فَلَوْ أَمَرْتَ غَيْرَهُ فَقَالَ : إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ....)**[5].

ثانياً: المعنى الإجمالي:

استمع العزيز إلى المبدأ الذي قرره الشاهد ورضي واقتنع به، ذهب ليرى مكان الشق في قميص يوسف-عليه السلام-، فلما تبين أنه قد شُق من دبر علم بصدق يوسف-عليه السلام- وبكيد امرأته.

١- الكيد لغة: الكاف والياء والدال أصلٌ صحيح يدلُّ على معالجةٍ لشيء بشدّة، ثم يتّسع الباب، وكلّه راجعٌ إلى هذا الأصل، وقيل: المكر كاده يكيده كيدا ومكيدة. وكذلك المكايدة. الصحاح (٩٥/٣). تعريف الكيد اصطلاحا: هو ضرب من الاحتيال وقد يكون مذموما وممدوحا وإن كان يستعمل في المذموم أكثر وكذلك الاستدراج والمكر ويكون بعض ذلك محمودا. الكليات للكفوي (ص٧٧٧).

٢- روح المعاني (٤١٤/٦).

٣- سالم بن عبيد الأشجعي من أهل الصفة ثم نزل الكوفة وروى له من أصحاب السنن حديثين بإسناد صحيح في العطاس وله رواية عن عمر فيما قاله وصيفه عند وفاة النبي -ﷺ- وكلام أبي بكر (الاصابة في تمييز الصحابة ١٠/٣).

٤- أسيف: أي سَريع البكاء والحُزْن. وقيل هو الرقيق/ النهاية في غريب الحديث والأثر (ص١٠٨).

٥- صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، (ح٦٦٤)، (٢٣٦/١).

التفت إلى يوسف –عليه السلام– مؤكداً براءته، "طلب منه أن لا يذكر ولا يتحدث بالحادثة التي حصلت داخل القصر لأحد حتى لا يشيع بين الناس، واجعله كأن لم يكن شيء، فإنك عندنا نزيه وشريف وصاحب أمانة. ومن ثم توجه لها بالخطاب المطالب بالاستغفار والتوبة والاقلاع عن أفعالها، والاستغفار من ذنبها لكي لا تكون وصمة عار في القصر"[1].

ثالثا: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) إن تدبر آيات كتاب الله ذات المعاني المباركة التي لا ينضب معينها، "يحتاج إلى بصيرة منيرة وفهم ثاقب .ويغترف من بحر كتاب الله مغترفون كثيرون، وكل منهم يغترف على مقدار وعائه، وقد يصيب مصيبون في فهم دلالات القرآن، وقد يخطئ مخطئون، وقد يتجنى مغرضون"[2]

٢) الكيد موجود في الرجال والنساء على السواء، "إلا أن كيد الرجال أشد وأعظم من كيد النساء في الحروب والأحداث الجسام ومقابلة أمور الدنيا، أما بالنسبة للأمور الجنسية فكيد النساء أعظم من كيد الرجال بكثير، وذلك بسبب طبيعتهن التي خلقن عليها، فإنه ألطف وأعلق بالقلب وأشد تأثيرا في النفس ولأن ذلك قد يورث من العار ما لا يورثه كيد الرجال"[3].

٣) **كيد النساء وكيد الشيطان:**

ذهب بعض أهل العلم أن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان حتى قال بعضهم[4]: "إني أخاف من النساء ما لا أخاف من الشيطان فإن الله يقول: ﴿**إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً**﴾ {النساء:٧٦}، وكيد النساء عظيم، ولهذا القول ذهب الشنقيطي وآخرون أن كيد الشيطان أعظم وأن كيد النساء إنما هو جزء من كيد الشيطان، وإلى هذا القول ذهب الألوسي على ظاهر إطلاقهما قال أحمد عز الدين خلف الله "لا وجه لها لأن ضعف الشيطان جاء في مقابلة كيد الله ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾ {النساء ٧٦} فالأمر مختلف، فكيد النساء ليس أعظم

---

[1]– بتصرف يسير: الكشاف (٣٨٥/٢)، البغوي (٢٣٥/٤).

[2]– قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله –عز وجل– عبد الرحمن حنبكة (ص٢٣).

[3]– باختصار: روح المعاني (٤١٥/٦)، اللباب في علوم الكتاب (٧٥/١١)، تفسير الألوسي (٤٩٤/٨).

[4]– روح البيان ٤/ ١٥٧، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٢٧٠/٤، روح المعاني ١٢/ ٢٢٤، تفسير النسفى ١٨٣/٢، الكشكول ٢٤/١.

من كيد الشيطان أبداً؛ لكن الآية الأولى جاءت مقارنة بين كيد الرجال والنساء في قصة يوسف -عليه السلام-، فقال الله -عز وجل-: ﴿**إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**﴾ **{يوسف:٢٨}** أي: في مقابل كيد يوسف -عليه السلام- و"لعظم فتنتهن واحتيالهن في التخلص من ورطتهن"[١]، فلذلك تلجأ للتسلح بالتدابير الخفية من كيد ومكر.

والآية الثانية: كيد الشيطان في مقابل كيد الله، فلذلك كان كيد الشيطان ضعيفاً ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾ {النساء:٧٦} فهذا مقابل بكيد الله، فلا شك أن يكون ضعيفاً، "فالمكر دليل على الضعف، وما دام كَيْدهُن عظيماً أي النساء إذن: ضَعْفُهن أيضاً عظيم، وكذلك في كيد الشيطان"[٢].

---

[١] تفسير القرطبي (٩/ ١٧٥).

[٢] تفسير الشعراوي (١/ ٤٩١٦).

الفصل الرابع

التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف الحزب الربع الرابع

من سورة يوسف الآيات (٣٠-٥٢)

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة يوسف من الآية (٣٠-٣٥)

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة يوسف من الآية (٣٦-٤٢)

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة يوسف من الآية (٤٣-٤٥)

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة يوسف من الآية (٤٦-٥٢)

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة يوسف من الآية (٣٠-٣٥)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مكر النسوة بامرأة العزيز.

المطلب الثاني: امرأة العزيز تقابل مكر النسوة بمكر أشد وأعظم.

المطلب الثالث: فرار يوسف إلى الله تعالى ودخوله السجن.

المطلب الأول
مكر النسوة بامرأة العزيز

قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ {يوسف:٣٠}.

أولا: المعاني اللغوية:

١) **﴿نِسْوَةٌ﴾:** النسوة "اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث (اللمة)، ولذلك لم تلحق فعله تاء التأنيث"[١].

٢) **﴿شَغَفَهَا﴾:** "الشغاف هو غلاف القلب فيه"[٢]، "وهو جلدة دُونَه كالحجاب"[٣]، "أي أوصَلَ الحبَّ إلى شَغاف قلبها"[٤].

ثانياً: المعنى الإجمالي:

لم تعد قصة امرأة العزيز وحكايتها مع فتاها سراً، فقد ذاع خبرها وانتشر بين الناس، وعلى الأخص في مجتمع النساء، ولا عجب، فالنساء مولعات بنقل الأخبار وتداولها والتفنن في صياغتها، والإضافة عليها في أغلب الأحوال، فأصبحت الأمور المخفية في القصر معلنة للعيان بما تفعله امرأة العزيز مع خادمها.

ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) دارت الأخبار بسرعة، وانتشرت حادثة السوء أن امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه، وكلامهن يحمل في طياته معان كثيرة وايحاءات جسيمة وهي من جهات أربع:

– الجهة الأولى: "كون المتحدَّث امرأة عَزِيزِ مصر، وزِير الملك الأكبر في علو مركزها.

– الجهة الثانية: كونها تهين نفسها وتحقر مركزها بأن تكون مُرَاوِدَة لرجل عن نفسه، لا مُرَاوِدة لغيرها.

– الجهة الثالثة: أن الذي تراوده عن نفسه هو فتاها ورقيقها.

---

[١]– الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل(٣١٦/٢).

[٢]– غريب القرآن(ص٢٨٧).

[٣]– لسان العرب (١٧٨/٩).

[٤]– معجم مقاييس اللغة (١٩٥/٣).

– الجهة الرابعة :أنهَا بعد أن افتضح أمرها، وعرف به سيدها وزوجها وعاملها بالحلم، وأمرها باستغفارِ ربها، لا تزال مصرة على ذنبِهَا، مستمرةً على مراودتها"[1].

٢) بدأ الموضوع ينتشر، خرج من القصر إلى قصور الطبقة الحاكمة أو الراقية يومها، ووجدت فيه نساء هذه الطبقة مادة شهية للحديث، ودارت الأخبار بسرعة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه، وإن خلو حياة هذه الطبقات من المعنى، وانصرافها إلى اللهو، يخلعان أهمية قصوى على الفضائح التي ترتبط بشخصيات شهيرة، "وكان يجب على هؤلاء النسوة المصريات أن يسكتن حين سمعن هذا الخبر السيء كما قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيع الفاحِشَةُ في الَّذِينَ ءامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾** {النور:١٩}."[2]ولكن ما السر في تسمية قول نسوة المدينة مكراً وليس غيبة.

لذلك سمي قول النسوة في شأن امرأة العزيز مكراً ولم يسمى **غيبة للوجوه الأتية:**

- الوجه الأول: "باعتبار الأساس والمنشأ، لأن الغيبة التي هي من هذا القبيل إنما تنشأ عن اختلاس أسرار الناس، واستطلاع ما يدور في البيوت، وهذا مكر بمن يبحث عنهم وينقب عن أحوالهم وخفاياهم، ولا ريب أن هذا أمر منكر، لما فيه من عدم احترام تلك الأسرار، وعم الإغضاء عن استطلاعها وتجسّسها، عملاً بالآداب العامة.
- الوجه الثاني: وهو أنهن كن يتمنين يوسف –عليه السلام– ويشتهينه لأنفسهن، لأن المرأة كالسياسي سواء بسواء، تقول بلسانها ما ليس في قلبها، والله أعلم بما تكنُّه، فهنّ بقولهن:

أ– **(تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ)** يتمنَّين أن تكون الأسباب قد سهَّلت لهن هذه المراودة[3].

ب– وبقولهن: **(قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا)** يشتهين أن يكون هذا الشغف لقلوبهن.

١– موقع إسلام ويب
http://articles.islamweb.net/media/index.php?page=article&id=203287

٢– يوسف الأحلام، الشيخ محمود المصري ص١٥٠.

٣– من سياق الآيات الكريمة أن امرأة العزيز لم تزل قادرة على مراودة يوسف –عليه السلام– والخلوة به مع علم زوجها، الذي كان قليل الغيرة أو عدمها، ولهذا لما اطلع على مراودتها أول مرة قال تعالى: **[يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا واسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الخَاطِئِينَ] [يوسف: ٢٩]**، فلم يعاقبها ولم يفرق بينهما، وهو كان له دور في تيسير دعوة يوسف للفاحشة من قبل نسوة المدينة.

ت- ولما قلن: **(إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)** أرَدْنَ أنها في هداية ظاهرة حيث اهتدت لمحبة هذا الشاب الوحيد في صباحته، عديم النظير في ملاحته، فملاحظتهن على امرأة العزيز، ملاحظة غبطة وغيرة، وملاحظة يقصد منها معنى آخر، يعرفْنَه وتعرفه امرأة العزيز، ويعلمه الله الخبير الذي سمي هذه الغيبة مكراً.

- الوجه الثالث: كنّ قلن ما قلن تحت تأثير عاطفة المكر بدليل أنَّهن لُمنَها وهن غائبات عنها، ولم ينْصحْنها وجهاً لوجه، وإلا فهن لو أردن النصح لاجتمعن بها وقدَّمن لها ما يعود عليها بالعَنَاء، فسمّاه مكراً لأنه من قَبِيل التحكُّك بشخصية تلك المرأة وتنقّصها، وليس من قبيل العظة والنصيحة التي تكون بالمواجهة.
- الوجه الرابع: سمُّيت هذه الغيبة مكراً؛ لأنها طَعْن لم يرتكِزْ على مستندات قوية، لأن الذي وقع منهنّ وإنِ اسْتند على إخبار الوصائف، إلا أنه غير جائز، إذ يجب أولاً التثبيت والتّبينَ، لأنه يغلب على هؤلاء المخبرات الفسق والفساد والكذب"[1].

٣) حقيقة مكر النسوة بامرأة العزيز: إن كل كلمة خرجت من فم النسوة، لهو دليل على عظم كيد النساء وجلل مكرهن، انظر إلى الكلمات كيف تضمنت قسطا من التشنيع، فإذا انتقلت إلى أختها ألفيت فيها التشنيع نفسه لكن باعتبار آخر، قال ابن القيم " وهذا الكلام متضمن لوجوه من المكر:

- أحدها: "قولهن امرأة العزيز تراود فتاها ولم يسموها باسمها بل ذكروها بالوصف الذي ينادى عليها بقبيح فعلها بكونها ذات بعل.
- الثاني: أن زوجها عزيز مصر ورئيسها وكبيرها وذلك أقبح لوقوع الفاحشة منها
- الثالث: أن الذي تراوده مملوك لا حر وذلك أبلغ في القبح الرابع أنه فتاها الذي هو في بيتها وتحت كنفها فحكمه حكم أهل البيت بخلاف من طلب ذلك من الأجنبي البعيد.
- الخامس أنها هي المراودة الطالبة.
- السادس: أنها قد بلغ بها عشقها له كل مبلغ حتى وصل حبها له إلى شغاف قلبها.
- السابع: أن في ضمن هذا أنه أعف منها وأبر وأوفى حيث كانت هي المراودة الطالبة وهو الممتنع عفافا وكرما وحياء وهذا غاية الذم لها.

---

[1]- مؤتمر سورة يوسف (١/٦٤٢-٦٤٥).

- الثامن أنهن أتين بفعل المراودة بصيغة المستقبل الدالة على الاستمرار والوقوع حالا واستقبالا وأن هذا شأنها ولم يقلن راودت فتاها.
- التاسع: قولهن إنا لنراها في ضلال مبين أي إنا لنستقبح منها ذلك غاية الإستقباح فنسبن الاستقباح إليهن ومن شأنهن مساعدة بعضهن بعضا على الهوى ولا يكدن.
- العاشر: أنهن جمعن لها في هذا الكلام واللوم بين العشق المفرط والطلب المفرط فلم تقتصد في حبها ولا في طلبها الفاحشة"[1].

٤) إن النسوة جمعن كل النكاية في الجملة المنطوقة، وصورن فضيحتها في أبعادها المخزية المختلفة، فكان وصف القرآن لتلك الجملة بالمكر، لذلك لابد من إدراك أخطر القضايا الاجتماعية، ألا وهي إفشاء الأسرار الخاصة، فكيف إذا كان مثل هذا الخبر الذي يلحق العار والشنار بصاحبه.

٥) ينبغي على المرأة أن تتقي الله -ﷻ- في عورة أختها المسلمة، وإذا أرادت أن تحدث أختها ينبغي عليها أن يكون قولها سديداً، وأن تتقي الله -ﷻ- فيما تقوله من العورات والخطيئات، ولذلك قال بعض العلماء في قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ}** {الحجرات:١١}.

ولقد خص الله النساء؛ لأن اللمز بينهن أكثر من الرجال، فيكثر بينهن اللمز والكلام، فلانة جميلة، وفلانة قبيحة، وفلانة فيها كذا وفلانة تفعل كذا، وكل ذلك ذنوب تسطر على المرأة التي تتكلم بذلك.

١- انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٢/١١٥-١١٧).

المطلب الثاني

امرأة العزيز تقابل مكر[1] النسوة بمكر أشد وأعظم

قال تعالى: **﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ*قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾** {يوسف:٣١-٣٢}.

أولاً: المعاني اللغوية:

١) **﴿ بِمَكْرِهِنَّ﴾**: المكْر: "الاحتيالُ والخَدِيعَة. وقد مَكَرَ به يَمْكُرُ فهو ماكِرٌ ومَكَّارٌ. والمكْر – أيضًا–: المغْرَةُ. وقد مَكَرَهُ فامْتَكَر، ومَكَرَ بِهِ: كادَه"[2].

٢) **﴿وَأَعْتَدَتْ﴾**: اعتدت: "هيأت وأحضرت، واعْتَدَّهُ لَه هَيَّأه، وهو عتيد: مُعَدَ حاضر، ومنه العتيدة التي فيها الطيب والأدْهان"[3].

٣) **﴿مُتَّكَأً﴾**: مُتَّكَأ: المتكأ: "المَكان الذي يُتَّكَأ عليه والمِخَدَّة المتَّكأ عليها"[4].

٤) **﴿أكبرنه﴾**: "أعظمنه وهِبنَ حسنه الرائع وجماله الأخّاذ الفاتن، واستولى عليهن الدّهش، وهذا هو قول الجمهور"، وهو الصحيح[5].

٥) **﴿قطعن أيديهن﴾**: "المِقطَعُ بكسر الميم آلة القطع، والمَقطَعُ بفتحها موضع قطع الشيء"[6].

ثانياً: الجوانب البلاغية:

١) **﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾**: "دل بالفاء على أن كلامهن نقل إليها بسرعة"[7]، "استعار المكر للغيبة لأنها تشبهه في الإخفاء، وسمي مكرا لأنهن أخفينه كما يخفي الماكر مكره"[1].

١- المكْر اصطلاحًا: كما قال السيوطي: المكْر ما يَقْصد فَاعله في بَاطِنه خلاف ما يَقْتَضِيه ظَاهره. معجم مقاليد العلوم (ص٢٠٧).

٢- تاج اللغة وصحاح العربية (٣٨٣/٣)، معجم مقاييس اللغة (٣٤٥/٥).

٣- الدار المصون (٤٨٩/٦-٤٩٠).

٤- الدار المصون (٤٨٩/٦-٤٩٠).

٥- الدار المصون (٤٨٩/٦-٤٩٠).

٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي (٥٠٩/٢)

٧- نظم الدرر في تناسب الآي والسور (٣٤/٤).

٢) ﴿**وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ**﴾: "استعار لفظ القطع للجرح أي جرحن أيديهن"[٢]، "معنى حقيقي للتقطيع عند بعض"[٣].

٣) في قوله **(متكأ)** تصوير لنوع من الطعام الذي إنما يقدم تفكها وتبسطا وتجميلا للمجلس وتوفيرا لأسباب المتعة فيه حتى إن الشأن فيه أن يكون الإقبال عليه في حالة من الراحة والاتكاء ،" والكلمة بعد هذا من الألفاظ الكثيرة التي أبدع القرآن صياغتها فتعلق بها العرب فيما بعد ولولا ذلك لما اهتدوا إليها ولخانتهم اللغة في هذا الباب عن تصوير ما يريدون، لقد قدمت لهن في ذلك المجلس طعاما ولا شك ولقد أوضح القرآن هذا ولكنه لم يعبر عن ذلك بالطعام فهذه الكلمة إنما تصور شهوة الجوع وتنتقل بالفكر الى المطبخ بكل ما فيه من ألوان الطعام وروائحه وأسبابه"[٤].

٤) الحذف في قوله: **(فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمتُنَّنِي فِيهِ)** "والتقدير في حبه، لأن الذوات لا يتعلق بها لوم، ودليل تقدير في حبه قوله: **(قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً)** في مراودته، ولعلها أولى بدليل قوله: **(تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ)** وإنما قلنا أولى لأنه فِعْلها بخلاف الحب فإنه أمر قهري لا يلام عليه إلا من حيث تعاطي أسبابه، أما المراودة فهي حاصلة باكتسابها فهي قادرة على دفعها، فيأتي اللوم عليها بخلاف الحب فإنه ليس فعلاً لها ولا تقدر على دفعه، لأن الحب المفرط قد يقهر صاحبه ولا يطيق أن يدفعه، وحينئذ فلا يلام عليه، وعلى كل حال فهو من أسبابه"[٥].

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

علمت المرأة يقيناً أن النسوة اللاتي قلن عنها ما قلن، قد مكرن بها فعلا، فقررت امرأة العزيز أن تقابل مكرهن بمكر أشد، فإذا كان مكرهن قد وقف عند حد القول،" فإن مكرها سيتعداه إلى حد الفعل، فأعتدت لهن مكاناً خاصاً وضعت فيه متكآت ليأخذن راحتهن، وجلين كما يحلو لهن، حتى تتم المفاجأة وكأنها بغير تدبير، فيكون وقعها أعظم في النفوس وآكد في القلوب"[٦].

١- تفسير البحر المحيط (٣٠١/٥).

٢- التفسير المنير (٢٥١/١٢)، اعراب القرآن وبيانه (٤٨١/٤-٤٨٢).

٣- روح المعاني (٢٣٠/١٢).

٤- إعراب القران وبيانه (٤٨٧/٤-٤٨٨).

٥- إعراب القران وبيانه (٤٨٨/٤).

٦- نظرات في أحسن القصص (٣٢٩/٢).

فأعطت كل واحدة منهن سكيناً وأمرت يوسف –عليه السلام– بأن يخرج وغرضها من ذلك ما سيقع من تقطيع أيديهن لتبكيتهن بالحجة[1].

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) لقد تعامل القرآنُ مع موضوع المكر بأسلوب معمَّق؛ من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل، ولتحذير المؤمنين من المكر، ومن أصحابِ المكر، وليَعلم الماكرون أنَّهم مفضوحون من الله[2]؛ لذلك قال تعالى: **﴿وقال نسوة﴾**، فكان الرد منها حين سمعت تلك الأقاويل، أن ترد جيدًا عليهن، قال تعالى: **﴿فلما سمعت بمكرهن﴾**، وهذا كيد النساء تريد أن تبرهن لهن ما هي فيه من ألم وحسرة، من جمال يوسف –عليه السلام–.

٢) الفرق بين المكر والكيد: قيل: إن المكر مثل الكيد في أنه لا يكون إلا مع تدبر وفكر، وقيل "أن الكيد أقوى من المكر، والشاهد أنه يتعدى بنفسه والمكر يتعدى بحرف فيقال كاده يكيده ومكر به ولا يقال مكره والذي يتعدى بنفسه أقوى، والمكر أيضا تقدير ضرر الغير من أن يفعل به ألا ترى أنه لو قال له أقدر أن أفعل بك كذا لم يكن ذلك مكرا وإنما يكون مكرا إذا لم يعلمه به، والكيد اسم لإيقاع المكروه بالغير قهرا سواء علم أم لا"[3]،وقال الزبيدي: "وظاهر كلامهم أن الكيد والمكر مترادفان، وهو الظاهر، وقد فرق بينهما بعض فقهاء اللغة، فقال:

أ- الكيد: المضرة، والمكر: إخفاء الكيد وإيصال المضرة.

ب- وقيل: الكيد: الأخذ على خفاء، ولا يعتبر فيه إظهار خلاف ما أبطنه، ويعتبر ذلك في المكر"[4].

٣) **الطرق المتبعة في مكر امرأة العزيز بالنسوة:**

أ- **بتوجيه الدعوة إلى النسوة علمت المرأة** يقيناً أن النسوة اللاتي قلْن عنها ما قلْن، قد مكرْن بها فعلاً، فقررت أن تقابل مكرهن بمكر أشد- أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ- ، فإذا كان مكرهنّ قد وقف عند حدّ القول، فإن مكرها سيتعداه إلى الفعل، "فعملت على استدراجهن إلى مجلس يتمكَّنَّ فيه من

---

[1]- روح المعاني (٤١٩/٦).

[2]- موقع الألوكة، مقال بعنوان: **تعامل القرآن مع المكر**، الكاتب محمد فقهاء، تاريخ النشر 19/3/2012. 0http://www.alukah.net/sharia/0/39436/#ixzz3ZQnnFnBh

[3]- الفروق اللغوية (ص٥٠٨).

[4]- تاج العروس (١٢٢/٩).

مشاهدة يوسف –عليه السلام– عن كثب، ليَلْتمسْن بأنفسهن مدى تأثير مشاهدتهنّ له في نفوسهن، لتتَّخذ من انفعالهنّ عذراً لها يبرز تهتُّكها في حبّه، وحجة عليهن تسقط عذلهنّ لها، وتظهر لهن أنها ليست كما تصوَّرْن، وأنهن لو كُنَّ في مكانها لفعلْن ما فعلته أو أشد[1]، فوجهت إليهن الدعوة على سبيل الضيافة.

ب- **تجهيز المكان الضيافة: (وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً)**: "هو المجلس المعد فيه مفارش ومخاد وطعام فيه ما يقطع بالسكاكين من أترج ونحوه"[2]"أرسلت إليهن تدعوهن إلى وليمة لتوقعهن فيما وقعت فيه"؛[3]"والمتكأ هو الشيء الذي يستند إليه الإنسان حتى لا يطول به مَلَلٌ من كيفية جِلْسته، والمقصود بالقول هو أن الجلسة سيطول وقتها، وقد خططتْ لتكشف وَقْعَ رؤية يوسف عليهن[4]، فقدَّمتْ لكل منهن سكيناً؛ وهو ما يوحي بأن هناك طعاماً سوف يؤكل، قال ابن قيم الجوزية: "فلما سمعت بهذا المكر منهن هيأت لهن مكراً أبلغ منه، فهيأت لهن متكأ، ثم أرسلت إليهن، فجمعتهن"[5].

قال سيد قطب رحمه الله: "لقد أقامت لهن مأدبة في قصرها. وندرك من هذا أنهن كن من نساء الطبقة الراقية. فهن اللواتي يدعين إلى المآدب في القصور. وهن اللواتي يؤخذن بهذه الوسائل الناعمة المظهر. ويبدو أنهن كن يأكلن وهن متكئات على الوسائد والحشايا على عادة الشرق في ذلك الزمان"[6].

ت- **وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا**: "كان هذا مكيدة منها ومقابلة لهن في احتيالهن على رؤيته"[7]، آتت كل امرأة سكيناً وطلبت منهن إن كنَّ يلتمسنَ لها العذر بعد أن يشاهدن يوسف أن تحدث كل امرأة قطوعاً في يديها لقاء ما كان من حديث سوء، وإن كن يرينَ عدم وجود ما يدعو للمغامرة بمراودته فلا يحدثن تلك القطوع.

---

[1]- مؤتمر سورة يوسف (١/٦٤٢-٦٤٥)، موسوعة تفسير سورة يوسف (٢/٧١٨).

[2]- تفسير ابن كثير (٨/٣٦).

[3]- تفسير القرطبي (٩/١٧٧).

[4]- تفسير الشعراوي (١/ ٤٣٩).

٥- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٢/١١٦).

٦- في ظلال القران (٤/ ٣٠٤).

[7]- تفسير ابن كثير (٢/ ٥٨٠).

ث- **(وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ)**: "جهزت يوسف -عليه السلام- لهذا الموقف الرهيب، وهذا مكر تلو مكر، قال البقاعي: "فامتثل له ما أمرته به كما هو دأبه معها في كل ما لا معصية فيه وبادر الخروج عليهن"[1]. وهذا يقتضي أنه كان في بيت آخر، وكان لا يدخل عليها إلا بإذنها، فخرج عليهن، فلما رأينه انشغلن بجماله عن السكاكين التي تعمل في الأيدي."كما يفهم من اللحظة التي كان وضع النِّسوة فيها هكذا، مشغولات بمعالجة قطع ما قُدّم إليهن، رأت امرأة العزيز أن اللحظة المناسبة التي أرادتْها وخطَّطَتْ لها قد حانتْ، فقد كان نجاح خطتها متوقِّفاً على خروج يوسف على النسوة في مثل هذه الحالة، فهو أهم ما في الأمر هنالك أطلقت المرأة سهمها اليوسفي الجمالي الخارق"[2]، لتصيب به النّسوة في مقتل.

قال ابن قيم الجوزية: "وخبأت يوسف -عليه السلام- عنهن...وأخرجته عليهن فجأة، فلم يرعهن إلا وأحسن خلق الله وأجمله قد طلع"[3]، وفي نهاية هذه الحبكة الدرامية من امرأة العزير التي يعجز عنها كل رجالات العالم، خرجت لتقول للنسوة: **(فذلكن الذي لمتنني فيه)**، وفي تسليم النسوة بهذا المبرر من المعنى ما يفيد وجود دليل ومبرر لعشقها ليوسف -عليه السلام-**!؟**. قال الله تعالى: **(وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ)** أي: جرحنها بما في أيديهن من السكاكين، وهذا كما تقول: كنت أقطع فقطعت يدي، وهو معنى حقيقي للتقطيع عند البعض، وفي الكشف أنه معنى مجازي على الأصح، وأخرج ابن المنذر وغيره عن مجاهد أنه فسَّرَ التقطيع بالإبانة، والمعنى الأول- جرحنها-أسرع تبادراً إلى الذهن.

٤) **الدّماءُ تسِيل وَامرَأة العزيز تتشَفى:** لقد سَالَتْ دِمَاءُ النسوة الماكراتِ حين رأيْنَ يوسف -عليه السلام- "في جماله الملائكي السَّماوي، سالت دماؤهُمَّ وهنَّ مذهولات لا يدرين بأي شيء إلاَ مشهد يوسف الْغَاضِبَ لكل أبصارهنّ وشعورهن وكيانهنَّ، سالت دماؤهنّ وبأيديهن لا بيد غيرهِنَّ، سالت الدماء وتتابعت تَتَفَجَّر من الأيدي المسكينة"[4].

لقد انتصرت عليهنَّ انتصاراً فِعْلِيّاً سَاحقاً، وهاهنّ الآنَ يقَعْنَ فيما وقعت هي فيه من قبل، وبنظرة واحدة وبطلعة واحدة من يوسف -عليه السلام- عليهن قد فقدن شعورهن، "انتهى كيدها إلى وقوعهن

---

[1]- تفسير البقاعي (٣٤/٤).

[2]- موسوعة تفسير سورة يوسف (ص٦٣٦).

[3]- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١١٦/٢).

[4]- موسوعة تفسير سورة يوسف (٦٣٧).

فيما لَّمَنها من الافتتان بفتاها، كما جعلتهن يقمن بدليل حسّيّ لا يمكنهن نسيانه، إذ قطعهن أيديهن بدلا من تقطيع ما قُدم إليهن من طعام، وذلك لفرط دهشتهن التي غيّبتهن عن شعورهن، لقد بلغ مكرها الذروة بما فعلته بهن مما أسقط لومهن لها، بل جعلتهن بتوجيه اللوم إليهن أولى، إنها لم تنتصر على النسوة لأنهن قطعن أيديهن فحسب؛ بل ثأرت لنفسها أيضاً لأنها تركتهن يتلقّين جميعاً نفس الصفعة التي تلقتها من يوسف حينما أغرته وعرضت نفسها عليه فاستعصم وجرح كبرياءها كامرأة"[1].

[1]- يوسف بن يعقوب (٩٦-٩٧) .

المطلب الثالث

فرار يوسف إلى الله تعالى ودخوله السجن

قال تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إلى مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِّنَ الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ**﴾ {يوسف: ٣٣-٣٥}.

أولًا: المعاني اللغوية:

١) قوله تعالى: ﴿**أَصْبُ إِلَيْهِنَّ**﴾: الصبوة: "الميل إلى الهوى، ومنه الصبا لأن النفوس تصبو إليه، وهي الميل إلى موافقتهن على أهوائهن"[١].

٢) قوله تعالى: ﴿**مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾: "أي المذنبين إذ لا يذنب إلا من جهل قدرة الله واطلاعه عليه"[٢]، والجهل على ثلاثة أضرب:

أ- الأول: وهو خلو النفس من العلم، هذا هو الأصل.

ب- الثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.

ت- الثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا أو فاسداً، كمن يترك الصلاة متعمداً، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ {البقرة : ٦٧} فجعل فعل الهزو جميلاً، "والجاهل تارة يذكر على سبيل الذم، وهو الأكثر، وتارة لا على سبيل الذم نحو قوله تعالى: ﴿ **يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ**﴾ {البقرة: ٢٧٣} أي من لا يعرف حالهم وليس يعني المتخصص بالجهل المذموم"[٣].

---

[١]- التبيان في تفسير غريب القرآن (ص٢٤٤)، غريب القرآن (ص٦٥)، تفسير المنار (٢٤٦/١٢).

[٢]- أيسر التفاسير (٢٠٨/٢).

[٣]- المفردات (ص١٠٢).

٣) قوله: **﴿ثم بدا لهم﴾**: "بدا" معناها: ظهر، يقال: "بدأ الشيء بدوا وبداء، أي: ظهر ظهورا بينا"[١]، "(بدا)هنا، من البداء بالفتح، لا من البدو المطلق، أي: ثم ظهر لهم من الرأي ما لم يكن ظاهراً من قبل"[٢].

٤) قوله: **﴿من بعد ما رأوا الآيات﴾** الآية: "العلامة الظاهرة، والصحيح أنها مشتقة من التأني الذي هو التثبت والإقامة على الشيء، وقيل: الآيات إشارة إلى الأدلة"[٣]. والمراد منها هنا: "دلائل صدق يوسف –عليه السلام– وكذب امرأة العزيز"[٤].

٥) **قوله: ﴿حتى حين﴾**: "الحين يدل على مطلق الوقت، يقع على القليل والكثير، قال الإمام ابن عطية: والحين في كلام العرب وفي هذه الآية: الوقت من الزمن غير المحدود يقع للقليل والكثير، وذلك بين موارده في القرآن الكريم"[٥]، وقال الإمام أبو حيان: "والحين يطلق على مطلق الوقت، ومن عين له هنا زمانا، فإنما كان ذلك باعتبار مدة سجن يوسف، لا أنه موضوع في اللغة كذلك"[٦].

ثانياً: الجوانب البلاغية:

﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾"استعصم أي مبالغة في عصم نفسه، فالسين والتاء للمبالغة، فهذا يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد، كأنه في عصمة وهو يجتهد في الزيادة فيه"[٧]، "وسميت العصمة عصمة لأنها تمنع من ارتكاب المعصية"[٨].

ثالثا: القراءات:

قوله: **﴿ليسجننه﴾** "قراءة الجمهور، وقرأ الحسن " لتسجننه " بتاء الخطاب"[٩]، وفيه تأويلان:

---

[١]– المفردات (ص٤٠).

[٢]– تفسير المنار (١٢ / ٢٦٧).

[٣]– المفردات (ص٣٣).

[٤]– تفسير التحرير والتنوير (٦ / ٢٦٨).

[٥]– تفسير ابن عطية ٩ / ٢٩٧.

[٦]– تفسير البحر (٣٠٧/٥).

[٧]– فتح القدير (٣٥/٣). تفسير ابن عطية (٢٩٤/٩).

[٨]– تفسير القرطبي(١٥٩/٩).

٩– إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ويسمى(منتهى الأماني والمسرات في علوم القرآءات) (ص٣٣١).

أحدهما: أن يكون خاطب بعضهم بعضا بذلك.

الثاني: "أن يكون خوطب به العزيز تعظيما له"[1].

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

"لما ظهر للنسوة عذر امرأة العزيز وتم لها إقامة الحجة عليهن، وتمت المعايرة في حبها ليوسف عليه السلام، ورغم كل المراودة إلا أنه أبى واستعصم عن نفسه، فعند ذلك ذكرت أنهن باللوم أحق لأنهن بنظرة واحدة لحقهن أعظم مما نالها مع أنه طال مكثه عندها"[2]، شكا يوسف – عليه السلام– إلى ربه تعالى كيد النسوة، وتضرع إليه جل شأنه أن يصرف عنه كيدهن، أخبر تعالى أنه استجاب دعائه الذي دل عليه هذا الابتهال والالتجاء، فصرف عنه كيدهن فلم يصب إليهن، ولم يحتج إلى جهاد نفسه لكفها عن الاستمتاع بهن، وعصمه ربه أن يكون من الجاهلين الذين يرتكبون الآثام، ﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ**﴾ إنه هو السميع المجيب لمن أخلص له الدعاء جامعا بين مقامي الخوف والرجاء ﴿**العليم**﴾ بصدق إيمانهم وما يصلح من أحوالهم.

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) "كان جواب السيد العفيف الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم –عليهم صلوات الله وسلامه–قال تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إلى مِمَّا يَدْعُونَنِي**﴾وقصده –عليه السلام– ﴿**وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ**﴾ تبرؤ من الحول والطول، وأن الحول والقوة إنما هما من الله –عز وجل– وهو سؤال منه لربه واستعانة به على أن يصرف عنه كيدهنَّ"[3].

وهكذا تفضل الله الذي خلقه وتولى تربيته وحمايته، فصرف عنه كيدهن؛ الذي تمثل في دعوتهن له أن يستسلم لما دعته إليه امرأة العزيز، ثم غوايتهن له بالتلميح دون التصريح، "أنجاه الله من مكر النسوة؛ وهو جل وعلا له مطلق السمع ومطلق العلم، ولا يخفى عليه شيء، ويستجيب لأهل الصدق في الدعاء"[4].

٢) أنه –عليه السلام– بموقفه هذا قد ضرب لشباب المسلمين لله رب العالمين مثلًا جديدًا في التضحية وإرضاءً لله تعالى وفرارًا بدينه أن يمسه أدنى سوء، قال الإمام ابن القيم: "وسمعت شيخ الإسلام

١– إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٤/٢٧٥).

٢– تفسير الفخر الرازي (١٨/١٠٤).

٣– الدخيل في التفسير (ص٣٠٣).

٤– تفسير الشعراوي (١/٤٠٤).

ابن تيمية يقول: "كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها، أكمل من صبره على إلقاء إخوته له في الجب وبيعه، وتفريقهم بينه وبين أبيه، فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره، لا كسب له فيها، ليس للعبد حيلة فيها غير الصبر، وأما صبره عن المعصية، فصبر اختيار ورضى، ومحاربة للنفس، ولاسيما مع الأسباب التي تقوي دوافع الموافقة"[1].

٣) قرر يوسف –عليه السلام– "الفرار إلى الله تعالى واللجوء التام إليه سبحانه، وفي تصريحه –عليه السلام– بأن السجن"[2] أحب إليه مما يدعونه، إعلان بعدم الاكتراث بتهديد امرأة العزيز وغيرها إن لم يرضخ لهن وإعلان أيضًا بإعراضه –عليه السلام– الكامل عن الدنيا وزخرفتها وقد عرضت عليه كاملة غير منقوصة دون أن يكلفه ذلك شيئًا، فهو لا يلتفت إلى ما سوى الله تعالى ومرضاته والإنابة إليه، لقد كان السجن هو الحل الوحيد أمامه –عليه السلام– لصرف الأسباب الحائلة دون تبليغ الدعوة ممثلة في كيد النسوة ومكرهن، للاعتبارات التالية:

أ– إن المشاكل النسائية أصبحت تتفاقم وتتعدد محاورها وتلاحقه –عليه السلام– في كل عمل يؤديه، ولما كانت هذه الأمور لا يمكن الاحتراز أو التخلص منها، ومن المحال ضبطها، ولما كانت تصرفاتهم مثيرة لسخط الرجال لما فيها من المساس بكرامتهم، فإنهن ولا شك سيورطنه –عليه السلام– في عداء مستحكم مع رجال البلاط وكبار رجال الدولة.

ب– إن النسوة من طبيعتهن –إن لم يستجب لهن– يتجهن إلى تلفيق اتهامات قد تمس العرض ويكدن له –عليه السلام– ما شئن من الكيد انتقاما منه غير عابئات بالنتائج كما هي عادتهن، ولما كن من الطبقة الاجتماعية الممتازة، كان لديهن من الفراغ ما يتسع لحبك هذه المؤامرات وتدبير تلك الدسائس.

---

[1]– مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١٥٦/٢).

٢– يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله : "وَاخْتِيَارُ النَّبِيِّ –ﷺ– لَهُ وَلِأَهْلِهِا لِاحْتِبَاسَ فِي شِعْبِ بَنِي هَاشِمٍ بِضْعَ سِنِينَ لَا يُبَايِعُونَ وَلَا يُشَارُونَ؛ وَصِبْيَانُهُمْ يَتَضَاغَوْنَ مِنْ الْجُوعِ قَدْ هَجَرَهُمْ وَقَلَاهُمْ قَوْمُهُمْ وَغَيْرُ قَوْمِهِمْ، هذا أكمل من حال يوسف –عليه السلام– فإن هؤلاء – أهل مكة – كانوا يدعون الرسول إلى الشرك وأن يقول على الله غير الحق، وكان كذب هؤلاء على النبي –ﷺ– أعظم من الكذب على يوسف، فإنهم قالوا إنه ساحر وإنه كاهن، وإنه مجنون وإنه مفتر وكل واحدة من هؤلاء أعظم من الزنا والقذف، لاسيما الزنا المستور الذي لا يدري به أحد، ثم قال: وما لقي النبي –ﷺ– وأصحابه مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ أَعْظَمُ مِنْ مُجَرَّدِ الْحَبْسِ فَإِنَّ يُوسف، وَالنَّبِيُّ –ﷺ– وَأَصْحَابُهُ كَانُوا يُؤْذَوْنَ بِالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ مَعَ مَنْعِهِمْ مِنْ تَصَرُّفَاتِهِمْ الْمُعْتَادَةِ، وَهَذَا مَعْنَى الْحَبْسِ" مجموع الفتاوي (١٣٥/١٥).

ت- إن وقته -عليه السلام- سيبدد، وجهده سيضيع لا في دعوة إلى الله تعالى بل للتخلص من مؤامراتهن التي تستدعي كل مؤامرة منها إلى إثبات البراءة منها.

ث- إن تصرفاتهن المنحرفة ستكون سببا في إثارة الخلاف والخصام في الأسر والعائلات، ولا يحسمها سوى السجن،" لتعذر وصولهن إليه وتعقبهن له -عليه السلام- وبذلك تبطل مكائدهن التي لا تنتهي"[1].

٤)ومن أهم الأسباب التي دعت أهل الحل والعقد إلى سجن يوسف بعد ثبوت براءته:

أ-حسم الكلام في الموضوع حتى لا تتناقله الأخبار وتلوكه الألسنة ويصبح حديث القوم، بعد أن ثبت لهم أن النسوة لا يكففن عن مطاردته -عليه السلام-.

ب- حماية سمعة الرجال أمام الناس، وليقع في روع من خفيت عليهم الأمور أنهم ما سجنوه إلا لمعاقبته على شيء صدر منه، تغطية للموقف.

ت- إيهام الجماهير أنه هو الذي راود المرأة، لأنها لو كانت تحبه ما سعت في سجنه[2].

كل هذا وغيره أثبت لهم أن بقاءه في القصر بين امرأة العزيز وصديقاتها مثار فتنة وشر مستطير، وأنه من المصلحة الخاصة والعامة أن يبعد يوسف عن القصر ويوضع في السجن مدة من الزمن إلى أن ينقطع خبر ما حدث بينه وبين امرأة العزيز والنسوة.

وهكذا التفت على السجن ثلاث رغبات:

- الأولى: "رغبة امرأة العزيز تريد تعذيبه -عليه السلام- وإذلاله وإلحاق الصغار به كما أوعدته وهددته **﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾**.
- الثانية: رغبة أهل النفوذ والسلطان، لقطع الكلام فيما حدث، والمحافظة على مكانة كبار رجال الدولة الذين عشقت نساؤهم يوسف -عليه السلام-، وحماية النساء بصفة عامة من صرعة فتنته الجمالية الآسرة.
- الثالثة: رغبة يوسف -عليه السلام- الفرار منهن مراضاة الله تعالى والأنس بجواره في راحة واطمئنان **﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾**"[1].

---

[1]- يوسف بن يعقوب (ص٢٠٢).

[2]- انظر: موسوعة تفسير سورة يوسف (ص٧٧٣-٧٧٤).

[1]- موسوعة تفسير سورة يوسف(ص٧٧٤).

المبحث الثاني:

المقاصد والأهداف لسورة يوسف من الآية (٣٦-٤٢)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: يوسف -عليه السلام- ورؤيا صاحبي السجن.

المطلب الثاني: دعوة يوسف -عليه السلام- إلى التوحيد داخل السجن.

المطلب الثالث: تعبير يوسف -عليه السلام- رؤيا صاحبي السجن.

المطلب الاول

يوسف –عليه السلام– ورؤيا[1] صاحبي السجن

قال تعالى: **﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ *قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾** { يوسف: ٣٦-٣٧}.

أولا: المعاني اللغوية:

١) **﴿فَتَيَانِ﴾:** جمع فتى، "أي مملوكاً والعرب تسمي المملوك شابا كان أو شيخا أو فتى ومنه تراود فتاها عن نفسه أي عبدها"[2].

٢) **﴿أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾:** "العصر مصدر عصرت والمعصور الشيء العصير والعصارة نفاية ما يعصر"[3]، "أُطلق عليه ذلك مجازاً، لأنه آيل إليه كما يُطْلق الشيءُ على الشيء باعتبار ما كان عليه"[4].

٣) **﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾:** "النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب كالتواتر وخبر الله تعالى وخبر النبي –عليه السلام–"[1]، و كلمة "تأويل" في القرآن الكريم: وردت كلمة (تأويل) في القرآن الكريم سبع عشرة مرة.

١- الرؤيا لغة: الراء والهمزة والياء أصلٌ يدلُّ على نظرٍ وإبصارٍ بعينٍ أو بصيرة. فالرَّأي: ما يراه الإنسانُ في الأمر، وجمعه الآراء. مقاييس ١٥٢/٢. الرؤيا اصطلاحا: "أمثال مضروبة يضربها الملك الذي قد وكله الله بالرؤيا ليستدل الرائي بما ضرب له من المثل على نظيره ويعبر منه إلى شبهه ولهذا سمي تأويلها تعبيرا" دليل الحيران في تفسير الاحلام علي محمد قطب (ص٩-١٠).

٢- التبيان في تفسير غريب القرآن(ص٢٤٤)، غريب القرآن(ص٣٦١).

٣- غريب القرآن (ص٣٣٦).

٤- الدر المصون في علم الكتاب المكنون(٤٩٦/٦).

١- التوقيف على مهمات التعاريف(ص٦٩١).

٤) **﴿مِلَّةَ﴾**: "الملة بالكسر الدين والجمع ملل"[١]،" وهي اسم لما شرعه الله تعالى لعباده بوساطة أنبيائه"[٢]، "وهي لا تضاف إلا للنبي الذي تستند إليه"[٣].

ثانياً: الجوانب البلاغية:

الحكمة من تكرار لفظة هم في قوله تعالى: **﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾**؛ للدلالة على أنهم خصوصاً كافرون بالآخرة، وأنّ غيرهم كانوا قوماً مؤمنين بها، وهم الذين على ملة إبراهيم–عليه السلام– ، "ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيهاً على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها إلا من هو كافر بدار الجزاء"[٤].

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

شاءت حكمة الله تعالى أن يدخل مع يوسف –عليه السلام– السجن فتيان في نفس الوقت الذي دخل فيه، وليس ذلك من باب المصادفة والاتفاق، ولكنه تقدير من العزيز العليم"[٥]. دخل يوسف–عليه السلام– لا كما يدخله من قتل نفساً، أو لص سرق متاعاً، بل دخله دخولاً لم ينصفه القضاء في الأرض، فأسلم نفسه لله تعالى"[٦]، وإن فضل الله عز وجل على يوسف –عليه السلام– جعله قادراً على تعيين نوع الطعام الذي سيصل للفتيين في المستقبل، وإخباره بماهية وكيفية الطاعم وسائر أحواله قبل أن يصل إليهما"[٧]، وإنما قال لهما ذلك ليبرهن على صدقه فيما يقول، فيستجيبا لدعوته لهما إلى وحدانية الله بعد ذلك.

وقوله: **﴿ذلكما مِمَّا عَلَّمَنِي ربي﴾** "نفى لما قد يتبادر إلى ذهنهما من أن علمه مأخوذ عن الكهانة أو التنجيم أو غير ذلك مما لا يقره الدين، ذلك كله إنما هو العلم الذي علمني إياه ربى وخالقي ومالك أمري، وليس عن طريق الكهانة أو التنجيم كما يفعل غيرى"[١].

---

[١]– المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي، (٥٨٠/٢).

[٢]– المعجم الوسيط، مجموعة من العلماء، (٨٨٧/٢).

[٣]– تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، (٤٢١/٣).

[٤]– الكشاف، (٤٤٣/٢).

[٥]– تفسير المنار(٣٠٣/١٢).

[٦]– تاريخ الأنبياء(ص١٣٨)، قصص القرآن(ص٨٨/ص٨٩).

[٧]– انظر: الوحدة الموضوعية في سورة يوسف (ص٣٩٥).

[١]– تفسير الوسيط، سيد طنطاوي (٣٠٧/٣).

رابعاً- تحقيق المقاصد والأهداف:

١) دخل نبيُّ الله الكريم ابنُ الكريم ابنِ الكريم ابنِ الكريم السجن بعد أن خرج من محنته الكبرى في قصر العزيز تقياً نقياً، ليواجه محنة أخرى، ضيق السجن وظلمته ووحشته، والشعور بالظلم والاضطهاد، وهو سجن آخر للنفس، يزيدها هماً وألماً وحسرة، وذهب أكثر المفسرين إلى أن "مع" في قوله تعالى: ﴿**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ**﴾ يدل على معية ذات، أي أن "الثلاثة، يوسف -عليه السلام- والفتيين دخلوا جميعا السجن في وقت واحد، وهو الراجح"[١].

وأشرق السجن بنور يوسف -نبي الله الكريم بن الكريم -عليه السلام-، بل لقد ازداد السجن شرفًا وعلوا على كل من حوله بحلول يوسف -عليه السلام- فيه وكيف لا، ويوسف نور من نور الله تعالى نور توحيد وعبودية، نور رحمة وهداية، نور توفيق ورشاد إنه نور من علّمه الله تعالى علم تأويل الأحاديث. وقد جمع الله له نورين، نور النبوة ونور الجمال، "وحسبك بما أخبر الله من ذلك عن يوسف -عليه السلام- وما جاء في الآثار الصحاح فيها عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أجمع أئمة الهدى من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين أهل السنة والجماعة على الإيمان بها وعلى أنها -الرؤيا- حكمة بالغة ونعمة يمن الله بها على من يشاء وهي المبشرات الباقية بعد النبي -صلى الله عليه وسلم-"[٢].

٢) إن القرآن الكريم في معرض الاهتمام بالرؤيا، إنما "يعالج جزئية من كينونة النفس الإنسانية، جزئية يعيشها كل إنسان في كل يوم، عندما يخلد إلى النوم ويستسلم إلى الرقاد، ويتنقل من حياة إلى حياة، ينتقل من حياة كاملة حافلة بالوعي والحركة والعطاء، إلى حياة يخمد فيها الجسم ثم تشب فيها النفس عن طوق الجسد إلى آفاق لا يعرفها هو أولا يحسها أو لا يباشرها، ماضيًا وواقعيًا ومستقبليًا"[٣].

٣) **الفرق بين الرؤيا والحلم:**

قال الإمام الألوسي: "من الاصطلاحات التي سنها الشارع للفصل بين الحق والباطل، كأنه كره أن يسمى ما كان من الله وما كان من الشيطان باسم واحد، فجعل الرؤيا عبارة عن الصالح منها، لما في الرؤيا من الدلالة على المشاهدة بالبصر أو البصيرة، وجعل الحلم عبارة عما كان من

---

[١]- روح المعاني (١٢/ ٢٣٨)، تفسير البحر المحيط (٣٠٨/٥).

[٢]- التمهيد لابن عبد البر (٤٩/٢٤).

[٣]- دليل الحيران في تفسير الاحلام علي محمد قطب (٩-١٠).

الشيطان؛ لأن أصل الكلمة لم يستعمل إلا فيما يخيل للحالم في منامه من قضاء الشهوة، مما لا حقيقة له"[1]، وإن إضافة الحلم إلى الشيطان لكونه على هواه ومراده، وأما إضافة الرؤيا "وهي اسم للمرئي المحبوب إلى الله تعالى فإضافة تشريف، وظاهره أن المضاف إلى الله لا يقال له حلم والمضاف إلى الشيطان لا يقال له رؤيا وهو تصرف شرعي وإلا فالكل يسمى رؤيا"[2].

والحلم ورد في القرآن الكريم بالجمع ولم يرد مفرداً بخلاف الرؤيا، فقد ورد مفردة، وهذا إن دل فإنما يدل على التشويش والاختلاط وكثرة الأحلام لأنها من الشيطان.

٤) حقيقة الرؤيا:

إن حقيقة الرؤيا "إدراكات يخلقها الله تعالى في قلب العبد على يد الملك والشيطان ونظيره في اليقظة الخواطر فإنها قد تأتي على نسق وقد تأتي مسترسلة غير محصلة فإذا خلقها الله تعالى على يد الملك كان وحياً وبرهاناً مفهوماً"[3]، قال الكرماني: "حقيقة الرؤيا الصالحة أنه تعالى يخلق في قلب النائم أو حواسه الأشياء كما يخلقها في اليقظان فيقع ذلك في اليقظة كما رآه وربما جعل علما على أمور يخلقها الله أو خلقها فتقع تلك كما جعل الله تعالى الغيم علامة على المطر"[4].

٥) أنواع الرؤيا:

اختلف العلماء في تقسيم الرؤيا إلى أقسام، وكلها تدور حول ثلاثة أقسام أو قسمين أساسين، ولا مناص في ذلك، وأن أفضل تقسيم ما ورد في حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه- عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ: **(إِنَّ الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ مِنْهَا:**

أ- أَهَاوِيلُ مِنْ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ بِهَا ابْنَ آدَمَ،

ب- وَمِنْهَا مَا يَهُمُّ بِهِ الرَّجُلُ فِي يَقَظَتِهِ فَيَرَاهُ فِي مَنَامِهِ،

ت- وَمِنْهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ)[5].

قال الامام البغوي[1] "وقوله: **الرؤيا ثلاثة** " فيه بيان أن ليس كل ما يراه الإنسان في منامه

---

[1]- محاسن التأويل (٤٤/٦).

[2]- عون المعبود (١٣/ ٣٦٥).

[3]- عمدة القاري (١٥٦/٢).

[4]- فيض القدير (٥٩/٤).

[5]- صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، باب الرؤيا ثلاث (ح٤٢٠٠) ٥٢/٧.

[1]- هو أبو محمد الحسن بن مسعود بن محمد البغوي الفقيه الشافعي، صاحب كتاب مصابيح السنة في الحديث، ومعالم التنزيل في التفسير، توفي سنة ٤١٠هـ (انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ١٤٦/١).

يكون صحيحًا، ويجوز تعبيره، إنما الصحيح منها ما كان من الله -ﷻ- يأتيك به ملك الرؤيا من نسخة أم الكتاب، وما سوى ذلك أضغاث أحلام لا تأويل لها، وهي على أنواع قد يكون من فعل الشيطان يلعب بالإنسان ، أو يريه ما يحزنه ، وله مكايد يحزن بها بني آدم ، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنه: ﴿**إِنَّمَا النجوى مِنَ الشيطان لِيَحْزُنَ الذين آمَنُواْ**﴾ {المجادلة:١٠} ومن لعب الشيطان به، وقع في الاحتلام الذي يوجب الغسل، فلا يكون له تأويل، وقد يكون ذلك من حديث النفس، كمن يكون في أمر، أو حرفة يرى نفسه في ذلك الأمر، والعاشق يرى معشوقه ونحو ذلك"، عن أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: **(إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءا من النبوة والرؤيا ثلاثة فرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس)**[1].

[1]- صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، باب (١) (ح٦٠٤٢)، (٥٢/٧).

المطلب الثاني

دعوة يوسف –عليه السلام– إلى التوحيد داخل السجن

قال تعالى: **﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ *مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾** {يوسف: ٣٨-٤٠}.

أولا: المعاني اللغوية:

﴿ءَأَرْبَابٌ﴾: "الرب باللام: لا يطلق لغير الله –ﷻ–، ورب كل شيء: مالكه ومستحقه أو صاحبه: أرباب وربوب"[١].

ولا يطلق (الرب) "غير مضاف إلا على الله–ﷻ–، وإذا أطلق على غيره أضيف"[٢]، والرب في الاصل التربية "وهو إنشاء الشيء حالًا فحالًا إلى حد التمام، يقال ربه ورباه وربيه"[٣].

ثانياً: الجوانب البلاغية:

الاستفهام التقريري في قوله تعالى: **﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ﴾**، للاستفهام هنا دوره العظيم، إذ يحمل الفتيين على المشاركة الفكرية والإيجابية، لأن فيه إشعاراً لهما بكيانهما ووجودهما، ورد شيء من الاعتبار لهما الذي ضاع في زحمة الأحداث[٤].

ثالثًا: مناسبة الآية لما قبلها:

لما أقام لهم الدليل على ما هو عليه من الدين الحنيف تبعًا لخلاصة الخلق، بما تقرر في الأذهان من أن الله تعالى هو المنعم وحده سبحانه فيجب شكره بعد أن قرر لهم أمر نبوته وأقام دليلها بما يخبرهم به من المغيبات، ودعاهم إلا ما يجب عليهم من التوحيد وهو الإسلام، وكان أكثر الخلق إلا الفذ النادر يقرون بالإله الحق، "ولكنهم يشركون به بعض خلقه، أتبعه برهان التمانع على فساد كل ملة غير الإسلام الذي يطابق عليه الأنبياء والرسل كلهم، تأييدًا لأدلة النقل بقاطع العقل، فقال مناديًا لهم باسم الصحبة بالأداة التي تقال عند ماله وقع عظيم في

---

[١]– القاموس المحيط (ص١١١).

[٢]– لسان العرب (٣/٣٩٩).

[٣]– المفردات (ص١٨٤).

[٤]– انظر: الوحدة الموضوعية في سورة يوسف (ص٤٥٤).

النفوس في المكان الذي تخلق فيه المودة، وتمحّض فيه النصيحة، وتصفى فيه القلوب، ويتعمد الإخلاص رجاء الخلاص"[1].

رابعاً: المعنى الإجمالي:

بعد أن عَّرف يوسف –عليه السلام– الفتيين "بأنه نبي يوحى إليه بما ذكره من أخبار الغيوب، وذكر لهما كما في هذه الآية آباءه، ليريهما أنه من بيت النبوة ليقوي رغبتهما في الاستماع إليه"[2]، ولقد رسم يوسف –عليه السلام– "بهذه الكلمات القليلة الناصعة الحاسمة المنيرة كل معالم هذا الدين، وكل مقومات هذه العقيدة؛ كما هز بها كل قوائم الشرك والطاغوت والجاهلية هزاً شديداً"[3].

فهذه الآية الكريمة خطوة في "تفنيد عقائد الجاهلية وأوهامها الواهية، فيوسف –عليه السلام–، لما قارن بين عبادة أرباب متفرقين، وبين عبادة الله الواحد، وعلم من صاحبيه موافقة جوابهما لمراده، استطرد بعد الاستفهام إلى الإخبار والتعريف بما يعبدون من آلهة[4]". "فبين لهما أنَّ التي يعبدونها ويسمّونها آلهة، إنما هو جَهْلُ منهم، وتسمية من تلقاء أنفسهم، تلقاها خَلَفهم عن سَلَفهم، وليس لذلك مستند من عند الله؛ ولهذا قال: **{مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ}** أي: حجة ولا برهان"[5].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) لقد بدأ يوسف دعوته إلى التوحيد[6] في السجن، كما بدأ جميع الأنبياء الذين سبقوه، وكذلك الذين تبعوه، يوسف –عليه السلام– يبدأ بالدعوة إلى عبادة الله الواحد، لقد أعلن يوسف –عليه السلام– أنه "تابع لملة آبائه – عليهم السلام – والمراد بلفظه (الملة) "إنما هو أصول التوحيد وإجلال الله تعالى بالعبادة دون الفروع الشرعية "[1]، ولما بين لهم في الآية السابقة معالم الكفر في ملة القوم الذين

---

[1]– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤/٤١).

[2]– التفسير المظهري (١/٨٨).

[3]– في ظلال القرآن (٤/٣١١).

[4]– في ظلال القرآن (٤/٣٠٩).

[5]– تفسير ابن كثير (٤/٣٩٠).

[6]– انظر: المطلب الأول: دعوة شعيب –عليه السلام– للإصلاح العقائدي(ص٣٣).

[1]– الإحكام في أصول الأحكام (٢/ ١٣٢).

تركهم والذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر؛ بين لهم في هذه الآية معالم الإيمان الحنيفة التي يتبعها هو وأباؤه –عليهم الصلاة والسلام –.

وأما نسله المذكورون فتابعون له فيها وإن كانوا أنبياء، ومن أمثلة ذلك أن أنبياء بني إسرائيل بعد موسى –عليه السلام– تابعون له في شريعة التوراة وعقيدتها مع أن كل واحد منهم نبي، وقد يكون البعض فيهم رسولًا أيضًا، وقد يكون منهم أصحاب أسفار مجيدة"[1].

٢) شرع يوسف في بيان العقيدة الصحيحة التي تقوم عليها تلك الملة الحنفية، فكان "النبي –ﷺ– الذي ينبئه الله تعالى، وهو ينبئ بما أنبأ الله له، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله تعالى ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس رسول"[2].

٣) لقد رسم يوسف –عليه السلام– بهذه الكلمات–﴿ءأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾–، "كل معالم هذا الدين وكل مقومات هذه العقيدة، كما هز بها قوائم الشرك والطاغوت والجاهلية هزة عنيفة"[3]، وكذلك في هذه الآية الكريمة "خطوة أخرى في تفنيد عقائد الجاهلية وأوهامها الواهية"[4].

٤) الملاحظ في الحوار بين يوسف –عليه السلام– وبين صاحبيه في السجن، "قضية حيوية في مجال الدعوة إلى الله تعالى، وهي أن على الداعية إلى الله –ﷻ– ألا يجعل من الاضطهاد ونصب المكائد له وإيذائه وسيلة للتخلي عن الدعوة، وألا يجعل من السجن – في حال تعرضه لدخول السجن – مجالًا للاستسلام إلى الأفكار الذاتية التي يختزن في إطارها آلأمه وأشواقه إلى الحرية، فينشغل بها عن قضيته، ويبتعد عن دعوته، بل يعمل على تحويل السجن إلى مجال حي من مجالات الدعوة إلى الله، "لأنه يمثل الأرضية الصالحة للبذور الطيبة للفكرة، من حيث طبيعة السجن التي تقترب بالإنسان من حالات الصفاء الروحي"[1]، ومما لابد ذكره التأسي بمثل هذا الانموذج الفريد، والاسطورة الفذة.

---

[1]– مؤتمر تفسير سورة يوسف (٢ / ٧٦٦).

[2]– النبوات، ابن تيمية (ص١٤٨).

[3]– موسوعة تفسير سورة يوسف (٢/ ٨٨٠).

[4]– في ظلال القران(٣٠٩/٤).

[1]– موسوعة تفسير سورة يوسف (٨٩٧/٢).

وهذا ما لاحظه الباحث في قضية يوسف –عليه السلام–، في قمة الأدب والتواضع، "فقد استمع إلى رفيقه في السجن وهما يعرضان عليه رؤياهما ويطلبان تأويلها. فلم يمتنع ذلك، فبدأ بالحديث عن نفسه، وعن عقيدته، انطلاقًا من قناعته المرتكزة على الحجة والبرهان"[1]، وهاجم من خلال ذلك الأفكار المضادة المستندة إلى عبادة غير الله، أو الإشراك بالله، وأيم الله ما شقت البشرية قط شقائها إلا بتعدد الأرباب وتفرقهم، واختلاف المناهج وتلونها، وتوزع العباد بين أهواء الأرباب الباطلة وأوهام.

[1]– موسوعة تفسير سورة يوسف (٨٩٧/٢).

المطلب الثالث

تعبير يوسف -عليه السلام- رؤيا صاحبي السجن

قال تعالى: **﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ * وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾** {يوسف:٤١-٤٢}.

أولا: المعاني اللغوية:

١) **﴿فَيُصْلَبُ﴾:** "والصَّلْبُ مصدر صَلَبَه يَصْلُبه صَلْباً وأَصله من الصَّلِيب وهو الوَدَكُ وبه سُمِّي المَصْلُوب لما يَسِيلُ من وَدَكه"[١].

٢) **﴿ظَنَّ﴾:** ورد الظنّ في القرآن مجملاً على أَربعة أَوجه في القرآن الكريم: "بمعنى اليقين، وبمعنى الشكّ، وبمعنى التُهَمة، وبمعنى الحُسْبَان، وهنا بمعنى اليقين"[٢].

٣) **﴿فَلَبِثَ﴾:** "اللُّبْث واللُّباثُ: المكث[٣]، أي: أقام به ملازما له"[٤].

٤) **﴿بِضْعَ﴾:** "الْبضْع مَا بَين الثَّلَاث إِلَى التسع، وقال أبو عبيدة: هو ما لم يبلغ العقد ولا نصفه. يريد: ما بين الواحد إلى الأربعة"[٥].

ثانياً: الجوانب البلاغية:

١) المناداة بلفظ **﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾** وسماه ربًّا مع أن يوسف نبي التوحيد، "من قبيل رب الأسرة بمعنى راعيها، وحافظها"[٦].

٢) قول يوسف: **﴿لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾:** عبر يوسف-عليه السلام- بالظن ولم يعبر بالعلم، تأدبًا مع اللَّه في العلم بالغيب، فإنه وإن كان يقينًا عند يوسف-عليه السلام-، ولكن طريقه لَا ينتج إلا ظناً.

---

[١]- لسان العرب (٥٢٦/١).

[٢]- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز(٥٤٥/٣).

[٣]- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز(٤١٥/٤).

[٤]- انظر: المفردات في غريب القرآن (ص٧٣٣).

[٥]- انظر: غريب القرآن لابن قتيبة(١٨٧)، التبيان في تفسير غريب القرآن (ص١٩٨).

[٦]- زهرة التفاسير (٣٨٣/٧).

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

بعد أن بين يوسف –عليه السلام– أنه لا خير إلا في الدين القيم، ملة آبائه جميعاً –عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم– "وجد يوسف –عليه السلام– أنه قد بلغ الغاية من الدرس الذي ألقاه على الفتيين مرتبطاً بالأمر الذي يشغل بالهما، انتقل عليه السلام إلى تعبير الرؤيا واجابة طلب الفتيين"[1].

قال يوسف –عليه السلام– للذي علم أنه ناجٍ من صاحبيه: اذكرني عند سيِّدك الملك وأخبره بأني مظلوم محبوس بلا ذنب، فأنسى الشيطان ذلك الرجل أن يذكر للملك حال يوسف –عليه السلام–، فمكث يوسف بعد ذلك في السجن عدة سنوات.

ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) يتَّضح من سورة يوسف أن الرُّؤَى مصدرٌ للتنبؤ بالسلوك الذي قد يقع في المستقبل القريب أو المستقبل البعيد، وذلك من خلال دراسة الرؤى الأربع الواردة في هذه السورة، وهي: رؤيا يوسف، ورؤيا الفتيان، ورؤيا الملك. ومما لا شك فيه أن الرؤيا –كما يُفهم من هذه السورة –لا تختصُّ بالأنبياء والمؤمنين فقط، كما لا يُشترط أن يفهم صاحبها أبعادها ومراميها قبل وقوعها، مما يستدعي الاستعانة بذوي الاختصاص في هذا المجال. واستكمالا لما سبق ذكره[2]ما يلي.

٢) **أقسام الناس باعتبار الرؤيا:**

ذكرنا فيما سبق أقسام الرؤيا هذا باعتبار الرؤيا أما باعتبار الرائي فهي أيضاً أقسام وذلك بحسب صدق الرائي وبهذا الاعتبار أي اعتبار الرائي قسم أهل العلم أحوال الناس في رؤياهم من خلال الاستقراء إلى: (أنبياء، صالحون، فسقة، كفار).

إذا كانت الرؤيا الصادقة جزءاً من النبوة فكيف يكون الكافر والكاذب والمخلط أهلا لها؟

قال القرطبي: "الجواب أن الكافر والفاجر والفاسق والكاذب وإن صدقت رؤياهم في بعض الأوقات لا تكون من الوحي ولا من النبوة إذ ليس كل من صدق في حديث عن غيب يكون خبره ذلك نبوة وقد تقدم في الأنعام أن الكاهن وغيره قد يخبر بكلمة الحق فيصدق لكن ذلك على الندور والقلة فكذلك رؤيا هؤلاء قال المهلب[1]: إنما ترجم البخاري بهذا لجواز أن تكون رؤيا أهل الشرك

---

[1]– في ظلال القرآن (٤/٣١٠).

[2]– انظر: المطلب الأول: –عليه السلام– ص.

[1]– المهلب بن أحمد بن أبي صفرة، أبو القاسم الأسدي، كان من أهل العلم والمعرفة والذكاء، والعناية التامة بالعلوم، توفي سنة٤٣٥هـ (انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/٥٧٩).

رؤيا صادقة كما كانت رؤيا الفتيين صادقة إلا أنه لا يجوز أن تضاف إلى النبوة إضافة رؤيا المؤمن إليها إذ ليس كل ما يصح له تأويل من الرؤيا حقيقة يكون جزءا من النبوة"[1].

٣) كيف تكون الرؤيا:

قال الإمام أبو السعود عن كيفية الرؤيا: "ارتسام الصورة المنحدرة من أفق المتخيلة إلى الحس المشترك، والصادقة منها إنما تكون باتصال النفس بالملكوت، لما بينهما من التناسب عند فراها من تدبير البدن أدنى فراغ، فتتصور بما فيها مما يليق من المعاني الحاصلة هناك، ثم إن المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه، فترسلها إلى الحس المشترك فتصير مشاهدة، ثم إذا كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت إلا بالكلية أو الجزئية، استغنت الرؤيا عن التعبير وإلا احتاجت إليه"[2].

٤) كيفية تعبير الرؤى:

قال البغوي: واعلم أن تأويل الرؤيا قد يكون بدلالة من جهة الكتاب، أو من جهة السنة، أو من الأمثال السائرة بين الناس، وقد يقع التأويل على الأسماء والمعاني، وقد يقع على الضد والقلب.

أ- فالتأويل بدلالة القرآن، كالحبل يعبر بالعهد، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ**﴾ {آل عمران: ١٠٣}، والسفينة تعبر بالنجاة، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ**﴾ {العنكبوت: ١٥}، والخشب يعبر بالنفاق لقوله -ﷻ-: ﴿**كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ**﴾ {المنافقون: ٤}، والحجارة تعبر بالقسوة لقوله جل ذكره: ﴿**فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾ {البقرة: ٧٤}، والمرض بالنفاق، لقوله تبارك وتعالى: ﴿**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**﴾ {البقرة: ١٠}، والبيض يعبر بالنساء، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ**﴾ {الصافات: ٤٩}.

ب- وأما التأويل بدلالة الحديث كالغراب، يعبر بالرجل الفاسق، لأن النبي -ﷺ- سماه فاسقاً، والفأرة تعبر بالمرأة الفاسقة، لأن النبي -ﷺ- سماها فويسقة. والضلع يعبر بالمرأة، لقوله -ﷺ-: **(إن المرأة خلقت من ضلع أعوج)**[1]، والقوارير تعبر بالنساء، لقوله -ﷺ-: **(يا أنجشة رويدك لا تكسر القوارير)**[2].

---

[1]- تفسير القرطبي (١٢٥/٩).

[2]- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢٥٢/٤).

١- البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم -صلوات الله عليه- وذريته (٣٣٣١)، (١٣٣/٤).

٢- رواه مسلم، باب في رحمة النبي -ﷺ- للنساء وأمر السواق مطاياهن بالرفق بهن (٦٠٧٠)، (١١/١).

ت- والتأويل بالأمثال كالصائغ يعبر بالكذب، لقولهم: **(أكذب الناس الصواغون)**[1]، وحفر الحفرة يعبر يعبر بالمكر، لقولهم: **(من حفر حفرة وقع فيها)**[2]، قال الله تعالى: **﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ﴾** {فاطر: ٤٣}، والحاطب يعبر بالنمام، لقولهم لمن وشى: إنه يحطب عليه، وفسروا قوله سبحانه وتعالى: **﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾** {المسد: ٤} بالنميمة، ويعبر طول اليد بصنائع المعروف، لقوله: فلان أطول يداً من فلان ويعبر الرمي بالحجارة والسهم بالقذف، لقولهم رمى فلاناً بفاحشة، قال الله -ﷻ-: **﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾** {النور: ٤}، ويعبر غسل اليد باليأس عما يأمل، لقولهم: غسلت يدي عنك.

ث- والتأويل بالأسامي، كمن رأى رجلاً يسمى راشداً يعبر عن الرشد، وإن كان يسمى سالماً يعبر بالسلامة، عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: **(رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأنا في دار عقبة بن رافع، فأتينا برطب من رطب ابن طاب، فأولت الرفعة لنا في الدنيا، والعاقبة في الآخرة، وأن ديننا قد طاب)**[3].[4]

جزاء من تكلم كذبا بالرؤيا:

عن ابن عباس – رضي الله عنهما- عن النبي -ﷺ- قال تعالى: **(من تحلم كاذبا كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين، ولن يعقد بينهما)**[5]، فالذي يكذب في الحلم يأتي يوم القيامة ويكلف أن يربط حبتين شعير مع بعضهما، وهو لن يستطيع، فيعذب بذلك، فإما أن تربط أو تعذب. "لأن الرؤيا نوع من الوحي يريه الله عبده فمن كذب فيه فقد كذب في نوع من الوحي فاستحق التعذيب بتكليفه مالا يمكنه"[1].

١- نثر الدر، أبو سعد منصور بن الحسين الآبي (١/ج٢٢٩).

٢- العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي (ص٤٥٣)

٣- صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، باب في الرؤيا باب رؤيا النبي -ﷺ- (ح٢٢٧٠)، (١٧٧٩/٤).

٤- انظر: شرح السنة للبغوي (٢٢٠/١٢-٢٢٢).

٥- سنن الترمذي، بَاب فِي الَّذِي يَكْذِبُ فِي حُلْمِهِ (ح٢٢٨٣)، (١٢٤/٤)، وصححه الالباني.

١- التيسير بشرح الجامع الصغير (٨٥٣/٢).

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة يوسف من الآية (٤٣-٤٦)

وفيه مطلبين:

المطلب الأول: رؤيا الملك وعجزهم عن تعبيرها.

المطلب الثاني: تذكر الفتى الناجي يوسف الصديق -عليه السلام-.

المطلب الاول

رؤيا الملك وعجزهم عن تعبيرها

قال تعالى: **﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ * قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾** {يوسف: ٤٣-٤٤}.

أولاً: المعاني اللغوية:

١) **﴿بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾**: السِّمَنُ: "ضدّ الهزال، يقال: سَمِينٌ وسِمَانٌ، وأَسْمَنْتُهُ وسَمَّنْتُهُ: جعلته سمينا"[١]، قال تعالى: **﴿لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾** {الغاشية:٧}.

٢) **﴿سَبْعٌ عِجَافٌ﴾**: "جمعُ أَعْجَفَ، وعَجْفَاءَ، أي: الدّقيق من الهُزال[٢]، "والتي قد بلغت في الهزال النّهاية"[٣]، والجمع "عِجَاف"[٤].

٣) **﴿سُنْبُلَاتٍ﴾**: "والسُّنْبُلَةُ جمعها سَنَابِلُ، وهي ما على الزّرع"[٥]، قال تعالى: **﴿سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ﴾** {البقرة:٢٦١}.

٤) **﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾**: أي: "هي ما التبس منها ولم يتبيّن حقائقها"[٦]، أي: "أخْلاط أحلام. مثل أضْغَاث النبات يجمعها الرجل فيكون فيها ضُرُوب مختلفة. والأحلام واحدها حُلُم"[١].

ثانيا: الجوانب البلاغة:

١) **﴿أضغاث أحلام﴾**: جمع ضغث وهو "خبر للرؤيا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان؛ لانطوائه على أشياء متباينة، ولفظ الجمع كما يدل على "كثرة الذوات يدل أيضاً على المبالغة في الاتِّصاف"[٢].

---

[١]- المفردات في غريب القرآن (ص٤٢٧).

[٢]- المفردات في غريب القرآن (ص٥٤٨).

[٣]- التبيان في تفسير غريب القرآن(ص١٩٨).

[٤]- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز(٢٢/٤).

[٥]- المفردات في غريب القرآن(ص٣٩٦).

[٦]- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز(٤٨٠/٣).

[١]- غريب القرآن (ص٢١٧).

[٢]- اعراب القران (٥٠٦/٤).

٢) "التشبيه بالاستعارة حيث شبه اختلاط الأحلام المشتملة على المحبوب والمكروه والسَّار والمحزن باختلاط الحشيش المجموع من أصناف متنوعة"[١].

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

رأى ملكُ مصر في النوم سبع بقراتٍ سمانٍ خرجن من نهرٍ يابسٍ، ثم "خرج عَقِيبَهُنَّ سبعُ بقراتٍ عجافٍ في غايةِ الهُزال، فابتلعتِ العجافُ السِّمان، ورأى سبعَ سُنبلاتٍ خُضرٍ، قد انعقد حبُّها، وسبعاً أخر يابساتٍ، قد استحصدت، فالتوتِ اليابساتُ على الخضرِ حتَّى غلبْنَ عليها، فلم يبق من خضرتها شيءٌ؛ فجمع الكهنة، والسَّحرة، والنجامة، والمُعبِّرين، وقصَّ عليهم رؤياه؛ ﴿...**قالوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ**﴾، أخلاط أحلامٍ مُشْتبهَةٌ أهاويلُ"[٢].

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) قال ابن عاشور: "وكان تعبير الرؤيا مما يشتغلون به. وكان الكهنة منهم يعدونه من علومهم ولهم قواعد في حل رموز ما يراه النائم، وقد وجدت في آثار القبط أوراق من البردي فيها ضوابط وقواعد لتعبير الرؤى، فإن استفتاء صاحبي السجن يوسف -عليه السلام- في رؤييهما ينبئ بأن ذلك شائع فيهم، وسؤال الملك أهل ملأه تعبير رؤياه ينبئ عن احتواء ذلك الملأ على من يظن بهم علم تعبير الرؤيا، ولا يخلو ملأ الملك من حضور كهان من شأنهم تعبير الرؤيا"[٣]. "وفي ذلك جواز أن الرؤيا الصالحة قد يراها الكافر والفاسق"[٤].

٢) **يوجد في هذه السورة خمسة مرائي:**

الأولى: رؤيا يوسف أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين له.

والثانية: رؤيا رئيس السقاة أنه يعصر خمراً.

والثالثة: رؤيا رئيس الخبازين أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه.

والرابعة والخامسة: ورؤيا الملك البقرات ثم رؤياه السنابل، وكل ذلك رؤياه.

والجواب: أن هذا التعدد "إما للتأكيد، وإما أن الإشارة بالسبع بقرات إلى الثروة الحيوانية، وبالسبع سنبلات إلى الثروة الزراعية، ومعلوم مقدار ارتباط الثروة الزراعية بالثروة الحيوانية"[١].

---

[١]- التفسير المنير (٢٧٤/١٢).

[٢]- اللباب في علوم الكتاب(١١٢/١١).

[٣]- التحرير والتنوير (٢٨١/١٢).

[٤]- أيسر التفاسير (٢١٣/٢).

١- سورة يوسف دراسة تحليلية (ص٤٠٢).

ويري الباحث أن رؤيا الملك للبقرات والسنابل، إنما هي رؤيا واحدة، بدليل ظاهر النص القرآني.

٣) إن الرؤيا على أول ما تعبر، قال القرطبي: "وفي الآية دليل على بطلان قول من يقول: إن الرؤيا على أول ما تعبر؛ لأن القوم قالوا "أضغاث أحلام" ولم تقع كذلك، فإن يوسف فسرها على سني الجدب والخصب، فكان كما عبر، وفيها دليل على فساد أن **(الرؤيا على رجل طائر فإن عبرت وقعت)**[١].[٢]

قال الإمام العلامة الألباني –رحمه الله– في السلسلة الصحيحة، معلقاً على حديث "الرؤيا على رجل طائر...): "والحديث صريح بأن الرؤيا تقع على مثل ما تعبر، ولذلك أرشدنا رسول الله –ﷺ– إلى أن لا نقصها إلا على ناصح أو عالم؛ لأن المفروض أن يختار أحسن المعاني في تأويلها، فتقع على وفق ذلك، لكن مما لا ريب فيه أن ذلك مقيد بما إذا كان التعبير مما تحتمله الرؤيا، ولو كان على وجه، وليس خطأ محضاً، وإلا فلا تأثير له حينئذ، والله أعلم."[٣]، وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام البخاري في كتاب التعبير من صحيحه بقوله: باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب، ثم ساق حديث الرجل الذي رأى في المنام ظله، وعبرها أبو بكر الصديق، ثم قال: فأخبرني رسول الله بأبي أنت! أصبت أم أخطأت؟ قال النبي –ﷺ–: **(أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً)**[٤].

ولذلك فكلام القرطبي فيه نظر من وجوه:

- الأول: "أنه في مقابل النصوص الصحيحة الصريحة، وما كان كذلك، فهو رد على صاحبه.
- الثاني: أنه استنباط خطأ وفهم مغلوط للآية؛ لأن الملأ لم يعبروا الرؤيا، وقولهم "أضغاث أحلام" لا يعد تأويلًا، ولذلك قالوا: **﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ﴾**.
- الثالث: أن الذي عبر رؤيا الملك هو يوسف –عليه السلام– لا الملأ.
- الرابع: أن قول الملأ لو كان تأويلاً؛ فهو خطأ محض، وهو على هذا الوجه لا تأثير له[١].

١– سنن الترمذي كتاب الرؤيا بَاب مَا جَاءَ فِي تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا(٢٢٧٨)، (١٢٢/٤). وصححه الألباني.

٢– الجامع لأحكام القرآن (٢٠١/٩).

٣– السلسلة الصحيحة (١١٩/١).

٤– رواه البخاري كتاب التعبير باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب (٧٠٤٦) ٤٤/٩. ومسلم كتاب الرؤيا باب في تأويل الرؤيا (٦٠٦٦) ٥٥/٧.

١– انظر: إتحاف الإلف بذكر الفوائد الألف والنيف من سورة يوسف (٥٢٦/١–٥٢٤).

المطلب الثاني

تذكر الفتى الناجي يوسف الصديق -عليه السلام-

قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ* يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونِ**﴾ {يوسف: ٤٥، ٤٦}.

أولاً: المعاني اللغوية:

١) **﴿الصِّدِّيقُ﴾:** "أصله صفةُ مبالغة مشتقة من الصّدْق، وغلب استعمال وصف الصدّيق استعمال اللقب الجامع لمعاني الكمال واستقامة السلوك في طاعة الله تعالى، لأن تلك المعاني لا تجتمع إلا لمن قوي صدقه في الوفاء بعهد الدين"[١].

٢) **﴿أَفْتِنَا﴾:** "أصل الإفتاء والفُتيا تبيين المشكل من الأحكام، أصله من الفتيِّ، وهو الشاب الحدث الذي شب وقوي فكأنه يُقوِّي ما أشكل ببيانه، فيشب ويصير فَتيا قوياً وأفتى المفتي، إذا أحدث حكما"[٢].

ثانياً: الجوانب البلاغية:

- **﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾:** "فيه براعة الاستعطاف بالثناء للوصول إلى الجواب"[٣].

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

لمّا كان المعلوم للّه والمحكوم أن يوسف -عليه السلام- يكون في ذلك الوقت هو من يعبّر الرؤيا، "ولم يحصل للملك ثلج الصّدر إلا بتعبير يوسف، ليعلم أنّ اللّه -سبحانه- إذا أراد أمرًا سهل أسبابه"[١]. فقالوا له بكل تواضع، من خلال الخطاب، أيها الرجل الكريم المصداق في أقواله وأفعاله، الصدوق العالم الخبير بتعبير الأحلام: أفتنا في رؤيا الملك، لعل الله يجعل لك مخرجا. فقصّ عليه خبر البقرات الهزيلات اللاتي يأكلن البقرات السّمان، وسبع سنبلات خضراوات وأخر يابسات، لعلي أعود إلى الناس ليعلموا حقيقة هذه الرّؤيا.

---

[١]- التحرير والتنوير (٢٨٤/١٢).

[٢]- لسان العرب (١٤٥/١٥)، تهذيب اللغة (ص٢٥).

[٣]- التفسير المنير (٢٧٤/١٢).

[١]- لطائف الإشارات (ص١٨٧).

ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) إن يوسف أراد أن يأخذ بأسباب الخلاص من السجن، فقال للذي ظَنَ أنَّه ناج من صاحبيه في السجن: اذكرني عند ربّك. فأدَّبه الله ببقائه في السجن بضع سنين، ليعلق قلبه بربِّه دون غيره، ويتم له صدق التوكّل عليه وحده –سبحانه–دون سواه.

ولقد شاء أن تكون نجاته بما آتاه اللّه من العلم، وبما علَمه من تأويل الأحاديث، لا بشفاعة أحد، ليكون بذلك أكرم له، وأعزَ لنفسه، ولئلا يكون لأحد منَة عليه سوى الله، فأرى الله ملك مصر رؤيا، هاله أمرها، وعجز أشراف قومه ووجهاؤهم عن تعبيرها، وقالوا: أضغاث أحلام، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين!!.

٢) جمع الله هذا الوصف مع صفة النبوة في يوسف –عليه السلام–، وان كان الكلام على لسان الفتى، فهو كذلك، قال أحمد نوفل: "وصف يوسف بالصديق الذي انطلقت من لسان الساقي صار من الأوصاف اللازمة لاسم يوسف –عليه السلام– فلا يترجم له في الغالب إلا مقترناً بالاسم والوصف: يوسف الصديق، وإنما حاز هذا الوصف من صدقه البالغ وتأويله الصحيح لرؤيا السجينين"[١].

والصديقية رتبة من أربع رتب رسمية، ولقب من ألقاب أربعة سماوية، وهي (نبي، صديق، شهيد، وصالح)، هؤلاء الأربعة هم المنعم عليهم في قوله تعالى: **﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾** (الفاتحة: ٧)، والدليل على ذلك كله قوله تعالى: **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾** (النساء: ٦٩).

وهذا ما يشهد به استعمال القرآن في آيات كثيرة مثل قوله: **﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾** (النساء: ٦٩)،وقوله: **﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾** (المائدة: ٧٥)، وما لقب النبي –ﷺ– أبا بكر بالصديق في قوله في حديث رجف جبل أحد، فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ –رضي الله عنه– حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ –ﷺ– صَعِدَ أُحُدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ فَقَالَ: **(اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ)**[١]، من أجل ذلك أجمع أصحاب رسول الله –ﷺ– ومنهم علي بن أبي طالب على أن أبا بكر –رضي الله عنه– أفضل الأمة بعد النبي –ﷺ–، وقد جمع الله هذا الوصف مع صفة النبوة في قوله: **﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾** (مريم: ٤١).

---

[١]– تفسير سورة يوسف –تحليليا–(ص٤١٨).

[١]– صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ –ﷺ– لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا (ح٣٦٧٥)، (٩/٥).

٣) أمانة الفتي الناقل: لقد أسرع الفتى إلى يوسف متلهفًا، فهو أسير أحد أمرين:

١. تذكره يوسف في الحال، الذي طلب منه ذلك.

٢. تلبية طلب سيده –ملك مصر– في فك اللغز الذي رآه في المنام، وعجز عن تعبيره بطانة الملك المقربة.

والعجيب أن الساقي قد أتقن عمله، ودار الحديث كما يجب، وذلك أن "الساقي أعاد السؤال بعين اللفظ الذي ذكره الملك، ونِعمَ ما فعل فإن تعبير الرؤيا قد يختلف بسبب اختلاف اللفظ كما هو مذكور"[١]، وكذلك "إعادة العبارات المحكية عن الملك بعينها شارة على أنه بلغ السؤال كما تلقاه، وذلك تمام أمانة الناقل"[٢]، ثم إن السياق القرآني اثبت الرؤيا، وأعادها مرة اخرى على لسان الساقي ليبين لنا الدقة في النقل وكيف تكون، وليرشدنا إلى أهمية ذلك، وأيضاً ليجيء تأويلها ملاصقاً في السياق لذكرها[٣].

---

[١]– تفسير الفخر الرازي (١٨/٤٦٥).

[٢]– التحرير والتنوير (١٢/ ٢٨٥).

[٣]– انظر: في ظلال القران(٤/ ٣١٣).

المبحث الرابع

المقاصد والأهداف لسورة يوسف من الآية (٤٧-٥٢)

وفيه مطلبين:

المطلب الأول: تعبير يوسف -عليه السلام- لرؤيا الملك.

المطلب الثاني: الملك يتولى بنفسه القضية وإظهار الحقيقة.

المطلب الأول

تعبير يوسف -عليه السلام- لرؤيا الملك

قال تعالى: ﴿**قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ**﴾ {يوسف: ٤٧-٤٩}.

أولاً: المعاني اللغوية:

١) **﴿دَأَبًا﴾**: "الملازمة للشيء والعادة"[١].

٢) **﴿حَصَدْتُمْ﴾**: "أصل الحصد قطع الزرع، وزمن الحصاد والحصاد كقولك زمن الجداد والجداد"[٢].

٣) **﴿سُنْبُلِهِ﴾**: "هو جزء النبات الذي يتكون فيه الحب، والسنبلة واحدة السنبل"[٣].

٤) **﴿تُحْصِنُونَ﴾**: "الحصن جمعه حصون، أي تحرزون في المواضع الحصينة الجارية مجرى الحصن"[٤].

٥) **﴿يُغَاثُ﴾**: "طلبُ الغَوْث وهو النصرُ والعَوْن وقيل: الاستغاثةُ سَدُّ الخَلَّة وقت الحاجة"[٥].

ثانياً: الجوانب البلاغية:

١) **﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾** "فيه براعة استهلال تتضمن الاستعطاف بالثناء للوصول إلى الجواب"[١].

٢) **﴿قَالَ تَزْرَعُونَ﴾**: "قال استئناف مبنى على السؤال، كأنه قيل: ماذا قال يوسف في التأويل؟ فقيل: "قال تزرعون"[٢].

١- التبيان في تفسير غريب القرآن(ص٢٤٦).

٢- غريب القرآن(ص١٢٠).

٣- المعجم الوسيط(ص٤٥٣).

٤- غريب القرآن (ص١٢١).

٥- الدر المصون في علم الكتاب المكنون (٢٠٧/٢).

١- التفسير المنير(٢٧٤/١٢).

٢- تفسير أبي السعود (١٥٩/١).

٣) **﴿سَبْعَ سِنِينَ﴾**: لفظ السنين ولفظ الأعوام:

لفظ (السنين) يستعمل لسنوات القحط والجدب، لفظ (الأعوام) يستعمل في أعوام الخصب والخير، **﴿ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾**: "فيه مجاز، لأنه نسب الفعل والأكل إلى الزمان، وأن الإنسان لا يدخر للمستقبل، بل لنفسه في المستقبل"[١].

ثالثاً: القراءات القرآنية:

١) **﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾**: قرأ الكوفيون إلّا عاصما «وفيه تعصرون» بالتاء خطابا[٢].

رابعاً: المعنى الإجمالي:

أجاب يوسف الساقي "من غير لوم ولا عتاب، ومن غير اشتراط للخروج من السجن، بأنه يأتيكم سبع سنوات خصبة متوالية، فما حصدتم فاتركوه في سنبله لئلا يأكله السوس، إلا القدر القليل الكافي للأكل الضروري، فهذه السنوات السبع هي البقرات السّمان والسّنابل الخضراء السّبع. ثم يأتي بعد ذلك سبع سنين جدباء يأكل أهلها كل مدّخرات السنوات السابقة إلا قليلًا مما تدّخرون للبذر.

وهذا الإخبار من مغيبات المستقبل من وحي الله وإلهامه، لا مجرّد تعبير للرّؤيا، فهو بشارة في العام الخامس عشر بعد تأويل الرّؤيا بمجيء عام مبارك خصيب، كثير الخير، غزير النّعم، وهو إخبار من جهة الوحي الإلهي"[٣].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) سأل الساقي يوسف –عليه السلام– عن تأويل رؤيا الملك التي قصها عليه، فلم يشترط لنفسه شرطاً، أو يطلب لنفسه طلباً، بل لعل حسن استقباله للساقي قد ألهاه حتى عن تقديم العذر له عن التأخير، وليس هذا بعجيب ولا بغريب على يوسف –عليه السلام– الذي اختاره الله تعالى واصطفاه لحمل الدعوة الإلهية إلى الناس، لا يمكن أن يمتنع أبداً عن تقديم العطاء الإلهي الذي علمه الله تعالى إياه ولا أن يكتمه، ولو كان تقديم هذا العلم إلى من آذوه وسجنوه وافتروا عليه وهو الطاهر البريء، ولقد عجب المصطفى محمد –صلى الله عليه وسلم– فقال: **(عجبت لصبر أخي يوسف و كرمه –والله يغفر له– حيث أرسل إليه ليستفتي في الرؤية، و لو كنت أنا لم**

١– القول المنصف في تفسير سورة يوسف (ص١٢٢).

٢– النشر في القراءات العشر (٢/٢٩٥).

٣– بتصرف يسير: التفسير الوسيط (١٢/١١٢).

أفعل حتى أخرج، و عجبت لصبره و كرمه -والله يغفر له- أتى ليخرج فلم يخرج حتى أخبرهم بعذره، ولو كنت أنا لبادرت الباب)[1]، ومعلوم أن هذا القول من رسولنا محمد -ﷺ- هو من فرائد تواضعه -ﷺ- لإخوانه الأنبياء.

٢) **لفظ السنين ولفظ الأعوام:**

"لفظ السنين يستعمل لسنوات الجدب والقحط، ولفظ الأعوام يستعمل في أعوام الخصب والخير، ويتفق قوله تعالى: **﴿فذروه في سنبله﴾** مع ما وصل إليه العلم الحديث من "أن ترك الحب في سنابله عند تخزينه وقاية له من التلف بالعوامل الجوية والآفات، وفوق ذلك يبقيه"[2]، محافظاً على محتوياته الغذائية كاملة، وأن ذلك الإلهام كان لنبي من أنبياء الله تعالى هو يوسف -عليه السلام- ومعنى **﴿فما حصدتم فذروه في سنبله﴾** أي: فما حصدتم في كل سنة، فادخروه في سنبله ولا تدوسوه، فإن الحب ما دام في السنبل يبقى سالماً لا يأكله السوس، وإذا خرج وادخر في المخزن تعرض للفساد والتسوس"[3]. وقوله تعالى: **﴿يأكلن ما قدمتم لهن﴾**، "تدل بكل وضوح على أن هذه السنوات السبع العجاف، لديها القدرة لأن تبتلع كل ما يقدم لها من طعام، حتى تكاد تأتي على الطعام كله، باستثناء القليل جداً من الذي سبق أن وضعوه في حصن حصين وحرز أمين، وهو ما يشير إليه قوله تعالى في الجزئية الأخيرة"[4].

وقد قصد الشرع إرشاد الناس إلى ما يحقق مصالحهما الدنيوية؛ "ليحصل لهم التمكن من معرفة الله تعالى وعبادته الموصلتين إلى السعادة الأخروية، ومراعاة ذلك فضلٌ من الله -عز وجل- ورحمةٌ رحم بها عباده من غير وجوب عليه ولا استحقاق"[1].

٣) إن الملك ترتبط به أحوال الرعية ومصالحها، "وبصلاحه تصلح، وبفساده تفسد، وكذلك السنوات، بها صلاح أحوال الرعية واستقامة أمر المعاش، أو عدمه، وأما البقر، فإنها تحرث الأرض عليها، ويستسقي عليها الماء، وإذا أخصبت السنة، سمنت، وإذا أجدبت، صارت

---

[1]- صحيح الجامع (٧٤٣١)، (٢/ ٧٣٧).

٢- موسوعة سورة يوسف ص(٢/٩٨٦).

٣- موسوعة تفسير سورة يوسف (٢/٩٨٧).

٤- موسوعة تفسير سورة يوسف (٢/٩٩٣).

١- موسوعة تفسير سورة يوسف (٢/٩٨٨).

عجافاً، وكذلك السنابل في الخصب، تكر وتخضرّ، وفي الجدب، تقل وتيبس، وهي أفضل غلال الأرض"[1].

٤) **إن إخبار يوسف** -عليه السلام- **عن العام الخامس عشر لم يكن في رؤيا ملكهم**، فذهب أكثر المفسرين إلى أن يوسف -عليه السلام- "قد علم تفصيل حال العام الخامس عشر عن طريق الوحي، فهو خبر من يوسف -عليه السلام- للقوم عما لم يكن من رؤيا ملكهم، ولكنه من علم الغيب الذي آتاه الله إياه، دلالة على نبوته، وذهب بعض المفسرين إلى أن الإخبار عن العام الخامس عشر من يوسف -عليه السلام- قد فهمه من التعبير بالسبع الشداد، فإن العام الذي يليها تزول به شدتها، ومن المعلوم أنه لا يزول الجدب المستمر سبع سنوات متواليات، إلا بعام مخصب جداً، وإلا لما كان للتقدير فائدة"[2].

والقول الراجح هو القول الأول: بأن هذا الإخبار عن العام الخامس عشر كان عن طريق الوحي، قال الإمام الفخر الرازي: "فإن قيل لما كانت العجاف سبعاً دل ذلك على أن السنين المجدبة لا تزيد على هذا العدد ومن المعلوم أن الحاصل بعد انقضاء القحط هو الخصب وكان هذا أيضاً من مدلولات المنام فلم قلتم إنه حصل بالوحي والإلهام، "قلنا هب أن تبدل القحط بالخصب معلوم من المنام أما تفصيل الحال فيه وهو قوله: ﴿**فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ**﴾ لا يعلم إلا بالوحي"[3] وقد أكد الإمام أبو حيان الأندلسي بحال العام هو "من جهة الوحي"[4].

٥) **ملامح تأويل يوسف** -عليه السلام- **لرؤيا الملك:**

أ – تضمن تأويل يوسف -عليه السلام- للرؤيا ثلاثة أنواع من القول:

"الأول: تعبير المعنى لا اللفظ.

الثاني: عرض رأيه وأمر به، وهو قوله: ﴿**فذروه في سنبله**﴾.

الثالث: الإعلام بالغيب في أمر العام الثامن بعد السبع الشداد"[1].

ب–عبر الرؤيا بجميع ما دلت عليه:

"فالبقرات لسنين الزراعة، لأن البقرة تتخذ للإثمار، والسمن رمز الخصب، والعجف رمز للقحط،

١- تيسير الكريم (٢/٤٥٤).

٢- تيسير الكريم الرحمن (ص٣٩٩).

٣- مفاتيح الغيب (١٨/١٢١).

٤- تفسير البحر(٥/٣١٤).

١- تفسير البحر (٥/٣١٤).

والسنبلات رمز للأقوات، فالسنبلات الخضر رمز لطعام ينتفع به، وكونها سبعاً رمز للانتفاع به في السبع سنين، فكل سنبلة رمز لطعام سنة، فذلك يقتاتونه في تلك السنين جديداً، والسنبلات اليابسات رمز لما يدخر، وكونها سبعاً رمز لادخارها في سبع سنين، لأن البقرات العجاف أكلت البقرات السمان، وتأويل ذلك سني الجدب أتت على ما أثمرته سنو الخصب"[1].

ج-أعطى -عليه السلام- مع التأويل التدبير المحكم:

لم يكتف -عليه السلام- بتأويل رؤيا الملك، بل أعطى مع هذا التأويل التدبير المحكم الذي ينبغي أن يكون على جانب ما كشفت عنه الرؤيا من أحداث، لقد كان يمكن له -عليه السلام- أن يقول في الرؤيا: إن مصر تستقبل منذ اليوم سبع سنين من الخصب، ذلك تأويل سبع البقرات السمان الذي يأكلهن سبع عجاف، وسبع السنبلات الخضر وسبع السنبلات اليابسات، كان يمكن له -عليه السلام- أن يقف عند هذا الحد من تأويل الرؤيا، ولكن هذا التأويل يصبح عديم الجدوى؛ إذ لم يقم من ورائه التدبير المحكم المناسب له.

د – اشتمال التأويل على البشريات الطيبة:

فقد بشرهم -عليه السلام- بأن ما يختزنونه من القوت خلال سني الرخاء سيغطي احتياجات سني المجاعة ويفيض منه القليل، "وفي ذلك أحسن بشرى بأن المجاعة ستنتهي بسلام، كما بشرهم بالخصب والنماء في العام الخامس عشر فيعصر فيه الناس ما جرت عادتهم بعصره في وقت الرخاء، من وزيتون وعنب وسمسم وكتان وغير ذلك"[2].

٦) تعبير يوسف فيه من الحكم والفوائد ما يلي:

أ-سبب في خروجه من السجن

ب-أنه سبب في قربه من الملك.

ج-أنه سبب في براءته.

د-أنه وسيلة من أكبر الوسائل في معرفة الناس به، لأنه أصبح والياً على مصر.

و-سبب في قدوم أخوته وأبويه[1].

---

[1]- التحرير والتنوير (٢٨٦/١٢).

[2]- انظر: موسوعة تفسير سورة يوسف (١٠٠٣/٢).

[1]- انظر: مؤتمر تفسير سورة يوسف (٧٩٤/٢-٧٩٦).

٧) لقد اشتملت خطة يوسف -عليه السلام- للوصول بالشعب المصري إلى بر الأمان على كل عناصر النجاح:

١- التخطيط الدقيق، وعناصره:

أ- طويل الأمد لمدة خمسة عشر عاماً.

ب-تنفيذه على مراحل: تزرعون سبع سنين دأباً، ثم يأتي بعد ذلك سبع شداد، ثم يأتي من بعد ذلك عام يغاث فيه الناس.

ت-زيادة الإنتاجية في المرحلة الأولى للوصول إلى أعلى مستويات الأداء وباستخدام أقل ما يمكن من الموارد، واستخدام كل الطاقات الموجودة بزيادة نسبة التشغيل والفعالية.

ث-تحديد الأهداف واستشراف المستقبل.

٢- الترتيب المحكم، ودعائمه:

أ- ""الإنتاج والادخار وترشيد الاستهلاك.

ب-حفظ المقادير الزائدة بطرق علمية لكي لا يفسدها السوس والرطوبة.

ت-إعادة استثمار المدخرات.

ث-التوازن بين الإنتاج والاستهلاك والادخار.

ج- الخبير الخريب.

٣- رجاء بالله كبير. وهو ما تضمنه بث الأمل في النفوس"[١].

[١]- إتحاف الإلف بذكر الفوائد الألف والنيف من سورة يوسف (٥٦٣/١).

المطلب الثاني

الملك يتولى بنفسه القضية وإظهار الحقيقة

قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ * قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ**﴾ {يوسف: ٥٠-٥٢}.

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿حَصْحَصَ﴾ "الحِصَّةُ بالكسر النصيب وأحَصَّهُ أعطاه نصيبه وتَحَاصَّ القوم أي اقتسموا حصصا وكذا المُحَاصَّةُ وحَصْحَصَ الشيء بان وظهر"[١]، "أي وضح وذلك بانكشاف ما يقهره"[٢].

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

أعجب الملك بهذا التأويل إعجاباً شديداً، "فأرسل ليوسف -عليه السلام-، فلم يتعجل يوسف -عليه السلام- الخروج، بل قال لرسول الملك﴿**ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ**﴾، هكذا أراد يوسف -عليه السلام- أن يبرئ ساحته قبل الخروج، فأخذ من ذلك مشروعية دفع الشبهات التي ترد على الشخص"[٣]، "نعلم أن المُرَاودة الأولى ليوسف كانت من امرأة العزيز؛ واستعصم يوسف، ثم دَعَتْ هي النسوة إلى مجلسها؛ وقطَّعْنَ أيديهن حين فُوجِئْنَ بجمال يوسف -عليه السلام-، وصدرت منهن إشارات، ودعوات إثارة وانفعال"[٤].

وفي هذه الفقرة الأخيرة تبدو المرأة مؤمنة متحرجة، تبرئ نفسها من خيانة يوسف -عليه السلام- في غيبته، ولكنها تتحفظ فلا تدعي البراءة المطلقة، لأن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ثم تعلن ما يدل على إيمانها بالله تعالى.

وبذلك يسدل الستار على ماضي الآلام في حياة يوسف الصديق، وتبدأ مرحلة الرخاء والعز والتمكين[١].

---

[١]- مختار الصحاح (ص١٦٧).

[٢]- المفردات في غريب القرآن (ص١٢٠).

[٣]- سلسلة التفسير (ص١٢٧).

[٤]- تفسير الشعراوي (٤٤٢/١).

١- انظر: في ظلال القرآن(ص٣١٦/٤).

ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

١) لما عاد رسول الملك –الساقي–إلى يوسف –عليه السلام– ليبلغه قرار الملك بإخراجه من السجن وحضوره بين يديه، "كان يتوقع من يوسف أن يطير فرحاً بهذا الأمر الملكي ويبادر بالخروج من السجن للقاء الملك، لكنه وبعد أن أبلغه بالأمر فوجئ به –عليه السلام– يرفض الخروج"[١].

وإن موقفه الرائع هذا ليدلنا على أننا نقف أما شخصية فذَّة عجيبة، آية في الهدوء والرزانة والصبر وقوة الاحتمال، قال الزمخشري "إذا فهو –عليه السلام– قد قدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه، لئلا يتسلق الحاسدون إلى تقبيح أمره عند الملك ويجعلوه سلماً إلى حط منزلته لديه، ولئلا يقولوا: ما خُلِّد في السجن سبع سنين إلا لأمر عظيم وجرم كبير حُق أن يسجن ويعذب ويُستكفَّ شرُّه"[٢].

وقد وردت السنة المطهرة بمدحه على ذلك، والتنبيه على فضله وشرفه وعلو قدره وصبره –عليه السلام– قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: **(لَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ ثُمَّ أَتَانِي الدَّاعِي لَأَجَبْتُهُ)**[٣].

٢) **الحكمة من توجيه الاستفسار عن قضيته إلى الملك نفسه:**

إن في توجيهه –عليه السلام– السؤال عن قضيته إلى الملك نفسه تصعيد مقصود، ليتولى الملك القضية بنفسه، وليصدر الحكم بالبراءة على يديه، فلا يستطيع أحد بعد ذلك مهما كان مركزه في الدولة، أن يخالف قرار الملك وحكمه، على عكس ما لو تولى القضية أحد رجالات الدولة أو قضاتها ممن هم تحت الملك، إذاً لأمكن نقض الحكم، وإثارة الشكوك حوله لإضعاف مكانة يوسف عند الملك بعد ذلك لو أرادوا، "ولهذا فقد أراد –عليه السلام– أن يرأس الملك مجلس التحقيق بنفسه، حتى يصدر الحكم دون تأثر بأية شخصية، ويكون نهائياً، لا يجوز التعقيب عليه لصدوره من أعلى سلطه قضائية في البلاد، ثم إنَّ هذا الحكم سيكون حصانة له ضد كيد النسوة، فلا يستطعن الكيد له أبداً بعد مثولهنَّ أمام مجلس الملك"[١]، فهو –عليه السلام– قد جعل علم الله سبحانه وتعالى بما وقع عليه من "الكيد منهن مغنياً عن التصريح"[٢]، وهذه الجزئية الأخيرة في الآية الكريمة، يتبين منها حينما تصل على أذن الملك، أن كيد النسوة وراء الزج بيوسف في السجن.

١– موسوعة تفسير سورة يوسف (٢/ ١٠١٤).

٢– الكشاف (٢٩٣/٣).

٣– صحيح البخاري، كتاب، باب رؤيا أهل السجون والفساد والشرك (ح٢٩٩٢)، (٣٢/٩).

[١]– انظر: يوسف بن يعقوب (٣٢٤–٣٢٩)، موسوعة تفسير سورة يوسف (١٠١٧/٢).

[٢]– فتح البيان (ص١٢٦).

٣) لقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن الذي تولى إعادة التحقيق في قضية يوسف –عليه السلام– مع النسوة هو الملك نفسه وهذه بعض أقوالهم:

أرسل الملك إلى النسوة وإلى امرأة العزيز، وأما العزيز فقد مات، قال الإمام الطبري: "فدعا الملك النسوة اللاتي قطعن أيديهن وامرأة العزيز، فقال لهم: ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه"[١]، والملك هو الذي تولى بنفسه إعادة التحقيق في قضية يوسف–عليه السلام– مع النسوة، وذلك بدلالة الآتي:

أ- دلالة ظاهر النص على أن القائل هو الملك، فيوسف –عليه السلام– قال لرسول الملك –الساقي– بالتحقيق بنفسه لظلت الشبهة قائمة بيوسف–عليه السلام– أمام الناس، لأنه كان صاحبه في السجن.

ب- لم يكن الساقي مؤهلاً للتحقيق في القضية، فهو مجرد خادم ورئيس سقاة ولا خبرة له بذلك، وبعيد جداً وغير معقول أن يكلفه الملك بذلك.

ت- والساقي لا يجوز أن يجرؤ أن يذهب إلى قصور الأمراء والوزراء من كبار رجالات الدولة ليجمع زوجاتهم ويستجوبهنَّ عن القضية، وما كان الملك ليأمره بذلك فيكون سبباً في اعتراض كبار رجال الدولة على هذا الإجراء.

ث- لو قام بالتحقيق غير الملك على أي مستوى من القضاء، لأمكن الطعن في الحكم في قضية يوسف ببراءته وإثارة الشكوك حوله.

ج- كان الملك مهتماً بأمر يوسف –عليه السلام– ومقدراً له كل التقدير، ولذا حرص على أن يقوم هو نفسه بإعادة التحقيق في قضيته.

ح- كان يوسف –عليه السلام– صريحاً في سؤاله الملك نفسه أن يفتش عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن ليتحقق بنفسه من براءته ونزاهته،، وحتى لا يكون لأحد بعد أن يحكم الملك في القضية أن يشكك في الحكم أو يذكر يوسف –عليه السلام– بأي سوء.

خ- وبذلك تثبت براءته القاطعة أمام الناس جميعاً وتقطع ألسنة الذين يحاولون الاصطياد في المال العكر، وليتضح لهم أنه –عليه السلام–هو صاحب الحق على هؤلاء الذين تعدوا عليه دون مبرر اقتضى سجنه، بل ولم يلتفتوا إلى الآيات والبراهين القاطعة ببراءته–عليه السلام–"[١].

٤) امرأة العزيز تعترف بالحقيقة كاملة:

ولما تم قول النسوة، وشهدن بالبراءة ليوسف –عليه السلام– من كل سوء، لم يبق ما عند امرأة

---

[١] تفسير الطبري (١٣٧/١٦).

[١]– موسوعة تفسير سورة يوسف (١٠٢٦/٢-١٠٢٧).

العزيز، فكأنه قيل: فما قالت التي هي أصل هذا الأمر؟ فقيل: "قالت امرأة العزيز" وكانت حاضرة المجلس الملكي، فصرحت بالحقيقة كاملة، لقد كان هذا هو مدلول شهادتها واعترافها أمام القضاء الملكي العالي، فما هو الدافع وراء هذا الاعتراف الصريح منها؟:

- "من العلماء من علل اعترافها بخوفها من شهادة النسوة ضدها بعد أن أقررن ببراءة يوسف –عليه السلام– وخافت أن يشهدن عليها إن أنكرت فأقرت.
- ومنهم من علل اعترافها بأنها كانت واقعة تحت تأثير تأنيب الضمير، فقد كانت السبب في كل ما أصابه من سجن وإيذاء واتهام بما لم يفعل.
- ومنهم من علل اعترافها بأنها لما علمت أن يوسف –عليه السلام– راعى جانبها حيث قال: "ما بال النسوة" ولم يذكرها باسمها، مع أن الفتن كلها إنما نشأت من جهتها كافأته على ذلك باعترافها.
- ومنهم من علل اعترافها بأن من ورائه دافع الإيمان بالله والتصديق برسالة يوسف –عليه السلام– ونبوته"[1].

٥) **هل تزوجت (زليخا) بيوسف** –عليه السلام–؟

إن أكثر كتب التفسير قد ذكرت أن زليخا تزوجت بيوسف –عليه السلام– وكذلك فإن أكثر مؤرخي العرب يذهبون إلى ذلك، والحق أن أمر البت في زواج زليخا من يوسف –عليه السلام– والحكم بصحته لم يرد في أي مصدر يعول عليه، يقول الإمام المحقق ابن عطية الأندلسي: "وروي في نحو هذا من القصص ما لا يوقف على صحته"[2].

لقد أكرم الله (زليخا) بما هو أعظم من الزواج بيوسف –عليه السلام– أكرمها بالإيمان العظيم، وإن هداية الله تعالى لامرأة العزيز، وشرح صدرها للإيمان بيوسف –عليه السلام– ودعوته، هي قمة العطاء الإلهي، وهي النعمة فوق كل نعمة وكفى بها نعمة، وإن مجرد زواجها من يوسف الذي يتعلق به البعض، ويود لو كان صحيحاً، لا يساوي شيئاً بجانب الإيمان.

٦) **المكر لا ينفك عن المرأة:**

إن جواب النسوة ليس هو الجواب المتوقع على سؤال الملك، بل قلن من مكرهن في جوابهن إذا سألن عما عملن من السوء، فحدن عنه، وأجبن بنفي السوء عن يوسف –عليه السلام–.

وهذا من مكرهن وحسن تدبيرهن حيث "ظهرت براءة أنفسهن جملة، وأوقعن امرأة العزيز في

---

[1]– موسوعة تفسير سورة يوسف (١٠٦٤/٢).

٢– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢٥٦/٣).

ضرورة الاعتراف؛ فالأدلة تحاصرها؛ فما عليها إلا الإقرار بتبرئة يوسف –عليه السلام–"[1].

وأخيرا يقول ابن القيم: "فتأمل ما أعجب هذه المرأة! أقرت بالحق، واعتذرت عن محبوبها، ثم اعتذرت عن نفسها، ثم ذكرت السبب الحامل لها على ما فعلت، ثم ختمت ذلك بالطمع في مغفرة الله ورحمته، وأنه إن لم يرحم عبده، وإلا؛ فهو عرضة للشر"[2].

[1]– إتحاف الإلف بذكر الفوائد الألف والنيف من سورة يوسف (٢/٥٨٣).

[2]– روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص٣١٢).

الخاتمة

الخاتمة

وإذ بلغ البحث نهايته، فإنه من المناسب أن أذكر أهم النتائج والتوصيات التي وصل إليها الباحث من خلال هذه الدراسة:

أولاً: النتائج:

١) إن علم مقاصد وأهداف القرآن الكريم يعمل على تقوية الارتباط بين أجزاء القرآن، ويظهر وجهاً من وجوه إعجازه، ويبين أسرار ترتيب سوره وآياته، ويبين معانيه وأهدافه.

٢) التعريف بعلم مقاصد وأهداف الحزب الرابع والعشرين من القرآن الكريم، مبيناً أهمية هذا العلم، وأهم الكتب التي تناولت هذا العلم من خلال كتب التفسير.

٣) سورتي هود ويوسف لهما فضل عظيم، من خلال بيان أهمية هاتين السورتين وفضلهما، وما اشتملت عليهما من أحكام شرعية وآداب.

٤) اشتملت سورتي هود ويوسف على كثير من القضايا المهمة منها: الإصلاح العقائدي والاجتماعي، وكذلك إثبات صدق نبوة محمد -ﷺ-، وأن الرؤى التي رآها يوسف -عليه السلام- في المنام هي حقيقة، وأنها سوف تتحقق.

٥) يدور محور سورة يوسف -عليه السلام- حول نموذج رائع من نماذج الإعجاز في القصص القرآني والذي يدلل ويؤكد على أن هذا القرآن من عند الله تعالى.

٦) من أهم مقاصد وأهداف سورة يوسف -عليه السلام- التسرية عن قلب الرسول -ﷺ- وتهوين أمر المكذبين به، وتوصيل رسالة إلى المشركين المعاندين تحمل في طياتها التذكير والنذير.

٧) حاجة الأمة الإسلامية الملحة إلى الإصلاح الحقيقي والتغيير الجذري في هذه المجتمعات التي تشكو من الظلم والفساد.

٨) وجوب الصبر على الدعوة، وما يجد الداعي من صعوبات في طريق دعوته.

٩) أن الله تعالى يمتحن عباده في دينهم وثباتهم على الحق وقد يمتحن عباده أيضاً في شكرهم لنعمه واعترافهم بآلائه.

١٠) إن أشد الناس ابتلاء هم الأنبياء، لذلك امتحنوا بمحن من أشد المحن والإبتلاءات.

١١) إن منهج القرآن الكريم في التصدي للطغيان هو منهج كامل وشامل ورادع ينتصر لأهل الحق ويسقط الباطل ولو بعد حين.

ثانياً : التوصيات :

يوصي الباحث طلبة العلم بمزيد من الاهتمام بالمواضيع التي تتعلق بالقرآن الكريم، فهو نبع فياض لا يبخل على من ورده، والغوص في أعماق الآيات لاستنباط مفاهيم قرآنية، تساهم في حل مشكلات الواقع المعاصر وفق النظرة القرآنية.

وفي الختام أسألك ربي كما وفقتني لإتمام هذه الدراسة أن تتقبلها مني، وأن تنفعني بها، وأن تجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

أولاً :فهرس الآيات القرآنية:

م	طرف الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
	سورة البقرة		
٠١	فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ	٠١٠	٢١٨
٠٢	وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا	٠٣٤	١٢٤
٠٣	فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ	٠٣٨	٧٩
٠٤	وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ	٤٥	٥١
٠٥	فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً	٠٧٤	٢١٨
٠٦	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا	١٠٤	١١٤
٠٧	يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ	١٥٣	١٢٠
٠٨	وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْ ءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ	١٥٥	١٢٠
٠٩	الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا	١٥٦	١٢٠
٠١٠	أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ	١٥٧	١٢٠
٠١١	إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا	١٦٦	٧٧
٠١٢	وَقالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ	١٦٧	٧٧
٠١٣	يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا	١٦٨	٤٣، ٤٤
٠١٤	وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ	١٧٠	٧٦
٠١٥	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ	١٧٢	٤٥، ٤٦
٠١٦	وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ	١٧٧	١٢٠
٠١٧	وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	١٨٩	٧١
٠١٨	وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ	١٩٩	٥٨
٠١٩	فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا	٢١٣	١٣١
٠٢٠	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ	٢١٩	٤٥
٠٢١	وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُون	٢٥٤	٨٦
٠٢٢	سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ	٢٦١	٢٢١
٠٢٣	وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ	٢٧٠	٨٧، ١١٢
٠٢٤	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ	٢٧٨	٥٥

٠٢٥	فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ	٢٧٩	٥٥
	سورة آل عمران		
٠٢٦	قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي	٠٣١	٧٧
٠٢٧	ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ	٠٤٤	٨٤
٠٢٨	والله لا يحب الظالمين	٠٥٧	٨٦
٠٢٩	مَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ	٠٥٩	٩٢
٠٣٠	وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ	١٠٣	٢١٨
٠٣١	وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ	١٠٤	٤١
٠٣٢	وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا	١٠٥	١٢٩
٠٣٣	إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن	١٢٠	١١٩
٠٣٤	بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ	١٢٥	١٢١
٠٣٥	والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم	١٣٥	١١٧
٠٣٦	حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ	١٥٢	١٣٠
٠٣٧	فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً	١٥٩	٧٠
٠٣٨	أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَ اللَّهِ كَمَنْ باءَ	١٦٢	٧٧
٠٣٩	الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ	١٧٣	٦٧
٠٤٠	فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ	١٧٤	٦٧
٠٤١	إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ	١٧٥	٦٧
٠٤٢	فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ	١٨٤	١٢٤
	سورة النساء		
٠٤٣	وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّه	٠٦٩	٢٢٥
٠٤٤	الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	٠٧٦	١٨٧،١٨٨
٠٤٥	اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ	٠٨٧	٨٩
٠٤٦	ومَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ	١٢٥	٧٧
٠٤٧	يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمْ بُرْهَانٌ	١٧٥	ج
٠٤٨	أَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ	١٧٦	ج
	سورة المائدة		

٤٩.	يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ	٠٠٤	٤٣
٥٠.	وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبا قُرْباناً	٠٢٧	١٥٥
٥١.	وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ	٠٧٥	٢٢٥
٥٢.	لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِى إِسْرَءِيلَ	٠٧٨	١٢٥
٥٣.	كَانُواْ لاَ يَنتَهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ	٠٧٩	١٢٥
	سورة الانعام		
٥٤.	قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا	٠١١	١٢٤
٥٥.	إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ	٠٢١	٧٨
٥٦.	مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ	٠٥٧	١٣٤
٥٧.	واللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ	١٢٤	١٤٨
٥٨.	إن الله لا يهدي القوم الظالمين	١٤٤	٨٧
٥٩.	وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ	١٥٣	٧٧، ٧٩
	سورة الأعراف		
٦٠.	قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ	٠١٢	١٥٣
٦١.	وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ	٠٢١	١٦٠
٦٢.	فاقصص القصص لعلهم يتفكرون	١٧٦	٨٤
	سورة الانفال		
٦٣.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا	٠٢٧	٤٠
٦٤.	وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ	٠٣٣	٥٨
٦٥.	وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ	٠٤٦	١٢٠
٦٦.	وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ	٠٤٣	١٣٠
٦٧.	وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا	٠٤٦	١٣٠
	سورة التوبة		
٦٨.	فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ	٠١١	٥٢
٦٩.	اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ	٠٣١	١٠٤
٧٠.	وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً	٠٤٥	١٥٤
٧١.	إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ	١١١	٩١

	سورة يونس		
٠٧٢	ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا	٠١٣	٨٧
٠٧٣	يأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءتكم مَّوْعِظَةٌ	٥٧	ج
٠٧٤	قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ	٥٨	ج
٠٧٥	قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ	١٠٨	٢٦
٠٧٦	وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ	١٠٩	٢٦
	سورة هود		
٠٧٧	كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ	٠٠١	٢٨ ،٢٦
٠٧٨	وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ	٠٠٣	٢٦
٠٧٩	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ	٠٢٥	٣٥
٠٨٠	أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ	٠٢٦	٣٥
٠٨١	تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا	٠٤٩	١٣٣
٠٨٢	وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ	٠٥٠	٣٥
٠٨٣	أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ	٠٦٠	١٤
٠٨٤	وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ	٠٦١	٣٥
٠٨٥	وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ	٨٤	٣٣
٠٨٦	وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا	٨٥	٣٦
٠٨٧	بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا	٨٦	٤٢
٠٨٨	قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ	٨٧	٤٨
٠٨٩	قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي	٨٨	٤٨
٠٩٠	وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا	٨٩	٦٩ ،٥٣
٠٩١	وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ	٩٠	٥٧
٠٩٢	قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ	٩١	٦٢ ،٦٠
٠٩٣	قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ	٩٢	٦٤
٠٩٤	وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ	٩٣	٦٨
٠٩٦	وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ	٩٤	٧٠
٠٩٧	كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ	٩٥	٧٠

٩٨.	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ	٩٦	٧٣
٩٩.	إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ	٩٧	٧٥
١٠٠.	يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ	٩٨	٧٥
١٠١.	وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ	٩٩	٧٩
١٠٢.	ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ	١٠٠	٥٤، ٨٣
١٠٣.	وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ	١٠١	٥٤، ٨٥
١٠٤.	وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ	١٠٢	٥٤،٨٥، ١٢٤
١٠٥.	إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ	١٠٣	٨٨
١٠٦.	وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ	١٠٤	٨٨
١٠٧.	يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ	١٠٥	٩٤
١٠٨.	فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا	١٠٦	٩٤
١٠٩.	خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ	١٠٧	٩٤
١١٠.	وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا	١٠٨	٩٤
١١١.	فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا	١٠٩	١٠٣
١١٢.	وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ	١١٠	١٠٣
١١٣.	وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ	١١١	١٠٦
١١٤.	فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا	١١٢	١٠٩، ١١٠
١١٥.	وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ	١١٣	١١٢
١١٦.	وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ	١١٤	١١٦
١١٧.	وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ	١١٥	١١٩
١١٨.	فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ	١١٦	١٢٢
١١٩.	وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ	١١٧	١٢٢
١٢٠.	وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً	١١٨	١٢٧، ١٢٨
١٢١.	إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ	١١٩	١٢٧، ١٢٨
١٢٢.	وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ	١٢٠	١٨،٢٨،١٣٢، ١٣٣
١٢٣.	وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ	١٢١	١٣٢

١٢٤.	وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ	١٢٢	١٣٢
١٢٥.	وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ	١٢٣	٢٨، ١٣٥
	سورة يوسف		
١٢٦.	الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ	١	٣٠، ١٤١
١٢٧.	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ	٢	٣٠، ١٤١
١٢٨.	نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا	٣	٢٧،٢٨، ١٤١،٣٠
١٢٩.	إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ	٤	١٤٦
١٣٠.	قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ	٥	١٤٦
١٣١.	وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ	٦	١٤٨
١٣٢.	لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ	٧	١٥١
١٣٣.	إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ	٨	١٥١، ١٥٣
١٣٤.	اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ	٩	١٥٣، ١٥٦
١٣٥.	قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ	١٠	١٥٦
١٣٦.	قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ	١١	١٥٩، ١٦٢
١٣٧.	أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ	١٢	١٥٩
١٣٨.	قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ	١٣	١٥٩
١٣٩.	قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا	١٤	١٥٩
١٤٠.	فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ	١٥	١٦٤
١٤١.	وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ	١٦	١٦٤
١٤٢.	قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ	١٧	١٦٤
١٤٣.	وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ	١٨	١٦٤
١٤٤.	وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ	١٩	١٦٩
١٤٥.	وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ	٢٠	١٦٩
١٤٦.	وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ	٢١	١٦٩
١٤٧.	وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي	٢٢	١٦٩
١٤٨.	وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ	٢٣	١٧٤
١٤٩.	وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ	٢٤	١٧٤

١٥٠.	وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا	٢٥	١٨١
١٥١.	قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ	٢٦	١٨١
١٥٢.	وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ	٢٧	١٨١
١٥٣.	فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ	٢٨	١٨٦
١٥٤.	يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ	٢٩	١٨٦
١٥٥.	وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ	٣٠	١٩١
١٥٦.	فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ	٣١	١٩٥
١٥٧.	قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ	٣٢	١٨٥، ١٩٥
١٥٨.	قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَى مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ	٣٣	١٨٤، ٢٠١
١٥٩.	فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّ	٣٤	١٨٤، ٢٠١
١٦٠.	ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ	٣٥	١٨٤، ٢٠١
١٦١.	وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي	٣٦	٢٠٧
١٦٢.	قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا	٣٧	٢٠٧
١٦٣.	وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوب	٣٨	٢١٢
١٦٤.	يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ	٣٩	٢١٢
١٦٥.	مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا	٤٠	٢١٢
١٦٦.	يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا	٤١	٢١٦
١٦٧.	وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ	٤٢	٢١٦
١٦٨.	وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ	٤٣	٢٢١
١٦٩.	قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ	٤٤	٢٢١
١٧٠.	وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا	٤٥	٢٢٤
١٧١.	يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ	٤٦	٢٢٤
١٧٢.	قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ	٤٧	٢٢٨
١٧٣.	ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا	٤٨	٢٢٨
١٧٤.	ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ	٤٩	٢٢٨
١٧٥.	وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ	٥٠	٢٣٤
١٧٦.	قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ	٥١	٢٣٤

١٧٧.	ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ	٥٢	٢٣٤
١٧٨.	كَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا	٠٥٦	١٧٣
١٧٩.	لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ اليوم	٠٩٢	١٤٥
١٨٠.	قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ	١٠٨	٧٧
١٨١.	لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الألباب	١١١	١٤٥
	سورة الرعد		
١٨٢.	أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ	٠٢٨	١٣٧
١٨٣.	قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ	٠٣٠	٩٨
	سورة الحجر		
١٨٤.	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ	٠٠٩	١٤٢
١٨٥.	وَأَنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ	٠٨٥	٨٩
	سورة النحل		
١٨٦.	يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ	٠٠٢	٧١
١٨٧	وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ	٠٣٣	٨٦
١٨٨.	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ	٠٣٦	٣٥
١٨٩.	وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ	٠٤٤	ج
١٩٠.	يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ	٠٥٠	٦٥
١٩١.	مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ	٠٩٧	٩٧
١٩٢.	وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ	١٠٣	١٤٣
١٩٣.	يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا	١١١	٩٣
	سورة الاسراء		
١٩٤.	وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ	٠١٧	١٢٣
١٩٥.	وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ	١٠١	٧٤
	سورة الكهف		
١٩٦.	إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها	٠٢٩	٨٧
١٩٧.	وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا	٠٥٩	٥٥
١٩٨.	فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا	١٠٥	٨٩

	سورة مريم		
.١٩٩	وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ	٠٣٩	٩٠
.٢٠٠	وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا	٠٤١	٢٢٥
	سورة طه		
.٢٠١	ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى	٠٠٢	٦٦
.٢٠٢	إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشى	٠٠٣	٦٦
.٢٠٣	قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا	٠٢٠	٧٤
.٢٠٤	فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا	٠٤٣	٦١
.٢٠٥	كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ	٠٨١	٤٤، ٤٦
.٢٠٦	فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى	١٢٣	٧٩
.٢٠٧	وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً	١٢٤	٩٩
	سورة الأنبياء		
.٢٠٨	وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ	٠٤٧	٩٢
.٢٠٩	الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ	٠٤٩	٦٥
.٢١٠	قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ	٠٦٨	٦٢
.٢١١	قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ	٠٦٩	٦٢
.٢١٢	فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك	٠٨٧	١٣٤
.٢١٣	فاستجبنا له ونجيناه من الغم	٠٨٨	١٣٤
	سورة الحج		
.٢١٤	يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث	٠٠٥	٨٩
.٢١٥	ذلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللَّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ	٠٣٢	٧١
.٢١٦	وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ	٠٧١	١١٢
.٢١٧	اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ	٠٧٥	١٤٨، ١٤٩
	سورة المؤمنون		
.٢١٨	أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً	٥١	٤٥، ٤٦
.٢١٩	وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ	٧٠	٨٧

٢٢٠.	وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ	٧١	٧٦
	سورة النور		
٢٢١.	وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ	٠٠٤	٢١٩
٢٢٢.	وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ	٠٠٦	٨١
٢٢٣.	وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ	٠٠٧	٨١
٢٢٤.	وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ	٠٣١	١١٧
٢٢٥.	وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ	٠٥٢	٦٦
٢٢٦.	إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيع الفاحِشَةُ	١٩	١٩٢
	سورة الفرقان		
٢٢٧.	وقَالَ الَذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرْآنُ	٠٣٢	١٣٣
٢٢٨.	ولا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وأَحْسَنَ	٠٣٣	١٣٣
	سورة الشعراء		
٢٢٩.	إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ	٠٠٨	٦٩
٢٣٠.	وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ	٠٠٩	٦٩
٢٣١.	فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ	٠٣٦	٧٤
٢٣٢.	وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ	١٩٢	١٤٣
٢٣٣.	نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ	١٩٣	١٤٣
٢٣٤.	عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ	١٩٤	١٤٣
٢٣٥.	بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ	١٩٥	١٤٣
	سورة القصص		
٢٣٦.	وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا	٠٤٤	١٣٣
٢٣٧.	وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ	٠٤٥	١٣٣
٢٣٨.	وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون	٠٥٩	٨٧
	سورة العنكبوت		
٢٣٩.	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا	٠١٢	٧٦
٢٤٠.	وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً	٠١٣	٧٧
٢٤١.	اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ	٠٤٥	٥١

	سورة الروم		
٢٤٢.	قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ	٤٢.	١٢٤
	سورة لقمان		
٢٤٣.	يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ	١٣.	٨٦، ١٢٣
	سورة السجدة		
٢٤٤.	وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا	٢٤.	١٢٠
	سورة فصلت		
٢٤٥.	فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُواْ في الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقّ	١٥	١٢٤
٢٤٦.	إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا	٣٠	١١٠
٢٤٧.	نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ	٣١	١٣٤
٢٤٨.	نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ	٣٢	١٣٤
٢٤٩.	وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا	٣٣	٣٥
٢٥٠.	وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي	٣٤	٣٥
٢٥١.	لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ	٤٢	١٧٨
	سورة الشورى		
٢٥٢.	وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ	٠٧	٩٠
٢٥٣.	أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ	١٣	١٢٩
٢٥٤.	شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا	١٣	١٦٥
٢٥٥.	فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِم كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ	١٥	١١٠
٢٥٦.	وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما	٣٠	١٥٥
٢٥٧.	وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ	٤٣	١٢٠
٢٥٨.	ألا إن الظالمين في عذاب مقيم	٤٥	٨٧
	سورة الزخرف		
٢٥٩.	وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ	٢٣	٧٦
٢٦٠.	قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ	٢٤	٧٦
٢٦١.	فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ	٢٥	٧٦
٢٦٢.	وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً	٣٦	٩٨

	سورة الدخان		
٢٦٣.	ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين	٣٨	٩٦
	سورة الاحقاف		
٢٦٤.	إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا	١٣	١١١
٢٦٥.	أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا	١٤	١١١
	سورة محمد		
٢٦٦.	أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا	٢٤	ح
	سورة الفتح		
٢٦٧.	لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ	٢٧	١٢٧
	سورة الحجرات		
٢٦٨.	أُولئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى	٠٣	٧١
٢٦٩.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ	١١	١٩٤
	سورة ق		
٢٧٠.	وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ	٢٠	٩١
٢٧١.	يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ	٤٢	٨٩
	سورة النجم		
٢٧٢.	وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَى	٥٠	١٢٣
٢٧٣.	وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى	٥١	١٢٣
٢٧٤.	وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى	٥٢	١٢٣
٢٧٥.	وَالمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى	٥٣	١٢٣
	سورة القمر		
٢٧٦.	اقتربت الساعة وانشق القمر	٠١	٨٩
٢٧٧.	وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ	١٢	١٥٥
٢٧٨.	وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ	١٣	١٥٥
٢٧٩.	تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ	١٤	١٥٥
٢٨٠.	أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ	٢٥	١٢٤
٢٨١.	سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ	٢٦	١٢٤

٢٨٢.	إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً	٣١	١٢٤
	سورة الرحمن		
٢٨٣.	وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزانَ	٩	٣٦
	سورة الواقعة		
٢٨٤.	إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ	٠١	٩٠
٢٨٥.	لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ	٠٢	٩٠
٢٨٦.	خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ	٠٣	٩٠
٢٨٧.	فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الحلقوم	٨٣	١٠٧
٢٨٨.	وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ	٨٤	١٠٧
	المجادلة		
٢٨٩.	لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ	٢٢	١١٤
	سورة الممتحنة		
٢٩٠.	رَبَّنا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنا وَإِلَيْكَ أَنَبْنا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ	٤	١٣٧
٢٩١.	**سورة المنافقون**		
٢٩٢.	كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ	٤	٢١٨
	سورة الحاقة		
٢٩٣.	كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ	٠٤	٩٠
	سورة المعارج		
٢٩٤.	إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً	٠٩	٥١
٢٩٥.	إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً	١٠	٥١
٢٩٦.	وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً	١١	٥١
	سورة نوح		
٢٩٧.	وَاسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَاسْتَكْبَرُواْ اسْتِكْبَارًا	٠٧	١٢٤
٢٩٨.	فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً،	١٠	٥٩
٢٩٩.	يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً،	١١	٥٩
٣٠٠.	وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ	١٢	٥٩
	سورة الجن		

٣٠١.	وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا	١٦	١١١
	سور المزمل		
٣٠٢.	وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا	٨	١٧٣
٣٠٣.	رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا	٩	١٣٧
	سورة المدثر		
٣٠٤.	كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ	٣٨	٩٣
	سورة القيامة		
٣٠٥.	إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ	١٧	١٤١
٣٠٦.	فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ	١٨	١٤١
	سورة المطففين		
٣٠٧.	فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ	٣٤	٩٢
٣٠٨.	عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ	٣٥	٩٢
٣٠٩.	هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ	٣٦	٩٢
	سورة الغاشية		
٣١٠.	لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ	٧	٢٢١
	سورة الفجر		
٣١١.	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ	٦	٥٥
٣١٢.	الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ	٨	٥٥، ٨٤
	سورة البلد		
٣١٣.	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ	٤	١١٩
٣١٤.	ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ	١٧	١٢٠
	سورة الضحي		
٣١٥.	وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى	٧	١٥١
	سورة المسد		
٣١٦.	حَمَّالَةَ الْحَطَبِ	٤	٢١٩
	سورة الفلق		
٣١٧.	وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ	٥	١٥٣

ثانيًا: فهرس الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	الراوي	الحكم	الصفحة
١.	أَبْشِرُوا وَبَشِّرُوا النَّاسَ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ	مسند أحمد	صحيح	٣٥
٢.	اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة	متفق عليه	صحيح	٩٢
٣.	اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ	البخاري	صحيح	٢٢٥
٤.	إذا تبايعتم بالعينة و أخذتم أذناب البقر	أبو داود	صحيح	٥٦
٥.	إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة	أبو داود	صحيح	٥١
٦.	أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل	متفق عليه	صحيح	١١٨
٧.	أربع من الشقاوة: الجار السوء، والمرأة السوء	ابن حبان	صحيح	٩٩
٨.	أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً	متفق عليه	صحيح	٢٢٣
٩.	إن أحداً منكم لن يدخل الجنة بعمله	البخاري	صحيح	٩٧
١٠.	إن السعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتلي فصبر	أبو داود	صحيح	٩٨
١١.	إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَة	البخاري	صحيح	١٣٠
١٢.	إن المرأة خلقت من ضلع أعوج	البخاري	صحيح	٢١٨
١٣.	أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم	متفق عليه	صحيح	٩١
١٤.	إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء	متفق عليه	صحيح	٩٨
١٥.	أَهَاوِيلُ مِنْ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ بِهَا ابْنَ آدَمَ	ابن ماجه	صحيح	٢١٠
١٦.	أول ما بدئ به رسول الله -ﷺ- من الوحي	البخاري	صحيح	١٤٧
١٧.	إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّهُ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا	البخاري	صحيح	١٥٤
١٨.	أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّباً	الترمذي	حسن	٤٤، ٤٦
١٩.	بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على	الترمذي	صحيح	٩٢
٢٠.	الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ	أبو داوود	صحيح	٤٦
٢١.	إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب	مسلم	صحيح	٢١١

٢٢.	رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأنا في دار عقبة	مسلم	صحيح	٢١٩
٢٣.	رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى	المنذري	صحيح	٤١
٢٤.	شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ	الترمذي	صحيح	١٤، ١٥
٢٥.	الصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء	مسلم	صحيح	١١٩
٢٦.	عجبا لأمر المؤمن إن أمره له كله خير	مسلم	صحيح	٩٢
٢٧.	الْعَهْدُ الَّذِى بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاَةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ	الترمذي	صحيح	٥٠
٢٨.	فتنة الرجل في أهله وماله وولده يكفرها الصلاة	مسلم	صحيح	١١٨
٢٩.	فليكن أول ما تدعوهم إليه: (شهادة أن لا إله إلا الله)، وفي رواية:(أن يوحدوا الله).	البخاري	صحيح	٣٥
٣٠.	فمن حج ولم يرفث ولم يفسق	البخاري	صحيح	١١٨
٣١.	قل آمنت بالله	البخاري	صحيح	١٠٩، ١١٠
٣٢.	كلّ أمّتي يدخلون الجنة إلاّ من أبى	البخاري	صحيح	٩٩
٣٣.	كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ قَالُوا صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ	التبريزي	صحيح	١٥٤
٣٤.	لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا	البخاري	صحيح	١٢٥
٣٥.	لا تزال أمتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا	مسند أحمد	حسن	٥٦
٣٦.	لا تنزع الرحمة إلا من شقي	أبوداوود، والترمذي	صحيح	٩٩
٣٧.	لاَ يَحْتَكِرُ إِلاَّ خَاطِئٌ	أبو داوود	صحيح	٤٥
٣٨.	لا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوا	الطبراني	صحيح	١٥٣
٣٩.	لجميع أمتي كلهم	البخاري	صحيح	١١٦
٤٠.	لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة	مسلم	صحيح	٩١
٤١.	لم يتكلم في المهد إلا أربعة	احمد	ضعيف	١٨٣
٤٢.	لَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ ثُمَّ	البخاري	صحيح	٢٣٥

٤٣.	مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِن	البخاري	صحيح	٤٤
٤٤.	مُرُوا بِلاَلاً فَلْيُؤَذِّنْ، وَمُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ	البخاري	صحيح	١٨٦
٤٥.	المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله	متفق عليه	صحيح	١٣١
٤٦.	من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب (قدسي)	الترمذي	صحيح	٩٢
٤٧.	من تحلم كاذبا كلف يوم القيامة أن يعقد	الترمذي	صحيح	٢١٩
٤٨.	مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ	متفق عليه	صحيح	١١٧
٤٩.	هلك المتنطعون	مسلم	صحيح	١٢٥
٥٠.	والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون	الترمذي	صحيح	٥٥
٥١.	ولولا أني أخرجت منك ما خرجت	ابن ماجه	صحيح	٦١
٥٢.	يا أنجشة رويدك لا تكسر القوارير	مسلم	صحيح	٢١٨
٥٣.	يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ (أُعِيذُكَ بِاللَّهِ مِنْ إِمَارَةٍ	مسند أحمد	صحيح	٤٦
٥٤.	يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خِصَالٌ خَمْسٌ إِنِ ابْتُلِيتُمْ	ابن ماجه	صحيح	٤١
٥٥.	يجيء متعلقا بالقاتل تشخب أوداجه دما	البخاري	صحيح	٩١
٥٦.	لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من	مسلم	صحيح	١٢٤
٥٧.	يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد	البخاري	صحيح	٩٠

ثالثًا: فهرس الأعلام:

م	اسم العلم	رقم الصفحة
١.	البغوي	٢١٠
٢.	حسن بن محمد الشهير بابن القمي النيسابوري	٤٨
٣.	الحسن بن يسار البصري	٤٢
٤.	رَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ عَجْلَانَ	١٩
٥.	الربيع بن أنس البكري	٤٢
٦.	سالم بن عبيد الأشجعي	١٨٧
٧.	سالم بن عبيد الأشجعي	١٨٦
٨.	سعيد بن جبير	١٨٣
٩.	سفيان بن عيينة	٣٦
١٠.	الشاطبي	٢٧٦
١١.	طرفة	٢١
١٢.	عاصم بن أبي النجود	١٠٦
١٣.	عبد الله بن أبي مليكة المالكي	١٨٣
١٤.	عثمان بن جني الموصلي	٥
١٥.	عطاء بن أبي رباح	٣٦
١٦.	علي بن حبيب	١٧٨
١٧.	قَتَادَةُ بْن دعامة	٤٢
١٨.	المقريزي	١٥
١٩.	المهلب بن أحمد بن أبي صفرة	٢١٧
٢٠.	النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ أَبُو لَيْلَى	٩٤
٢١.	النيسابوري	٤٨

رابعًا: المصادر والمراجع

١. إتحاف الإلف بذكر الفوائد الألف والنيف من سورة يوسف، محمد موسى نصر و سليم الهلالي مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٢. إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر ويسمى (منتهى الأماني والمسرات في علوم القرآآت) المؤلف / شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، دار النشر / دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٩هـ١٩٩٨م.

٣. الإتقان في علوم القرآن: للإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي ، (ت٩١١هـ)، خرج أحاديثه محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

٤. أحكام القرآن بن العربي المؤلف: محمد بن عبد الله الأندلسي ابن العربي،الناشر : دار الكتب العلمية

٥. الإحكام شرح أصول الأحكام المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي (المتوفى: ١٣٩٢هـ) الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ

٦. أحكام قراءة القرآن الكريم: محمود خليل الحصري، تحقيق محمد منيار، المكتبة المكية – دار البشائر الإسلامية الطبعة الثانية .

٧. إحياء علوم الدين : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، (ت٥٠٥)، دار المعرفة– بيروت.

٨. آداب الحوار وقواعد الاختلاف المؤلف: عمر بن عبد الله كامل، بحث مقدم للمؤتمر العالمي حول موقف الإسلام من الإرهاب.

٩. الأدب المفرد : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، الناشر : دار البشائر الإسلامية – بيروت ، ط ١٤٠٩ / ١٩٨٩.

١٠. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ,(ت٩٨٢هـ) دار إحياء التراث العربي –بيروت ط –١ .

١١. إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، (ت١٢٥٠هـ) ، تحقيق الشيخ أحمد عزو عناية ، دار الكتاب العربي ط١.

١٢. الإصابة في تمييز الصحابة : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الكناني العسقلاني الشافعي، تحقيق :عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية –بيروت، ط١ .

١٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)،مكتبة ابن تيمية، القاهرة – مصر، 1408 / 1988 م.

١٤. إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، المؤلف : صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م
١٥. إعراب القرآن وبيانه، المؤلف : محي الدين الدرويش، دار النشر : دار الإرشاد . سورية
١٦. الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعمرين والمستشرقين) : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي(ت١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين، ط5،2002 م.
١٧. إعلام الموقعين عن رب العالمين :محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية(ت ٧٥١هـ) تحقيق :محمد بن عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية–بيروت، ط1،1411هـ 1991/م
١٨. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية(ت٧٥١هـ)، تحقيق :محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت، ط2، 1395 هـ1975/م.
١٩. الإفصاح في فقه اللغة. تأليف حسين يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدي، مكتب الاعلام الإسلامي الطبعة: الرابعة ١٤١٠هـ
٢٠. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم :أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية(ت728 هـ)، تحقيق :ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، ط7، 1419هـ1999 / م.
٢١. أمراض القلوب وشفاؤها ، المؤلف: أحمد بن تيمية، الناشر المطبعة السلفية، سنة النشر ١٣٩٩هـ
٢٢. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، المؤلف : مجير الدين الحنبلي العليمي
٢٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المشهور بـ (تفسير البيضاوي) : عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي
٢٤. أنوار الربيع في أنواع البديع: لابن معصوم المدني، تحقيق شاكر شكر، مطبعة النعمان، الطبعة الاولي ١٣٨٩هـ–١٩٦٩م
٢٥. أهداف ومقاصد وموضوعات سورة التوبة "رسالة ماجستير": إعداد الطالب : حسن الخطيب ، أشراف الدكتور: عبدالكريم الدهشان، الجامعة الاسلامية غزة ١٤٢٩هـ –٢٠٠٨.

٢٦. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م
٢٧. بحر العلوم (تفسير السمرقندي) : أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي ، تحقيق: د. محمود مطرجي ، دار النشر : دار الفكر – بيروت.
٢٨. البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض ، دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ط١.
٢٩. البحر المديد : أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس ، دار النشر / دار الكتب العلمية . بيروت ، ط٢.
٣٠. البداية والنهاية : أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، (ت ٧٧٤هـ) ، دار المنار ، القاهرة – مصر ، ط١.
٣١. بدائع الفوائد : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ) ، دار الفكر ، بيروت – لبنان.
٣٢. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية و الدرة ، لعبد الفتاح القاضي ، المؤلف : عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى : ١٤٠٣هـ).
٣٣. البرهان في علوم القرآن : للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (ت٧٩٤هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١.
٣٤. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز :مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار، ط ٢.
٣٥. بيان المعاني، ملا حويش آل غازى عبد القادر، مطبعة الترقى دمشق، الأولى، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٥ م
٣٦. البيان في عدد آي القرآن : أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني ، دار النشر : مركز المخطوطات والتراث – الكويت ، ط١.
٣٧. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ،
٣٨. تاج اللغة وصحاح العربية. ٣/٣٨٣،

٣٩. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) ، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف ، الناشر: دار الغرب الإسلامي ، ط١ .
٤٠. تاريخ الأنبياء الخطيب البغدادي، تحقيق اسيا البارح دار الكتب العلمية، الطبعة الاولي ٢٠٠٤م-١٤٣٥هـ.
٤١. تأملات قرآنية أبو هاشم صالح بن عوّاد بن صالح المغامسي، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية
٤٢. تأملات قرانيه في سورة يوسف: الدكتور ياسر برهامي، دار القمة دار الايمان،
٤٣. التبيان في تفسير غريب القرآن : شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ، دار الصحابة للتراث بطنطا – القاهرة ، ط١.
٤٤. التحرير والتنوير " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" : الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون.
٤٥. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ) دار الكتب العلمية– بيروت
٤٦. تحفة الأريب: الشيخ أثير الدين أبي حيان الاندلسي ، المكتب الإسلامي الطبعة الاولي ١٤٠٢هـ-١٩٨٣م
٤٧. التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي
٤٨. تفسير ابن أبى حاتم . موافقا للمطبوع، الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، المكتبة العصرية – صيدا .
٤٩. تفسير ابن عثيمين : للشيخ محمد بن صالح العثيمين ،
٥٠. التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، دار الغرب الإسلامي . دمشق
٥١. تفسير السراج المنير: شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية . بيروت.
٥٢. تفسير الشعراوي :محمد بن السيد متولي الشعرواي (١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم التجارية ، ط١.
٥٣. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى : ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م
٥٤. تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ) ، دار التراث ، القاهرة – مصر.

٥٥. تفسير القرآن الكريم بالقراءات القرآنية العشر ، رسالة ماجستير للباحثة : هيفاء رضوان ، (ص٧٩) ،اشراف الدكتور الفاضل : رياض قاسم .
٥٦. التفسير القرآني للقرآن ١٢٤٥/٦
٥٧. تفسير القشيري المسمى (لطائف الاشارات) : عبد الكريم بن هوازن القشيرى (المكتبة الشاملة) .
٥٨. التفسير الكبير المشهور بـ (مفاتيح الغيب) : فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت٦٠٤هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط١.
٥٩. تفسير المراغي : أحمد مصطفى المراغي ، دار الفكر، القاهرة – مصر.
٦٠. التفسير المظهرى ، محمد ثناء الله العثماني المظهري، باكستان، تحقيق : أحمد عزو عناية ، الناشر : دار إحياء التراث العربي (بيروت / لبنان).
٦١. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر – دمشق، ط 2 .
٦٢. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق : د.صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار النفائس ، عمان – الأردن ، ط٢.
٦٣. التفسير الميسر : تأليف مجموعة من العلماء – عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي .
٦٤. تفسير النسفي : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، تحقيق الشيخ : مروان محمد الشعار ، دار النشر : دار النفائس . بيروت .
٦٥. تفسير النيسابوري المسمى (غرائب القرآن ورغائب الفرقان): نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، ط١.
٦٦. تفسير الواحدي .
٦٧. التفسير الواضح ، محمد محمود حجازى، دار النشر : دار الجيل الجديد
٦٨. التفسير الوسيط للزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر – دمشق، الطبعة : الأولى – ١٤٢٢ هـ
٦٩. التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، مصدر الكتاب : موقع التفاسير
٧٠. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، الطبعة : الأولى

٧١. تلخيص البيان فى مجازات القرآن ، المؤلف : الشريف الرضى، دار النشر : دار الأضواء . بيروت.
٧٢. التمهيد بن عبد البر، المحقق : مصطفى بن أحمد العلوى و محمد عبد الكبير، البكرى، الناشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، سنة النشر ١٣٨٧هـ ،
٧٣. تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الازهري الهروي (ت ٣٧٠هـ) ، تحقيق :عبد السلام هارون وآخرون، دار الكتب المصرية – القاهرة ، ط١.
٧٤. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي بن قيم الجوزية، أبو عبد الله الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ – ١٩٧٣
٧٥. تحقيق: محمد حامد الفقي التوقيف على مهمات التعاريف : محمد عبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ) ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان ، ط1 .
٧٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبد الرحمن السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة، ط1.
٧٧. التيسير بشرح الجامع الصغير، الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي
٧٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري(٣١٠هـ) ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة ، ط١.
٧٩. جامع العلوم والحكم بشرح خمسين حديثا من جوامع الكلم : زين الدين عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي (ت٧٩٥هـ) ، تحقيق :شعيب الأرناؤوط ،مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٧.
٨٠. جامع بيان العلم وفضله، أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي
٨١. الجامع لأحكام القرآن :أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١هـ) ، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة ، ط2،1384هـ 1964/م.
٨٢. الجدول في إعراب القرآن، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت ١٣٧٦هـ) الناشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان – دمشق الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ
٨٣. جمهرة اللغة، ابن دريد، مصدر الكتاب: موقع الوراق.
٨٤. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار العاصمة – الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ .

٨٥. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .
٨٦. الجواهر الحسان في تفسير القرآن :أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت٨٧٥هـ) ، تحقيق :محمد معوض، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1،1418 هـ.
٨٧. حاشية السندي على صحيح البخارى، محمد بن عبد الهادي السندي المدني ، الحنفي ، أبو الحسن، الناشر دار الفكر
٨٨. حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ – دار إحياء التراث العربي ، سنة الطبع : ١٤١٢ هـ دار النشر : مكتبة دنديس – عمان – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م
٨٩. الدخيل في التفسير
٩٠. الدر المصون في علم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، المحقق: أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم
٩١. دليل الحيران في تفسير الاحلام محمد على قطب. مكتبة القران للطبع والنشر والتوزيع القاهرة
٩٢. روح الدين الإسلامي" عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين، الطبعة الثامنة والعشرون سنة ٢٠٠٦.
٩٣.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي(١٢٧٠هـ)، تحقيق :علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٩٤.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي(١٢٧٠هـ)، تحقيق :علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٩٥. الروح في الكلام على أرواح الأموات : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان.
٩٦. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٢ – ١٩٩٢ .
٩٧. روضة الناظر وجنة المناظر، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد
٩٨. الرؤي والاحلام في النصوص الشرعية.

٩٩. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤
١٠٠.الزاهر فى معانى كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، دار النشر / مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٢ هـ -١٩٩٢.
١٠١.زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ) ، دار الفكر العربي .
١٠٢.سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، أبو عبد الله مصطفى بن العدوى شلباية المصري، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية .
١٠٣.السلسلة الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، لناشر : مكتبة المعارف – الرياض
١٠٤.سنن ابن ماجة : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبوه يزيد (ت ٢٧٣هـ) ، تحقيق العلامة : محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، ط١.
١٠٥.سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، مطبعة دار المعارف المدينة – السعودية ، ط١.
١٠٦.سنن الترمذي : محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ) ، تحقيق العلامة محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، ط١.
١٠٧.السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
١٠٨.سنن النسائي : عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الشهير بـ(النسائي)، تحقيق العلامة محمد ناصر الدين الألباني ،مكتبة المعارف ، ط١.
١٠٩.سورة يوسف دراسة تحليلية، الدكتور احمد نوفل، دار الفرقان، الطبعة الولي ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .
١١٠.شرح الأربعين النووية، عطية بن محمد سالم (المتوفى: ١٤٢٠هـ) ، مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
١١١.شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
١١٢.شرح العقيدة الطحاوية : ابن أبي العز الحنفي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر.

١١٣.شرح العقيدة الطحاوية للشيخ صالح ال الشيخ، دار المودة، الطبعة الاولي ١٤٣١هـ-٢٠١١م.
١١٤.شرح النووي على صحيح مسلم : أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط٢ ١٣٩٢هـ.
١١٥.شرح الورقات في أصول الفقه، محمد الحسن الددو الشنقيطي، مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
١١٦.شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الله بن محمد الغنيمان
١١٧.شرح مختصر الروضة، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى : ٧١٦هـ)، عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م
١١٨.الشريعة، الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي دار الوطن .
١١٩.الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٨هـ -١٩٩٨م، الطبعة : الأولى، محمد عبد الكريم النمري.
١٢٠.الصحاح في اللغة والعلوم : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ), تحقيق : أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
١٢١.صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستة، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ – ١٩٩٣.
١٢٢.صحيح البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ)، دار إحياء التراث العربي .
١٢٣.صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر : مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة : الخامسة
١٢٤.صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، دار ابن رجب ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .
١٢٥.صفوة البيان لمعاني القرآن: الشيخ حسنين مخلوف الطبعة الاولي.
١٢٦.صفوة التفاسير : محمد علي الصابوني، مطبعة - القاهرة ط١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م.الطبراني (٨/ ٣٠٩، ح ٨١٥٧)

١٢٧. الطبعة : الأولى، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة – الرياض، ١٤١٤هـ.
١٢٨. عبر ودلالات من سورة يوسف دكتور عبد الله بصفر، دار نور المكتبات ، الطبعة الاولي ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
١٢٩. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق : زكريا علي يوسف ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت .
١٣٠. علم مقاصد السور ، إعداد محمد عبد الله الربيعة الأستاذ المساعد تقييم التفسير وعلوم القرآن، جامعة القصيم، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠١١م.
١٣١. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي، ملفات وورد من ملتقى أهل الحديث.
١٣٢. عون المعبود في شرح سنن أبي داود: محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٢ ،١٤١٥هـ.
١٣٣. غريب الحديث : أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن جعفر ،ط١، تحقيق : د.عبدالمعطي أمين قلعجي ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت .
١٣٤. غريب الحديث : القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد ، تحقيق : د. محمد عبد المعيد خان ،ط١، دار الكتاب العربي – بيروت .
١٣٥. غريب القرآن : أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني ، تحقيق محمد أديب عبد الواحد جمران ، الناشر دار قتيبة ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .
١٣٦. فتاوى الشيخ ابن جبرين.
١٣٧. الفتاوى الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : ٧٢٨هـ)، محمد عبدالقادر عطا – مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م
١٣٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩.
١٣٩. فتحُ البيان في مقاصد القرآن : أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت١٣٠٧هـ) ، راجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري ، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م .

١٤٠.فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني(ت١٢٥٠هـ) دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ.
١٤١.الفتوحات المكية.
١٤٢.فقه الخلاف وأثره في القضاء على الإرهاب بحث مقدم لمؤتمر " موقف الإسلام من الإرهاب " بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
١٤٣.فقه اللغة وسرّ العربية الثعالبي، ط. القاهرة، ١٩٣٨م.
١٤٤.في ظلال القرآن : سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي(ت١٣٨٥هـ)، دار الشروق –بيروت، ط١٧، ١٤١٢هـ .
١٤٥.فيض القدير، للمناوي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الاولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.
١٤٦.القاموس المحيط : للإمام محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (ت٨١٧هـ) ط ٨ ، مؤسسة الرسالة بيروت١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
١٤٧.القرآن والعلم، د. عبدالرازق نوفل (٢٨)
١٤٨.قصص الأنبياء، الامام أبى الفداء إسماعيل بن كثير،مصطفى عبد الواحد
١٤٩.قواطع الأدلة في الأصول، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٥٠.قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزّ وجلّ عبد الرحمن حنبكة، دار القلم ،الطبعة الرابعة١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩م .
١٥١.القول المنصف في تفسير سورة يوسف.
١٥٢.الكبائر، محمد بن عثمان الذهبي، الناشر : دار الندوة الجديدة – بيروت
١٥٣.كتاب العين، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال
١٥٤.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :أبو القاسم محمود ابن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي – بيروت ،١٤٠٧هـ.
١٥٥.الكشف والبيان عن تفسير القرآن :أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي(ت ٤٢٧هـ)، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي–بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

١٥٦.الكليات : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي ، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
١٥٧.الكنز في القراءات العشر، أبو محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن على ابن المبارك التّاجر الواسطيّ المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين (المتوفى: ٧٤١هـ)، د. خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م
١٥٨.لباب التأويل في معاني التنزيل :أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن(ت٧٤١هـ)، تحقيق:حمد علي شاهين، دار الفكر –بيروت،١٣٩٩ هـ /١٩٧٩م.
١٥٩.اللباب في علوم الكتاب : أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت٧٧٥هـ) تحقيق :الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط١، ١٤١٩هـ /١٩٩٨م.
١٦٠.لسان العرب :أبو الفضل محمد ابن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري(ت٧١١هـ) تحقيق : علي عبد الله الكبير ، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
١٦١.مباحث في التفسير الموضوعي: الدكتور مصطفى مسلم، الناشر الجار الشامية الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ –٢٠٠٠م.
١٦٢.مباحث في علوم القرآن : مناع القطان ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،ط٣ ،١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م
١٦٣.المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ، أبو بكر (المتوفى: ٣٨١هـ)،تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، الناشر: مجمع اللغة العربية – دمشق.
١٦٤.المتجر الرابح: المؤلف: عبد المؤمن بن خلف الدمياطي أبو محمد شرف الدين، المحقق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مطبعة النهضة الحديثة.
١٦٥.مجلة البحوث الإسلامية ،الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
١٦٦.مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي .
١٦٧.مجلة الجامعة الإسلامية
١٦٨.مجموع فتاوى ابن تيمية "مجموع الفتاوى": مجموع الفتاوى :أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٧٢٨هـ) تحقيق :أنور الباز–عامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ٢٠٠٥م.
١٦٩.مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت ١٤٢٠هـ)

١٧٠.محاسن التأويل : محمد جمال الدين القاسمي ، محمد فؤاد عبد الباقي ، عيسى البابي الحلبي ،ط١.
١٧١.محاسن التأويل : محمد جمال الدين القاسمي ، محمد فؤاد عبد الباقي ، عيسى البابي الحلبي ،ط١.
١٧٢.محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، عبد الرءوف محمد عثمان، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة – الرياض
١٧٣.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبدالرحمن ابن تمام ابن عطية المحاربي(٥٤٢هـ) تحقيق:عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٧٤.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبدالرحمن ابن تمام ابن عطية المحاربي(٥٤٢هـ) تحقيق:عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٧٥.مختار الصحاح :للإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي (ت٦٦٦هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد , ط٥ ,المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت ,١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .
١٧٦.مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين :محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، تحقيق :محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
١٧٧.المدخل إلى مقاصد القرآن الكريم : عبدالكريم الحامدي ، مكتبة الرشد ، ١٤٢٩هـ.
١٧٨.المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : ٧٢٨هـ)، الأولى ١٤١٨ هـ
١٧٩.مسند الإمام أحمد بن حنبل :أحمد بن حنبل ، تحقيق شعيب الارناؤوط ، مؤسسة الرسالة، ط٢،١٤٢٠هـ.
١٨٠.مشكاة المصابيح : محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين التبريزي (ت :٧٤١هـ) ، تحقيق :محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي– بيروت، ط٣، ١٩٨٥م .
١٨١.مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور والمسمى (المقصد الأسمى في مطابقة كل اسم كل سورة للمسمى) : إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) ، مكتبة المعارف – الرياض ط١ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م.

١٨٢.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المكتبة العلمية – بيروت .
١٨٣.مصحف الصحابة.
١٨٤.المصنف في الأحاديث والآثار. تأليف أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة .
١٨٥.معالم التنزيل في تفسير القران :أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦)،تحقيق : محمد عبد الله النمر، دار طيبة ،١٤١٧هـ .
١٨٦.معالم التنزيل في تفسير القران :أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦)، تحقيق : محمد عبد الله النمر، دار طيبة ،١٤١٧هـ .
١٨٧.معالم في الطريق: سيد قطب، دار الشروق .
١٨٨.معاني القرآن الكريم ، جامعة أم القرى – مكة المكرمة،الطبعة الأولى ، ١٤٠٩.
١٨٩.المعجزة الكبرى القرآن. المؤلف : الإمام العلامة / محمد أبو زهرة الناشر : دار الفكر العربي
١٩٠.معجم البلدان : ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ، دار الفكر – بيروت .المعجم العربي الأساسي ص ١٠١٦
١٩١.معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب ابي هلال العسكري ، تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي التابعة ،مؤسسة النشر الاسلامي .
١٩٢.المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبدالباقي .
١٩٣.المعجم الوسيط : المؤلفون : إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار ، تحقيق / مجمع اللغة العربية ، دار النشر : دار الدعوة .
١٩٤.معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، دار النشر : مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة : الأولى.
١٩٥.معجم مقاييس اللغة :أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ)، تحقيق :عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
١٩٦.المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق محمد سيد كيلاني (٢٠٥هـ) ، الناشر دار المعرفة .
١٩٧.المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق محمد سيد كيلاني (٢٠٥هـ) ، الناشر دار المعرفة .
١٩٨.مقاصد الشريعة الإسلامية ومقاصدها، علال الفاسي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي. الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.

١٩٩.مقاصد الشريعة الاسلامية: أمين الجلعود، المعهد العالمي للفكر الإسلامي. الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.
٢٠٠.المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د. يوسف حامد العلم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي. الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.
٢٠١.مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة ص ١٩٢.
٢٠٢.الملل والنحل : محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة – بيروت ، ١٤٠٤هـ .
٢٠٣.منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام بن تيمية، مؤسسة قرطبة ، الطبعة لأولى.
٢٠٤.الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ) ، أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن عفان ، ط١ ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٢٠٥.الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية : محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود ، دار اليقين للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م .
٢٠٦.مؤتمر تفسير سورة يوسف : عبد الله العلمي ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٩ م.
٢٠٧.الموسوعة الفقهية الكويتية :وزارة الاوقاف والشؤن الاسلامية، الكويت، ط٢، دار السلاسل، ١٤٠٤هـ/١٤٢٧م.
٢٠٨.موسوعة تفسير سورة يوسف: عليش البني، طبع بمطابع القبس التجارية، لايوجد رقم الطبعة ولا تاريخها.
٢٠٩.الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩.
٢١٠.النبأ العظيم: محمد عبد الله دراز، دار الثقافة . الدوحة.
٢١١.النبوات، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، المطبعة السلفية – القاهرة ، ١٣٨٦.
٢١٢.النحو الوافي، عباس حسن (المتوفى : ١٣٩٨هـ)، الناشر : دار المعارف، الطبعة : الطبعة الخامسة عشرة .
٢١٣.نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر : جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي مؤسسة الرسالة – لبنان / بيروت ،ط١، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
٢١٤.النشر في القراءات العشر : شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣ هـ) ، تحقيق : علي محمد الضباع ، المطبعة التجارية الكبرى.

٢١٥.نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم : الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة – جدة، ط٤.
٢١٦.نظرات في أحسن القصص .
٢١٧.نظرية المقاصد عند ابن عاشور: إسماعيل الحسني، المعهد العالمي، الطبعة الاولي ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
٢١٨.نظرية المقاصد عند الامام الشاطبي ، المعهد العالمي، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٢١٩.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور :إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت٨٨٥هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .
٢٢٠.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور :إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت٨٨٥هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٢٢١.النكت والعيون : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي تحقيق :السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ,دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان , ط١.
٢٢٢.النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير(ت٦٠٦هـ) ، تحقيق :طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٢٢٣.النهاية في غريب الحديث والأثر :مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير(ت٦٠٦هـ) ، تحقيق :طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٢٢٤.هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى : محمد بن أبي بكر أبو عبد الله ، الناشر : الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة .
٢٢٥.هداية المرشدين، الشيخ علي محفوظ، دار الاعتصام الطبعة التاسعة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٢٢٦.الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
٢٢٧.وحي القلم ، مصطفي صادق الرافعي، تحقيق د. درويش الجويدي، المكتبة العصرية.

٢٢٨. الوحي المحمدي: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (١٣٥٤هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١ ،١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥م.
٢٢٩. الوحي والنبوة والعلم في سورة يوسف: عبد الحميد طهماز دار القلم، والدار الشامية، الطبعة الاولي ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٢٣٠. وفيات الأعيان وأنباء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت٦٨١هـ) ، تحقيق :إحسان عباس، دار صادر –بيروت، ط١.
٢٣١. الولاء والبراء في الإسلام: محمد بن سعيد القحطاني (المكتبة الشاملة)
٢٣٢. الولاء والبراء والعداء في الإسلام: أبو فيصل البدراني (المكتبة الشاملة).
٢٣٣. يوسف الاحلام الشيخ محمود المصري، مكتبة الصفا، الطبعة الاولي ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
مواقع من الشبكة العنكبوتية:
٢٣٤. موقع الراية
http://www.rayah.info/browse.php?comp=viewArticles&file=article&sid= 2613
٢٣٥. موقع الألوكة http://www.alukah.net/sharia/0/39436/#ixzz3ZQnnFnBh
٢٣٦. موقع روضة الباحث http://islamic-books.org/cached-version.aspx?id=538-1-15
٢٣٧. موقع ستار تايمز http://www.startimes.com/f.aspx?t=33170354
٢٣٨. الموقع الرسمي للشيخ عبدالحق التركماني http://turkmani.com/com_articles/details/
٢٣٩. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة.
http://m.quran-m.com/index.php/ ٥.html
٢٤٠. موقع إسلام ويب
http://articles.islamweb.net/media/index.php?page=article&id=203287
٢٤١. موقع كتابك http://khutabaa.com/index.cfm?method=home.khdetails&khid= ٤٤٣٤

فهرس الموضوعات

الاهداء..... ت

شكر وتقدير ..... ث

المقدمة :..... ج

الفصل التمهيدي:.....١

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف..... ٢

المطلب الأول: تعريف بالدراسة التحليلية القرآنية ومتطلباتها. ٣

المطلب الثاني: تعريف بالمقاصد والأهداف وأهميتها..... ٥

المبحث الثاني: التعريف العام بسورتي هود ويوسف ومناسباتهما..... ١٣

المطلب الأول: بين يدي سورة هود ١٤

المطلب الثاني: بين يدي سورة يوسف ١٩

المطلب الثالث: المناسبات بين السور.....٢٤

الفصل الأول

التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف الربع الأول من الحزب الرابع والعشرين من سورة هود (٨٤-١٠٨).....٣١

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات من (٨٤-٨٦).....٣٢

المطلب الأول: دعوة شعيب -عليه السلام- للإصلاح العقائدي.....٣٣

المطلب الثاني: دعوة شعيب عليه السلام للإصلاح الاجتماعي.....٣٦

المطلب الثالث: الرضا بالحلال وإن قل، وسخط الحرام وإن كثر.....٤٢

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات من (٨٧-٩١)..... ٤٧

المطلب الأول: الإصلاح الاجتماعي من خلال أداء العبادات.....٤٨

المطلب الثاني: السنن الإلهية في إهلاك الأمم.....٥٣

المطلب الثالث: الاستغفار سبيل المؤمنين.....٥٧

المطلب الرابع: التهديد والوعيد لغة أصحاب الحجة الباطلة.....٦٠

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات من (٩٢-٩٥).....٦٣

المطلب الأول: الله أحق بالخشية من غيره.....٦٤

المطلب الثاني: صدق وعد الله لرسله وعدم تخلفه أبداً.....٦٨

المطلب الثالث: النجاة والحفظ جزاء المتقين.....٧٠

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات من (٩٦-٩٩).....٧٢
المطلب الأول: تأييد الله لرسوله موسي -عليه السلام- بالمعجزات الباهرة.....٧٣
المطلب الثاني: التحذير من اتباع رؤوس السوء وأئمة الفساد والضلال.....٧٥
المطلب الثالث: اتباع أهل الباطل لعنة في الدنيا والآخرة.....٧٩
المبحث الخامس: المقاصد والأهداف سورة هود الآيات من (١٠٠-١٠٨).....٨٢
المطلب الأول: إثبات صدق دعوة النبي -ﷺ- وتسليته.....٨٣
المطلب الثاني: سنة الله في الظلمة بأن مصيرهم الهلاك..... ٨٥
المطلب الثالث: إثبات الإيمان باليوم الآخر. ٨٨
المطلب الرابع: حتمية البعث وبيان مآل الناس فيه.....٩٤

الفصل الثاني

التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف الربع الأول من الحزب الرابع والعشرين من سورة هود

الآية (١٠٩) الي نهاية السورة..... ١٠١
المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات (١٠٩-١١٣).....١٠٢
المطلب الأول: ذم التقليد..... ١٠٣
المطلب الثاني: الجزاء الأخروي لا مفر منه.....١٠٦
المطلب الثالث: وجوب الاستقامة علما وعملا.....١٠٩
المطلب الرابع: حرمة تولي الظالمين، والرضا بالكفر.....١١٢
المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات (١١٤-١١٧).....١١٥
المطلب الأول: الحسنات يذهبن السيئات.....١١٦
المطلب الثاني: بيان وجوب الصبر.....١١٩
المطلب الثالث: سنة الله في هلاك الأمم.....١٢٢
المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة هود الآيات (١١٨-١٢٣).....١٢٦
المطلب الأول: الاختلاف سنة كونية ودفعه فريضة شرعية.....١٢٧
المطلب الثاني: قصص الأنبياء وأهميتها.....١٣٢
المطلب الثالث: وجوب العبادة لله مع التوكل عليه.....١٣٥

الفصل الثالث

التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف الربع الثالث من الحزب الرابع والعشرين من سورة يوسف الآيات (١-٢٩).....١٣٩

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة يوسف الآيات (١-٦).....١٤٠

المطلب الأول: اللغة العربية لغة القرآن.....١٤١

المطلب الثاني: تقرير نبوة محمد -ﷺ- وإثباتها بأحسن القصص.....١٤٤

المطلب الثالث: رؤيا الأنبياء وحي من الله.....١٤٦

المطلب الرابع: النبوة اصطفاء لا اختيار. ١٤٨

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة يوسف الآيات (٧-١٤).....١٥٠

المطلب الأول: الحذر من الحسد.....١٥١

المطلب الثاني: المؤامرة على قتل يوسف-عليه السلام- ١٥٦

المطلب الثالث: حيل أخوة يوسف للتخلص منه..... ١٥٩

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة يوسف الآيات (١٥-٢٤).....١٦٣

المطلب الأول: حجج الكاذبين ناقصة ومتناقضة.....١٦٤

المطلب الثاني: خلاص يوسف -عليه السلام- من محنة الجب..... ١٦٩

المطلب الثالث: مراودة امرأة العزيز ليوسف -عليه السلام- وقضية الهم.....١٧٤

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة يوسف الآيات (٢٥-٢٩) ١٨٠

المطلب الأول: فرار يوسف -عليه السلام- من المعصية وإثبات براءته. ١٨١

المطلب الثاني: كيد النساء عظيم.....١٨٦

الفصل الرابع

التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف الربع الثالث من الحزب الرابع والعشرين من سورة يوسف الآيات (٣٠-٥٢).....١٨٩

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة يوسف من الآية (٣٠-٣٥) ١٩٠

المطلب الأول: مكر النسوة بامرأة العزيز.....١٩١

المطلب الثاني: امرأة العزيز تقابل مكر النسوة بمكر أشد وأعظم.....١٩٥

المطلب الثالث: فرار يوسف إلى الله تعالى ودخوله السجن.....٢٠١

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة يوسف من الآية (٣٦-٤٢).....٢٠٦

المطلب الأول: يوسف –عليه السلام– ورؤيا صاحبي السجن.....٢٠٧
المطلب الثاني: دعوة يوسف –عليه السلام– إلى التوحيد داخل السجن.....٢١٢
المطلب الثالث: تعبير يوسف –عليه السلام– رؤيا صاحبي السجن..... ٢١٦
المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة يوسف من الآية (٤٣-٤٦) ٢٢٠
المطلب الأول: رؤيا الملك وعجزهم عن تعبيرها.....٢٢١
المطلب الثاني: تذكر الفتى الناجي يوسف الصديق –عليه السلام–.....٢٢٤
المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة يوسف من الآية (٤٧-٥٢).....٢٢٧
المطلب الأول: تعبير يوسف –عليه السلام– لرؤيا الملك.....٢٢٨
المطلب الثاني: الملك يتولى بنفسه القضية وإظهار الحقيقة.....٢٣٤
الخاتمة ٢٣٩
فهرس الآيات.....٢٤٣
فهرس الأحاديث.....٢٥٧
فهرس الأعلام.....٢٦٠
المصادر والمراجع.....٢٦١
فهرس الموضوعات.....٢٧٨

الملخص

يتناول هذا البحث الحديث عن أحد موضوعات القرآن الكريم، وهو بعنوان" **الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الرابع والعشرين من القرآن الكريم**" من سورة هود الآية (٨٤) إلى الآية (٥٢) من سورة يوسف" –دراسة تحليلية–حيث يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة متضمنة على أهم النتائج، والتوصيات على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومنهجية الباحث فيه.

التمهيد: بين الباحث فيه عن علم مقاصد وأهداف سور القرآن الكريم، مع التعريف العام بسورتي هود ويوسف، وبيان أهداف هذه السورتين ومقاصدها.

الفصل الأول: تم الحديث فيه عن أهداف ومقاصد الربع الأول من الحزب الرابع والعشرين من سورة هود (٨٤–١٠٨)، حيث تكلمت فيه عن دعوة سيدنا شعيب مع قومه من أهل مدين.

الفصل الثاني: بيان أهداف ومقاصد الربع الثاني من الحزب الرابع والعشرين من الآية (١٠٩) من سورة هود–الآية (٦) من سورة يوسف، أكمل في هذا الفصل عن قوم شعيب –عليه السلام– مع بيان صفاتهم في الإعراض عن دعوة الأنبياء، مع بيان اثبات الصدق النبوة في مستهل بداية سورة يوسف.

الفصل الثالث: تم الحديث فيه عن أهداف ومقاصد الثالث من الحزب الرابع والعشرين من سورة يوسف الآيات (٧ –٢٩)، تكلمت فيه عن معاملة أخوة يوسف –عليه السلام– ، معه أخيهم، وعن مراودة امرأة العزيز ليوسف –عليه السلام–.

الفصل الرابع: تم الحديث فيه عن أهداف ومقاصد الربع الرابع من الحزب الرابع والعشرين من سورة يوسف الآيات (٣٠ –٥٢)، تكلمت عن كيد النسوة بيوسف –عليه السلام–، ومروره بمحنة السجن.

الخاتمة: وضمنها عمل الباحث أهم النتائج والتوصيات.

Abstract

This research deals with talk about one topics from the Holy Quran, which is entitled " **analytical study of the purposes and objectives of the twenty-fourth party from the Holy Quran** " from Hud verse 84 to verse 52 of Surah Yusuf "Analytical Study - where research consists of an introduction, the boot, and four chapters, and a conclusion, including the most important results, and recommendations are as follows:

Introduction: includes the importance of the subject, and the reasons for this choice, and research objectives, methodology used by the researcher.

Boot: the researcher informs the purposes and objectives of the Holy Quran, with the general definition in Hood and Joseph Surah, and the statement of the objectives of these two Surah and purposes.

The First Chapter: talking about the aims and objectives of the first quarter of the twenty-fourth of the party Hud (84-108), where I spoke about the call of Prophet Shuaib to his people from the people of the debtor.

The Second Chapter: Statement of aims and objectives of the second quarter of the twenty-fourth verse Party (109) from Hud-verse (6) of Surah Yusuf, completed in this chapter for the people of Shoaib υ with a statement of their qualities in symptoms for a call of the prophets, with a statement to prove the truth prophecy at the beginning of the beginning of Surah Yusuf.

The Third Chapter: The talk about the goals and purposes of the third of the twenty-fourth Party verses from Surah Yusuf (7-29), in which I spoke about the treatment of Joseph's brothers υ, his brother, and propositioning a woman Aziz Yusuf υ

The Forth Chapter: The talk about the goals and purposes of the fourth quarter of the twenty-fourth Party verses from Surah Yusuf (30-52), spoke about women Joseph Kidd υ, and passage of the plight of prison.

Conclusion: The work of the researcher, including the most important findings and recommendations.